# البلاغة المقارنة

تأليف
دكتور
مصطفى الصاوي الجويني
الأستاذ المتفرغ بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية

١٩٩٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

# البلاغة المقارنة


تأليف
دكتور
مصطفى الصاوي الجويني
الأستاذ المتفرغ بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية



١٩٩٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

**مقدمـــة :**

كل مسألة تطرح للرأى يتجاذبها طرفان متطرفان أحدهما يمين والأخر شمال ولا ينعدل ميزان الحقيقة إلا بالتوسط بين هذين الطرفين كمساعدين رفع الزمن وبالتأمل الهادف للحق يتجلى الحقيقة العلمية وهذا ما كان بالنسبة لقضية «نشأة البلاغة» هل هى تدين بالنشأة الاصول فارسية ويونانية. أم هى نشأت عربية بالمصرية؟ وتبنى الطرفان المساعدان علماء ومنهم مؤيد لأجنبية النشأة ومنهم متحمس لعربية الأصل، ومع الزمن المتمهل والعقل الناضج المتأمل، والنفس الساكنة التى تطمئن للحقيقة العلمية إلى أن البلاغة عربية الميلاد خضعت لتأثيرات أجنبية فارسية ويونانية، وأن من الباحثين من رصد التأثير اليونانى وأغفل التأثير الفارسى، ولحظنا فى تاريخ البلاغة العربية أن اليونانية أثرت فى بلاغة العرب ولم تتأثر هى بها. وأن الفارسية أثرت فى البلاغة العربية وخاصة فى فنون النثر وكانت الصور هى بالبلاغة العربية بأكثر من تأثيرها فيها وهذا البحث محاولة مستكشفة فى هذا المجال ربطتها فنون الأدب وأصلت لها فى تراثنا العربى وما تزال آمال وآمال تنفتح فى هذا المجال.

وهذا البحث خطوات متواضعة تحاول بداية أن تؤرخ للبلاغة العربية من منظور تأثيرها وتأثرها لغيرها من بلاغات الأمم. والتى سماها جلال الدين كلها «بلاغة العجم» قسيمة لبلاغة العرب.

ومن الله العون وبه التوفيق ،،،

***دكتور مصطفى الصاوى الجوينى***

تحريراً فى ٣ / ٧ / ١٩٩٤.

# المبحث الأول

# الفكر البلاغي المقارن

الفكر البلاغي المقارن نلتمسه في تحديدات البلاغة عند أم الحضارة والتي استوعبها الجاحظ في كتابه البيان والتبين حيث يقول عن: البيان للجاحظ جـ٣ ص٢٤

## (معـارف الأمم)

وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس وأما الهند فإنما لهم معان مدونه، وكتب مخلدة، لاتضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف، وإنما هي كتب متوارثة، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة ولليونانيين فلسفة، وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه ( أي أرسطو ) بكيء اللسان غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه. وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس. ولم يذكروه بالخطابة ولابهذا الجنس من البلاغة.

وفي الفرس خطباء، إلا أن كل كلام للفرس، وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم ص٢٥ الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم.

(تفرد العرب بارتجال الخطب) وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة، ولامكابدة، ولاإجالة فكرة، ولااستعانة. وإنما هو أن يصرف وهْمَهُ إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين أن تْمَيَحَ على رأس بئَرٍ أو يجدو ببعير، أو عند المقارنة والمناقلة، أو عند صراع أو في حرب. فماهو إلا أن يصرف وهمة إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا. ثم لايقيده على نفسه، ولا يدرسه أحداً من ولده. وكانوا أميين لايكتبون، ومطبوعين لايتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم

أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر وأقهر. وكل واحد فى نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع. وخطباؤهم أوجز، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ، أويحتاجوا إلى تدارسٍ. وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كان قبله،فلم يحفظوا إلا ماعلق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولاقصد، ولاتحفظ ولاطلب. وإن شيئا الذى فى أيد يناجزء منه لبالمقدار الذى لايعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب، وعدَّ القراب. وهو الله الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون.

ونحن أبقاك الله إذا زدّعينا للعرب أصناف البلاغة، من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج ومالايزودج، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق، من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذى لايستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم فى البيان، أن ص٢٦ يقول فى مثل ذلك، إلا فى اليسير والنبذ القليل ...

**البيان للجاحظ جـ ١ ص١٠٦**

قال مَعْمَر أبو الأشعث: قلت لبَهْلَةَ الهندى وأيام اجتلب يحيى بن خالد أطباءَ الهند مثل «منّكَةَ» و «بازيكر» و «مكبرقل» و «سندباذ» وفلان وفلان ـ: ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال بَهْلَة: عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك، ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها وتخليص لطائف معانيها. قال أبو الأشعث: فلقيت بتلك الصحفية التراجمة فإذا فيها: ص ١٠٧ (البلاغة فى الصفحة الهندية)

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة،. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ، متميز اللفظ، لايكلم سيد الأمة بكلام الأمَة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة. ولا يدقق

المعانى كل التدقيق، ولاينفتح الألفاظ كل التفتيح، ولايصيفها كل التصفية، ولايهذ بها غاية التهذيب، ولايفعل ذلك حتى يصادف حكيما أوفيلسوفاً عليماً، ومن قد تعود حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ قد تطر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة المبالغة، لاعلى جهة الاعتراض والتصفح، وعلى جهة الاستظراف والتظرف؟؟

وقال من عَلِمَ: حقُّ المعنى أن يكون الأسم له طبقاً وتلك الحال له وفقاً، ويكون الأسم له لافاضلا ولامفضولا، ولامقصراً ولامشتركاً ولامضمناً، ويكون مع ذلك ذاكر ألما عقد عليه أول كلامه، ويكون تصفحه لمصادره، فى وزن تصفحه لموارده، ويكون لفظه موافقاً، ولهولك تلك المقامات معاوداً، ويدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلته وتتصرف معه أداته، ويكون فى التهمة لنفسه معتدلاً، وفى حسن الظن بها مقتصرا، فإنه إن تجاوز مقدار الحق فى التهمة لنفسه ظلما، فأودعها ذلة المظلومين. وإن تجاوز الحق فى مقدار حسن الظن بها أمنها، فأودعها تهاون الآمنيين. ولكل ذلك مقدار من الشغل. ولكل شغل مقدار من الوهن. ولكل وهن مقدار من الجهل.

**البيان جـ ١ للجاحظ ص ١٠٢ (تعريفات للبلاغة)**

...قيل للفارسى ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوَصل.

وقيل لليونانى اما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام.

وقيل للرومى: ما البلاغة؟ قال: حسن الأقتصاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.

وقيل للهندى: ما البلاغة؟ قال وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البَصَرُ بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة،

ثم قال: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق بانظر. وقال مرة: جُماعُ البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الحرف بما التبس من المعانى أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تفـدر. ثم قـال: وزيّنِ ذلك كله وبهـاؤه، وحـلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة والألفاظ معدلة، واللهجة نقية، فإن جامَعَ (= وافق) ذلك السنٌ والسّمت (جمال الهيئة) والجمال وطولُ الصمت افقدتم كل التمام، وكمل كل الكمال. وخالف عليه سهلُ بن هارون ــ وكان سهلٌ فى نفسه عتيق الوجه، حسن الإشارة، بعيدا من الفَدَامة (= الغباوة وثقل الروح) معتدل القامة، مقبول الصورة، يقُضى ص ١٠٣ له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة، وبدقة المذهب قبل الامتحان، وبالنبل قبل التشكف ــ فلم يمنعه ذلك أن يقول ماهو الحق عنده، وإن أدخل ذلك على حـاله النقصَ ــ قـال سـهل بن هارون: لو أن رجلين خطبا أو تحدّثا أو احتجا أو لصفا، وكان أحدهما جميلا جليلا بهياً ذالباسٍ نبيلا، وذا حسب شريفا، وكان الأخر قليلا قمئيا، وباذأ الهيئة دميما وخامل الذكر مجهولا، ثم كـان كلاهمـا فى مقـدار واحد من البـلاغة، وفى وزن واحد من الصواب، لتصدع عنها الجمع وعامتهم تقضى للقليل الدميم، على النبيل الجسيم ، وللباذّ الهيئة على ذى الهيئة، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحب، ولصادر التعجب منه سبباً للعجب به، ولكان الإكثار فى شأنه علةً للإكثار فى مدحه، لأن النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيئس، ومن حده أبعد. فإذا هجموا منه على مالم يحتسبوه، وظهر منه خلاف ماقدروه، تضاعف حسن كلامه فى صدورهم، وكبر فى عيونهم، لأن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كله أبعد فى الوهم، وكلما كـان أبعـد فى الوهم كـان أطرف، وكلمـا كـان أطرف كـان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع. وإنما ذلك كنوادر كلام الصبيان، ومُلح المجانين. فإن ضحك السامعين من ذلك أشد، وتعجبهم به أكثر. والناس موكلون

بتعظيم الغريب، واستطراف البديع وليس لهم فى الموجود الراهن القسيم، وفيما تحت قدرتهم، من الرأى والهوى، مثل الذى معهم فى القريب القليل، وفى النادر الشاذ، وكل مكان فى ملك غيرهم. وعلى ذلك زهد الجيران فى عالمهم ص ١٠٤ والأصحاب فى الفائدة من صاحبهم، وعلى هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم، ويرحلون إلى النازح عنهم، ويتركون من هم أعم نفعاً، وأكثر فى وجوه العلم تصرفاً، وأخف مؤنة، وأكثر فائدة.

ولذلك قدّم بعض الناس الخارجيّ (= يريد بالخارجى هنا الذى ساد بنفسه وخرج بجده من غمار العامة إلى بياض الخاصة وكان أول بيته فى مجد الحياة) على العريق، والطارف على التليد.وكانوا يقولون:إذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيباً فإنك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين، إما رجل يعطى كلامهما من التفضيل والإكبار والتبجيل، على قدر حالهما فى نفسه، وموقعهما من قلبه. وإما رجل تَعرضُ له التُهَمَةُ لنفسه منها، والخوف من أن يعطى تعظمه لهما يوهمه من صواب قولهما وبلاغة كلامهما ماليس عندهما حتى يفرط فى الإشفاق ويسرف فى التهمة. فالأول يزيد فى حقه للذى له فى نفسه، والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه، ولإشفاقه من أن يكون مخدوعاً فى أمره. فإذا كان الحب يعمى عن المساوى، فالبعض يعمى عن الحقائق والمحاسن. وليس يعرف حقائق مقادير المعّانى، ومحصول حدود لطائف الأمور، إلا عالم حكيم، أو معتدل الأخلاط ( معتدل المزاج) عليم، وإلا القوى المنُةّ، الوثيق العقدة، والذى لايميل مع مايستميل الجمهور الأعظم والسواء الأكثر.

وكان سهل بن هارون شديد الإطناب فى وصف المأمون فى البلاغة، والجهارة، وبالحلاوة، والفخامة، وجودة اللهجة والطلاوة.

**البيان جـ ٣ للجاحظ ص ١١**

قالوا (أى الشعوبية) : ومن أحب أن يبلغ فى صناعة البلاغة، ويعرف الغريب

ويتبحر فى اللغة، فليقرأ« كتاب كارون» ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والعبر والمُثلات، والألفاظ الكريمة، والمعانى الشريفة فلينظر إلى «سير الملوك»»

فهذه الفرسُ ورسائلها وخطبُها وألفاظها ومعانيها . وهذه يونان ورسائلها وخطبُها وعللُها وحكمها. وهذه كتبها فيم المنطق التى قد جعلتها الحكماءُ بها تعرف السَقَم من الصحة، والخطأ من الصواب. ص ١٢ وهذه كتب الهند فى حكمها وأسرارها وسيرها وعللها. فمن قرأ هذه الكتب عرف غَوْرَ تلك العقول، وغرائب تلك الحكم وعرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة

أما أحمد العسكرى فيدلى بدلوه فى قضية الشعوبية إذ يقارن بين بلاغة العرب والعجم، موسعا ماخطة الجاحظ فى هذا الجانب فى كتابة البيان والتبين، منافحا عن العربية ومهاجما الشعوبية.

ص ٢١٣ من التحفة البهية والطرفة الشهية. طبع فى مطبعة الجوائب قسطنطينية سنة ١٣٠٢هـ الرسالة السادسة عشرة،

فى التفضيل بين بلاغتى العرب والعجم. صنعة أبى أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد العسكرى

كنت ذكرت لك أسعدك الله إكثار الناس قديما وحديثا فى وصف البلاغة وتصريفهم القول فى أقسامها وأنواعها وأنها ألفاظ يعبر بها عن المعانى. فمنها مايكون فى النظم. وفيها مايكون فى النثر ويكون فى المكاتبة والرسائل والخطب التشبيهات والأوصاف وفى والسؤال والجواب وغير ذلك فأما بلاغة الشعر فعذوبة الألفاظ وتقريب المعانى واتساق النظم ورشاقة المعرض كقول النابغة:

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقول امرىء القيس في وصف فرسه والتشبيه

بقيد الأوابد وقول الأعش          فهم ساكتون والمنية تنطق

ومنها مايكون بإصابة المعنى وقرع الحجة وكشف الغزل والأصل عندهم فيها أنها ألفاظ يعبر بها عن المعانى فأحسنها مايزيد فى كشف المعنى مع اختصاره بأقل مايمكن من العبارة بأعذب الألفاظ وأخفها على الأسماع وأقربها إلى القلوب (الفصول الكتابية) ثم ذكرت لك أن البلاغة ليست مقصورةعلى أمة دون أمة ولا على ملك دون سوقة ولا على لسان دون لسان بل هى مقسومة على أكثر الألسنة فهم فيها مشتركون وهى:

ص ٤١٢ موجودة فى كلام اليونانية وكلام العجم وكلام الهند وغيرهم ولكنها فى العرب أكثر لكثرة تصرفه فى النثر والنظم والخطب والكتب والسجع والمزدوج والرجز وهم أيضا متفاوتون فيها فقد يكون العبد بليغا ولا يكون سيده وتكون الأَمَةُ بليغه ولاتكون ربتها فالبلاغة قد تكون فى أعراب البادية دون ملوكها وقد يحسنها الصبى والمرأة.

ومما يدل على أن البلاغة مشتركة ماأخبرنا أبوبكر بن دريد قال قيل ليونانى: ما البلاغة؟ فقال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل لبعض الفرس ما البلاغة؟ فقال معرفة الفصل من الوصل. وقيل لهندى ما البلاغة؟ فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة. وقيل لرومى: ما البلاغة ؟ فقال: مافهمته العامة ورضيته الخاصة. قال الشيخ أبو أحمد ومن عجيب مافيه وبعد تنافيه أن يأتى بدوى أمى حلف جاف فيبتدع بفكره وقريحته المعنى البديع والتشبيه المصيب والسؤال اللطيف والمدح الشريف الغزل الرقيق والهجاء الموجع والذم المفلق بنظم عجيب وقواف منتظمة وأوزان تامة وأقسام معدلة وألفاظ فصيحة عذبة يشتهى سامعها أن يحفظها ثم يشتهى أن يحاضر أهل المروءات بها متمثلا أو شاكراً أو عاتبا أو مهنياً أو

مغرياً فلايزداد على الدهور إلا نضارة وجدة ويكون من خلا منها ناقص الأدب والمعرفة كقول امرىء القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وكقول النابغةك فإنك كالليل الذى هو مدركى

وكقول الحطيئة: لايذهب الفرق بين الله والناس

ثم يجتهد العرف المصيب والعالم الأديب والريض الحاذق أن يدرك شأوه فلا يشق غباره. أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنى أبوحاتم عن العتبى قال سئل بعض العلماء عن حد البلاغة فقال: التقرب من معنى البغية والتباعد من حشو الكلام والدلالة بقليل على كثير. قال الشيخ وأكثر ماعليه الناس فى البلاغة أنها الاختصار وتقريب المعانى بالألفاظ القصار والاقتصار على الإشارة إلى معانيها والدلالة بالقليل على الكثير وقد سئل بعضهم عن ذلك فقال: لمحة دالةوإلى هذا ذهب أكثرهم فى الحذف والاختصار.

ص ٢١٦ وكذلك جعل امرىء القيس إحضار فرسه وسرعة لحاقه للصيد وأن الأوابد لاتطمح فى التخلص منه فجمع هذا فى قوله:

قيد الأوابد. وكذلك قول زهير إن الجواد على علاته هرم

ففى قوله «على علاته»ماينوب عن كل مانع. وكذلك قول الأعشى ـ فهم ساكتون والمنية تنطق وهذا يكثر وفى ما أوردناه بلاغ.

ومن ذلك أيضا قول الحجاج لابن القرية وكان أبلغ الناس وأنطقهم فى زمانه فأرسله الحجاج إلى هند بنت المهل وقال: أبلغها طلاقها بكلمتين لاثالث لهما فذهب إليها وقال لها: كنت فبنت. فعرفت ما أشارإليه وأجابت بما يقرب منه وقالت:«مافرحنا به إذا كان ولاحزنا عليه إذبان» وهذه وإذن زادت فى الألفاظ فقد استوقفت المعنى وقرعت المراد ولهذا وقع جعفر بن يحيى إلى كتابه:«ليكن

كلامكم فى كتبكم مثل التوقيع» يحصن بذلك على غاية الحذف والاختصار.

ومن هذا: إن المأمون أمر عمرو بن مسعدة الكاتب أن يكتب لرجل له به عناية إلى بعض العمال بقضاء حقة وأن يختصر كتابه ماأمكنه حتى تكون كتابته فى سطر واحد بلا زيادة فكتب عمرو «كتابى إليك كتاب واثق بمن كتب إليه معنى بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله».

ومن هذا: ماكتب الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى الحجاج وقد تلكأ عن بيعته:«أما بعد فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذ أتاك كتابى فاعتمد على أيتهما شئت والسلام».

وسأذكر فى هذا الموضع صدرا من الفصول المختارة من غير اللسان العربى ثم أذكر بعده صدراً من الفصول العربية مما يصلح للمذاكرة ويبعث على النشاط فإذا قرأها قارىء دلت على أنفسها فى الإيجاز والحذف والجمع للمعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة: فمن ذلك قول سقراط (دل الجسم على صانعه)فجمع بثلاث لفظات خفاف معانى كثيرة جليلة القدر لأن الجسم يدل على أنه لم يصنع نفسه وأن له صانعاً حكيماً كما يدل البناء على البانى والكتاب على الكاتب فانظركم بين هذا وبين مايحكى عن بعض ملوكهم أنه سئل: ما الذى يدل على معرفة الله ويثبت العلم بالغيب فقال: إن لكل ظاهر من صغير أو كبير علماً فهو يصرفه ويحوطه فمن كان معتبرا بالجليل من ذلك فلينظر إلى السماء فيعلم إن لها باريا مجرى فلكها ويدبر أمرها ومن اعتبر .....

ص ٢١٦ فينتظر إلى حبة الخردل فيعلم أن لها مدبرا ينشئها ويركبها ويقدر لها أقواماً من الأرض والماء ويوقت لها زماناً لهشمها وأمر النبوة والآيات ومايحدث فى أنفس الناس من حيث لايعلمون ثم اجتماع العلماء والجهال والمهتدين والضلال على ذكر الله تعالى وتعظيمه واجتماع من شك فى الله وكذب به على أنهم لم

يحدثوا أنفسهم فكل ذلك يهديك إلى الله ويدل على أنه أنشأ الخلق ودبر هذه الأمور.

قال الشيخ وهذا الكلام على طوله قد انتظم أكثر معانيه فى قول سقراط دل الجسم على صانعه.

وقال الإسكندر:«وعظك فكرك وأرشدك عقلك حين حيّرك سمعك وغشك مخبرك وإن الإنسان باختلاف المسموع يتحير ويضل بغش المخبرين ويسومهم فى مايخبرون به فيميز له عقله الصواب من الخطأ ويرشده إلى الحقائق ويخرجه من الحيرة» .وقال مطلب العراقى للإسكندر:«أخلاقك تجعل العدو صديقا وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد لك عدم مثلك فى ما كان بعدم مثلك فى مايكون» .

قال الشيخ:«فانظر الآن كم معنى حسن تحت هذه الألفاظ القليلة يعنى أن حسن خلقه يرد عدوه إلى صداقته وإن عدل حكمه لا يفرق بين عدو وصديق وان عدم مثله فى ماضى الدهور قد شهد بأن مثله لا يكون فى مستقبل العصور» وهذا كلام منقول إلى العربية ولعله بلغته كان أفصح وأحسن.

ولما شاور أبو مسلم بعض الفرس فى أمره قال له:«قل مايقبل وخذ مايسهل واعمل مايجمل» فجمع له بهذه الكلمات الثلاث أكثر معانى السياسة.

وفيما يروى أن بعضهم رأى شاباً لا أدب له وعليه خاتم ذهب فقال:«حمارٌ عليه لجام ذهب» .

ونظر إلى شاب أحمق قاعد على حجر فقال :«هذا حجر قاعد على حجر» . وقال ارسطاطا ليس :«الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال» . وقال :«غير محب الشرف هو الذى يتعب نفسه بالنظر فى العلم» . وقال سقراط:«اللذة خناق من عسل» ورأى سقراط طبيبا جاهلا فقال:«هذا مستحثٌ» يعنى يُعجِّل بمن يعالج

إلى الموت. وقيل لبعض تلامذته «قد مات أستاذك» فقال : « الويح لى لقد ضاع بىَّ عقلى»

ص ٢١٧ قال الشيخ: وهذا أكثر من أن يحصى فى كلام العجم ولا سيما فى علمائهم ووزرائهم الذين أخرجوا كلامهم مخرج التوقيع. فمن ذلك مايحكى أن أنو شروان وقع إلى ولاة الخراج: «الخراج عمود الملك وماستفزر بمثل الجور ولا استفزر بمثل العدل». ووقع أيضا فى رقعة رجل وكيل له أمره ببناء قصر فأخره: «أنت ماشٍ والأيام راكضة والعمل باع والعناية فتر» ووقع أيضا فى رقعة مهر فان له أمره بتقدير بناء بالفارسية « دروز حذوذ» وقد استوفى بهذا المعنى ماقيل فى العربية فى أمثالها: «من يسمح نملِ» قال الشيخ وأبيات الشعر كَثرت أمثال العرب وزادت على أمثال سائر الأمم وإن كان فى غير العرب الشعر أيضا على قديم الوقت فللفرس أشعار لاتضبط كثرة ولليونانيين أشعار دون الفرس. وكان أفلاطون بعض من يقول الشعر ويقول فى ذمه إن الشاعر مصور للسمع والمزوق مصور للبصر. فأما الفرس ففى منثور أخبارهم وذكر حوربهم أشعار كانت تدون وتخلد فى الخزائن التى كانت بيوت الحكمة ثم درس أكثرها مع درس كلامهم وبقى من أشعار العرب السوائر من الأمثال تجرى على أفواه أهل زمانهم. وحكى أبو عبيدة فيما حكى عنه أبو حاتم أنه أوصل إلى أحمد بن سعيد بن سهل الباهلى أربعة عشر ألف مثل عربى بعضها فى الجلود وبعضها فى القطنى وبعضها فى القرطاس فتفردت العرب من بين الأمم بكثرة الأمثال. وسمعت أبا بكر بن دريد يقول اجتمع فى ديوان صالح بن عبد القدوس وهو رجل من شعرائهم ألف مثل للعرب وألف مثل للعجم. فمن توقيعات العجم توقيع أردشير بن بابل وكان أهل زمانه قحطوا فرفعوا إليه قصة يشكون ذلك فوقَّع إلى صاحب بيت المال: «إذا قحط المطر جادت سحائب الملك ففرق فيهم ماقاتهم ومانَهمْ» وشكى مثل ذلك إلى قباذين كسرى فوقعَّ «ليكن بنى البر للرعية والإحسان إليهم فإنى وإياهم فى نفع ذلك

مستوون» ومدح رجل من كسرى بن قباذ بمدح أطنب فيه وأسهب وذهب كل مذهب وكان المدح فى رقعة فوقع فيها كسرى«إنى للمدح مستصغر لعلمى بأشياء قد مدحت وكانت بأن تذم محقوقة» . ووقع أنو شروان فى رقعة: «فتنصح ثموات النصائح شكر الجوارح وخرج التوقيع إلى وزيرله فأمر له بجائزة وأثنى عليه وقال قد جمعنا إلى ص ٢١٨ : شكر اللسان شكر اليد وهو البذل. ووقع كسرى فى رقعة رجل سأله فيها:« النقلة عن صناعته إلى صناعة غيرها وكانت صناعته خسيسة فاختار صناعة رقيقة فوقع فى رقعته«أنا حامل للرعية على لزوم منزلتهم وصنائعهم ولنفسى على مايحمل على اللزوم لها» ورفع إليه بعض خدمه رقعة فيها أن إنساناً من العامة دعاه إلى طعامه وشرابه وأنه أطعمه طعام الخاصة وسقاه شرابها قال: فرأيت ألا أستر هذا عن الملك لأنه خلل فى المملكة فوقع فى رقعته: «قد حمدناك على نصيحتك وذممنا صاحبك لسوء اختياره الإخوان» .

ومن حد البلاغة:«جمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة فقد سئل خلف الأحمر فقيل له:«مالنا نرى فى الكلام القليل عدة معان فقال: «إن كلام العرب أوعية والمعانى أمتعة فربما جعلت ضروب من الأمتعة فى وعاء واحد» . وقال أبو الهذيل العلاف لبعض من ناظره: «هذا كلام فارغ» وأخبرتى أبو بكر بن دريد قال: أخبرنا الحسن بن حصر عن حماد بن اسحاق عن أبيه قال، قال معاوية لصحار العبدى:«ما البلاغة؟ قال أن تقول فلا تبطىء وتصيب فلا تخطىء» وحكى عن جعفر بن يحيى وكان قريح دهره بلاغة فى المكاتبة وجودة لسان فى المخاطبة أنه قال:«إذا كان الأيجاز كافياً كان التطويل عيّاد وإن كان التطويل واجعاً كان التقصير عجزاً وحكى المفضل قال، قلت لأعرابى ما البلاغة؟ فقال: الأيجاز من غير عجز والإطناب فى غير خطل» ووصف الجاحظ يحيى بن خالد فقال :«كان يتوقف ولايستدعى معنى من بعد» قالوا والبليغ الكامل هو الذى تكون الألفاظ عنده عزيزة والمعانى فى نفسه جمة كثيرة» . قالوا ومحصور البلاغة أن لها ثلاث حالات: حالا

يحتاج إلى النظر فى المعانى من أجلها وحالاً يحتاج إلى النظر فى الألفاظ وحالا مركبة من الألفاظ والمعانى وهى ذات البلاغة التى تختص باسمها وللبلاغة ثلاثة مذاهب تقصد فى استعمالها أحدهما المساواة وهى أن يكون اللفظ كالقالب للمعنى لايفضل عنه ولاينقص منه والثانى الإشارة وهو أن يكون اللفظ مشاراً به إلى المعنى باللمحة الدالة والثالث التبديل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بصيغه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند ص ٢١٩ من فهمه ولكل واحد من هذه المذاهب موطن يليق به ووقت لايصلح فيه غيره وسأذكرها ههنا صدداً من الفصول القصار من كلام العرب وغيرهم مما يتضمن الفقر المختارة والمعانى المجموعة باللفظ القليل فمن ذلك قولهم «قيمة كل إمرىء مايحسنه» وأخبرنى ابراهيم بن حميد الكلارى قال سمعت ابن أبى أحمد يحكى عن أبيه قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ يقول:«إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: ست كلمات ماسبقه إليها أحد توزن كل كلمة منها بألف كلمة قال: فكنت أسأله عنها كثيرا فقال لى بعد مدة: **الأولى** قوله: قيمة كل امرىء مايحسنه. **الثانية**: الناس أعداء لماجهلوا، **الثالثة**: يقتضيك ماعودته. **الرابعة**: رحم الله امرءاً عرف قدره، **الخامسة**: لا رأى لمن لا يطاع، **السادسة**: المرء مخبوء تحت لسانه. ومنها قولهم: السفر ميزان القوم والعروض ميزان الشعر. وقول عمر رضى الله عنه: هاجروا ولاتهجروا والسعيد من وعظ بغيره. وقولهم السعيد من كفى. وقولهم إياك وما تقتدر منه. وقولهم رب ساع لقاعد. رب ملوم غير مليم .ربما قتل البليغ لسانه. العيون عنوان القلوب. القلوب أبصر من العيون. من ضاق قلبه اتسع لسانه. وقول الأعرابى وقد سأله بعضهم عن حُضُير فرسه فقال: يحضر ماوجد أرضا. وقال آخر: يسبق الطرف ويستغرق الوصف. عوج اللبان طوع العنان. كأنه موج يمور أوسيل فى حدور. وقولهم: الفكرة مح العمل. وقيل الأعرابى إنك لمحسن الكدية فقال: ذاك عنوان نعمة الله عندى. وقولهم: حسبك من شر

استماعه. دل الشر على نفسه. البادى أظلم . حفظ الموجود أيسر من طلب المفقود. من عزيز. سرك من دمك. غنم سالم. سئل رجل ركب البحر عن أعجب مارأى فقال سلامتي. بشر وامق لاكثر منافق الملق شكر الضعيف. الصديق يصدق والعدو يتملق. اقض ديون الإحسان إليك باللسان قبل فقد الإمكان. من واكللك فى الرخاء خذلك فى البلاء . عجبا للخير الممدوح المتروك والشر المذموم المفعول. من نم إليك نم عليك. من أساء استوحش. ساعات اللذة هى ساعات الغفلة. قال الشيخ هذا مثل قول سقراط اللذة خناق من عسل. عند صفو العيش يكدر. المريب مخيف المحبوب مذكور. من لك باخيك كله. صديق.

ص٢٢٠ : الرجل عقله وعدوه جهله وقال الشيخ ومثل هذا قول ارسطاطاليس فيما يرد على أفلاطون «إن كان أفلاطون لنا صديقا فالحق أصدق لنا منه» .

(فصول كتابية) كتب بعضهم قلبى نجى ذكرك ولسان خادم شكرك. وكتب أخر فلان أذل من شاهد زور عند من شهد له. وقال يحيى بن خالد العقل خادم الجهل. وقال آخر الاستطالة لسان الجهالة. وكتب الحسن بن سهل فى استزادة العمارات خرير الماء لحق العمارة. كتب بعضهم إلى عامل: اعلم أن النظر إذا أخلف لك أخلف منك. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد كان جرى ذكر البلاغة مقدار علمه فاضلا عن مقدار لسانه. وقال آخر فضل الفعال على المقال مكرمه وفضل المقال على الفعال خديعه. وقيل لابى دواد الايادى فى بنته اهتنها ياأبا داود فقال اهتنها بكرامتى كما اكرمتها بهوانى. وقال يحيى بن خالد ترك الشكر كفر النعمه. وقال آخر الشكر نسيم النعمه. الهيبه خيبه الحياء حرمان. الحكمه ضاله المؤمن. وقال اسحاق يوما للعباس بن الحسن انى لاحبك فقال رائد ذالك معى. قرأت فى فصل لسعيد ابن حميد نحن فى زمان المعروف فيه ذلك والصواب فيه خطل والانعام مثل. وقال بعض البلغاء قد رخصت الضرورة فى

الالحاح. ارجو ان تحسن النظر كما احسنت الانتظار. وكتب اخر العذر واجب فرأيك فيه. الاعتذار خير من الاغترار. حكى الحولى قال اخبرنى الغلابى قال سمعت احمد بن يحيى يقول لسان الحال افصح عن لسان الشكوى. وكتب اخر اشكر لن انعم عليك وانعم على من شكرك ـ وكتب أخرّ اذا كنت لاتؤتى من نقص كرم وكنت لا اوتى من ضعف سبب فكيف أضاف منك خيبة أمل أو عدولا عن أغتغار زلل أو فتورا عن لم شعث واصلاح خلل. كتب آخر انا اسأل الذى رحم العباد بك على حين افتقارهم اليك ان يرحمهم من بعدك فلا يعيدهم الى المكارة التى استنفذهم منها بيدك. وقال الحسن بن وهب للمأمون فى رجل مذنب هبه لى فقال كيف لا اهبه لمن به قدرت عليه. وسمعت جحظه يقول سمعت عبيد الله بن طاهر يقول القلم يحرك وش المملكه. ونظر عبيد الله بن طاهر الى خط بعض ص ٢٢١ كتابه قلم يرضه فقال نحوًا هذا عن مرتبة الديوان فإنه عليل الخط ولا نأمن ان يعدى غيره. وقال ابراهيم بن العباس الصولى الخط لسانااليد وقال يحيى بن خالد مطل الغريم أحسن من مطل الكريم. وكان يحيى يقول من حقوق النبل ان تتواضع لمن هو دونك وتتصدق على ضعيف وتتصف من هو مثلك وتتنبل على من هو فوقك. وكان يحيى اذا اكل وقد علق يدة قال ياغلمان ردوا علينا ايدينا.

ومن القرن الثالث إلى القرن الخامس حيث الثعالبى ولديه مادة خصبة للبلاغة المقارنة.

إن الثعالبى واحد من أفذاذ الأسلوبين العرب الذين ظلمهم النقاد فقيل عن مؤلفاته إنها لم تكن ذات إفادة علمية كبيرة، وهكذا حظ من يسبقون عصورهم بأفقهم المتسع وبصيرتهم النفاذة ولا يفهم فكرهم معاصروهم بل ويمتد الظلم إلى مابعد عصورهم مادام الناقد حصر نفسه فى مجال ضيق فلا هو فى مستوى القدماء بل دونهم ولا هو مع المعاصرين بل متخلف عن ركبهم.

ونعود للثعالبي ونضع كتبه كلها ـ مهما تنوعت معارفها ـ تحت نظرة محلقة وجامعة. فنجد الرجل يتجه وجهات ثلاث فى درسه لعلم النص العربى.

**اتخاذ أسلوبى ذو شقين..** شق إفرادى يعرض فيه ألفاظ اللغة وقد دارت حول معان مثل: الطول والضخامة.. والثقل.. الخ.. متعقبا مما يعرف عند أصحاب المعاجم بمعجم المعاني، وهو يصغ هذا المعنى فى متناول الأديب ذى الموهبة يلتقط منه مادته في يسر وسهولة، وتحت يد الدارس الذى يحاول تفهم العربية وسرها.

**والشق الثاني:** من هذا الاتجاه الأسلوبى هو تركيبى، يبين الدلالة اللغوية للألفاظ فى سياقتها التركبية فى سياقاتها التركيبية وهذا هو المستوى الأول، والمستويان الثاني والثالث يعرض فيهما سريعا وخفيف لأوليات فى علم النحو والصرف. أما المستوى الرابع.. فهو الصور البلاغية فى التراكيب العربية مما تفرق فى علوم البلاغة الثلاثة من معان وبيان وبديع.

وهذا الاتجاه الأسلوبى مرحلة أولى يمر بها الأديب المبدع متخيرا اللفظة مفردة أو مركبة فى صياغة عربية صحيحة، ثم هى كذلك مرحلة أولى لشادى الأدب في محاولته فهم النص الأدبى وفق خصائص النظم العربى.

**ثانياً: الاتجاه التطبيقي أو العملي.** وهنا يعمد الثعالبى إلى النصوص الأدبية فيعرضها فى وفرة غامرة من القرآن والحديث والشعر بمختلف أغراضه والنثر فى بعض فنونه، ويبرز من عرضه للنصوص وتحليلها أنه يعلى من قيمة الجمال البديعي، لموسيقاه وإيقاعه الصوتى وزخرفته الشكلية ويتلوه قيم علم البيان فى صورة تشبيه واستعارة وكناية، أما المعاني فالإيجاز عنده له الصدارة الجمالية وهو يزاوج بين أكثر من صورة بلاغية مستنبطا لها من النص الأدبى وهذا يعنى أن القيمة الجمالية مستخرجة من النص لاحقة به وليست تنظيرا سابقا عليه شأن البلاغيين المنظرين، ويعنى هذا أيضا أن الأديب يبدع صناعته وأن الأسلوبى يكتشف سر جمالها وأنت تلحظ أن الثعالبى فى دراسته للنص الأدبى قد طلب سلم المراتب التى استقر عليها

أصحاب العقلية فى البلاغية العربية وإساسها السكاكى، تلك التى سيطرت على علم النص العربى نحو ثمانية قرون بملخصاتها وحواشيها وتجريداتها وتقاريرها ... الخ .. وجاء الثعالبى فجعل موسيقى اللفظة أولا فى البديع، ثم الصورة والخيال فى البيان، ثم الاقتصاد فى العبارة فى المعانى..

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الثعالبى أعطى أهمية قصوى للاقتباس ووسع من مفهومه بحيث يمكن بلا تكلف أن نعده توطئة لظاهرة التناص المعاصرة بمعنى حوار النص المقتبس، أو التوليد منه.. وفى نهاية المطاف فانك تضع النص المبتدع فى سياقاته الأدبية، وتعد هذه المرحلة الثانية فى الاتجاه التطبيقى أو العملى وهى مرحلة التذوق الجمالى لكل من الأديب المبدع والمتلقى الدارس على أن الرجال كان من سعة الأفق الأدبى بحيث انتقل من مرحلة الابداع والفهم الأدبى فى الاتجاه الأسلوبى إلى مرحلة الأحساس الجمالى بالنص فى المرحلة الثانية الموسومة بالاتجاه التطبيقى أو العملى.. ويعمق الثعالبى هذه المرحلة الإحساسية باتجاه ثالث هو:

## الاتجاه الأدبى:

وهو اتجاه مثلث الأضلاع قاعدته الأدب العربى العام وضلعاه الأدب ـ العربى المقارن، و المستفاد من هذا فى النقد الأدبى أنه لا إبداع ولا فهم ولا ذوق لنص ما إذا لم تصغه فى سياقه وإطاره الأدبى العربى والمقارن والثعالبى يعد من غير شك من رواد المسح الأدبى العربى فى بيئاته من أقصى المشرق إلى المغرب، إنساح الرجل فى كتابه (يتيمة الدهر) مع الأدب العربى فى بيئات المسلمين من فارس وشبه الجزيرة العربية، والعراق، ومصر والشام، والمغرب والأندلس، وعرض صورا أدبية من فنون الشعر والنثر وإن كان الشعر أغلب. وترجم للأدباء تراجم تراوحت بين الاتساع ـ مثلما صنع مع المتنبى ـ أو التوسط أو الأيجاز وهو يقدم خصائص الأديب وسمات أدبه ويعطى مختارات من أدبه يحفها النقد أو التحليل البلاغى وفيه هذا الاتكاء على الجمال البديعى والصورة والإيجاز، ولعل ماحفلت به كتب الثعالبى من ثروة

أدبية غربية تلك شعره ونثره ويقدمها نصوص القرآن والحديث، ولا يفوتنى أن أشير إلى أن الثعالبى هذا المتعمق للأدب العربي ودرسه كان أديبا مترسلا، وله شعر دون رسائله هذه اذن قاعدة المثلث المدرس للأدب العربى العام فى مختلف أحكامه. أما الأدب المقارن، وهو أضلاع المثلث فيؤكد على أن الثعالبى كان يفهم حق الفهم الأدب المقارن سواء بمذهب التلاقى لأدبين بلغتين مختلفتين فى فترة زمنية وبيئة معينة أو بمذهب المشابهة الموضوعة والفنية فهم معنى المقارنه فى اللغة، وفى الأدب ولدينا كم هائل من مترجمات أدب الحكمة اليونانية ومن الأدب الفارسى وكانت له به عناية خاصة لاتقانه الفارسية وترجمته منها إلى العربية ومن العربية إليها، وكان النص الأدبى الفارسى يكمل النص العربى فى الشعر سواء بشطرة من بيت أو بيت كامل أو أحيانا يقدم المقطوعة العربية مترجمة عن نص فارسى يثبته بعدها أو يزاوج بين نصين أحدهما فارسى وثانيهما عربى، مثلما نجده فى أدب التلمّيع أو ماعرف فى الفارسية بالملمعات وشهر به سعدى الشيرازى وغيره.

وفى أحدث الأفكار الأدبية نجد مثل «ويلك» يمزج بين الدرس الأدبى العام، والمقارن، والنقد وهذا ماصنعه الثعالبى حين أثار فى مجال النقد مسائل تنوعت بين السرقات أو البيان الأدبى العام الذى يوضع بجانب أى نص لبيان قيمته.

ومن المسائل التى أثارها أيضا الرياضة الأدبية والتى تتمثل فى فكرة نثر النظم وحل العقد فينثر الأديب الشعر فى صياغة أدبية مفتننة أو يلون الأديب المترسل رسالة أدبية ويشكل تشيكلات صياغة نثرية متعددة، وهذا الارتياض الأدبى وسيلة من وسائل ترقيق الذوق وإرهاف الحاسة الأدبية والنص الأدبى يتمثل لدى الثعالبى فى الأنواع الأدبية.

**القرآن الكريم**: باعتباره نصا أدبيا متميزا بجانب أنه كتاب الله وشريعة المسلمين، ثم الحديث النبوى، وأدب النبى ﷺ والصحابة من رسائل وخطب وحوار، وأمثال وحكاية، ثم الشعر فى مختلف عصوره وعلى مختلف ألوانه، والأدب المترجم، وكتابات الكتاب العرب إلى عصر الثعالبى.

وتتعدد طرائق ومناهج نقد النص عند الثعالبي، بين نقد طبقي يعتبر الطبقة التي ينتسب إليها الأديب، وبدهيٌ أن يقوم الإبداع فيه على الارتجال، ونقد تأثيري، ونقد فني معلل، أو نقد مقاييسه البلاغية أو نقد المعارض والذى يكتفي فيه بعرض النماذج الأدبية الرائعة ترتاضها الأذواق وتنطق بذاتها عن جمالها، وكانت ثمرة معالجات الثعالبي للنص الأدبي العربي وفق هذا التصميم الأدبي الذى ارتآه أن أعطانا ثلاثة أذواق أدبية في آن معا: الذوق الأدبي العربي العام، ثم الذوق الأدبي الخاص في بيئة المبدع ثم الذوق الذاتي للثعالبي الأديب.

وإذا كان الفكر البلاغى المقارن يلتمس عند علمين من أعلام التراث أحدهما الجاحظ فى منتصف الثالث الهجرى والثانى الثعالبى فى القرن الخامس فإنا ننتقل سريعا إلى العصر الحاضر حيث يحاول الدكتور طه حسين لمح التأثيرات الأجنبية وبخاصة اليونانية فى البلاغة العربية. ولقد شق بهذا البحث المسار الأول فى الدرس البلاغى المقارن.

# البيان العربى
# من الجاحظ الى عبد القاهر[١]
## لطه حسين

عند ما أخذ الجاحظ يناضل الشعوبية، قريبا من منتصف القرن الثالث ، أعلن فى شيءٍ من المجازفة من التفكهة لسذاجتة أن اليونان لم يظهر فيهم من يستحق أن يسمى (خطيبا) . وقد يتنزل فيعترف لهم بالزعامة فى الفلسفة ألا أنه ينعت أرسطو نفسه فى كتاب البيان والتبيين (بأنه بكيء اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه) ثم يقول (وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس، ولم يذكره بالخطابة ولابهذا الجنس من البلاغة[٢]) .

ويؤكد الجاحظ فى موضع آخر آن «البديع» وهو لفظ كان يطلق لذلك العهد على وجوه البلاغة كلها ، أمر خاص بالعرب مقصور عليهم، وأن سواهم من شعوب الأرض كان يجهله جهلا مطلقا[٣] .

فالفرس عنده قوم لهم بلاغة، ولكنها بلاغة مصنوعة متكلفة متعملة، لايصل اليها الخطيب إلا بعد كثير من الدرس والتفكير، وبعد أن يحاول أن يحكى من تقدموه. فى حين أن البلاغة العربية مرتجله طبيعة، كأنها الماء يتفجر من ينبوعه، هذا الى أن الرسائل التى يضيفونها الى الفرس غير مقطوع بصحة نسبتها اليهم، وينبغى الاحتراس ممن اشتهر بالكتابة من الموالى كابن المقفع، وعبد لحميد، وأبى عبيد الله، وغيرهم ممن لايشق عليهم أن يضعوا هذه الرسائل وينحلوها القدماء[٤] .

---

(١) ترجم هذا لبحث عبد الحميد العبادى عن الأصل الفرنسى الذى وضعه طه حسين ونشر الى يسار هذا الكتاب.

(٢) البيان والتبيين ج٣ ص١٢ .

(٣) البيان والتبين ج٣ ص ٢١٢.

(٤) البيان والتبيين ج٣ ص١٣ .

وأما الهند، فيقول الجاحظ أن « لهم معاني مدونة وكتبا مجلدة لاتضاف الى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف فهى كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة كذكورة[١] ».

فهل نستخلص من هذه النبذة كلها أن ذلك البياني الكبير كان شديد الجهل بآداب الأعاجم؟ لقد كان الجواب عن هذا السؤال يكون (نعم) لولا أننا نعرف صاحبنا، ونعرف ما يتصف به من حب للمفارقة والأغراب، ومن حماسة متقدة صادقة في الانتصار للعرب على خصومهم من الأعاجم قد تؤدى به الى التناقض. والواقع أن الجاحظ بأيراده كل هذه الغرائب قد نسى أو تناسى أنه تحدث الينا فى الجزء الأول من هذا الكتاب نفسه عن تصور الأعاجم للبلاغة فقال « قيل للفارسى، ما البلاغة؟ قال معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني، ما البلاغة؟ قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومى، ما البلاغة؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الأطالة. وقيل للهندى، ما البلاغة؟ قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة[٢] ».

ويتحدث الينا الجاحظ أيضا أن معمرا أبا الأشعث سأل بهلة، وكان من أطباء الهند الذين استقدمهم يحيى بن خالد البرمكى « ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال بهلة، عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لاأحسن ترجمتها لك، ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسى بالقيام بمضايقها وتلخيص لطائف معانيها. قال معمر، فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها ... » ثم يورد الجاحظ ترجمتها بعضها على أقل تقدير[٣].

---

(١) البيان والتبين ج٣ ص ١٢.

(٢) البيان والتبيين ج١ ص ٤٩.

(٣) البيان والتبيين ج١ ص ٥١–٥٢.

فالجاحظ إذاً لم يقل ما قال إلا بعد أن سمع شيئا يروى عن آداب الأعاجم وبلاغتهم، ولكن من المرجح جدا أنه لم يع منها سوى صورة غامضة غير دقيقة، وأنه إنما عرف إرشادات لاقواعد ، وشذرات لاكتبا، ومن المؤكد أنه لم يعرف شيئا عن (كتاب الخطابة) لأرسطو، وكلما عرض لذكر المعلم الأول، وقليلا ما يفعل ذلك، لم يذكر له سوى التعريف المشهور «الأنسان حى ناطق».

ومع ذلك فالعرب لم يخطئوا حين عدوا الجاحظ مؤسس البيان العربى، وليس ذلك لأنه قد وصل بجهده الخاص الى قاعدة بيانية بعينها، فشخصيته القوية تكاد تكون معدومة فى كتابه (البيان والتبيين) ولكن لأنه قد جمع فى هذا الكتاب طائفة من النصوص توضح لنا توضيحا حسنا كيف كان العرب يتصوّرون البيان فى القرن الثانى والنصف الأوّل من القرن الثالث، وتعطينا صورة مجملة لنشأة البيان العربى وأن لم تسمح لنا بتأريخ هذه النشأة. وأن من يكلف نفسه عناء قراءة ( البيان والتبين) على ضخامته وخلوه من النظام، يصل الى هذه النتائج الثلاث .

(أولا) أن العرب من نهاية العصر الجاهلى أخذوا يخضعون صناعة الكلام لنقد أولى، ولكنه فى أغلب الأحوال سديد لأنهم كانوا يعولون فيه على سلامة الذوق. ولقد بلغ بهم الأمر ان استكشفوا عيوبا فنية فى النظم ووضعوا من النصح والإرشاد ما قد يفيد كلا من الخطيب والشاعر فى صناعته. فهم مثلا يحذرون الشاعر من أن يتورط فى عيوب معينة قد تلحق القافية، ويعرفون كيف يؤاخذونه فى حالى الغلو والتقصير، ثم هم يتقدّمون الى الخطباء أن يراعوا مقتضى الحال، فيوجزوا أو يطيلوا على وفق المقام، وأن يفتتحوا خطبهم بحمد الله والثناء عليه، ويوشحوها بأى من الذكر الحكيم. وكتاب (البيان والتبيين) حافل باقتباسات من الشعر والنثر، كلها تدور حول هذه الصورة الموجزة لأسلوبهم فى النقد، وكلها تصعد الى أواخر العصر الجاهلى والقرن الأول للهجرة.

(ثانيا) أن العرب منذ القرن الثانى أخذوا يعنون بصناعة الكلام عناية شديدة، وقد دفعهم الى ذلك أمران: أولهما ما كان بين الأحزاب السياسية فى ذلك العصر من صراع تحول الى عقيدة نظرية فى الكوفة والبصرة، أكبر أمصار العراق فى ذلك الزمان. وثانيهما الحركة الفكرية القوية التى ظهرت فى ذلك العهد نفسه، فلم تكن مساجد الكوفة والبصرة يؤمئذ مجرّد مساجد يتعبد فيها المسلمون ويفصل فى أقضيتهم، بل كانت فوق ذلك مدارس يغشاها العلماء لتدريس اللغة والنحو والحديث والفقه، والأخباريون ليقصوا على سامعيهم أخبار المغازى والفتوح والفتن، وزعماء الأحزاب السياسية والفرق الدينية للجدل والمناظرة. وكان يجلس الى هولاء جميعا أفناء من الناس ما بين مسلم، ويهودى، ونصرانى، ومجوسى، وما بين عربى عاطل مزهو طموح تستهو به فصاحة اللسان، وأعجمى مثقف نشط ولكنه متبرم بحاله غير راض عنها. لاشك أن من يتصدّى للكلام أما هؤلاء ينبغى أن يكون موفور الحظ من وضوح العبارة، وظهور الحجة، وخفة الروح، والقدرة على الإفهام. ومن ثم نشأ بحث دقيق عما ينبغى أن يتحلى به الخطيب من الصفات، وما ينبغى أن يتجنبه من العيوب، سواء أكان ذلك من حيث الكلام أم من حيث الهيئة والاشارة.

وكتاب الجاحظ حافل بملاحظات قيدت عند سماع هذه الخطب. فيروى أن « الجمحى خطب خطبة أصاب فيها معانى الكلام وكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة[1] ، فأجابه زيدبن على بن الحسين بكلام فى جودة كلامه إلا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفير». ويروى أن واصل بن عطاء « كان ألثغ فاحش اللثغة فرام أسقاط الراء من كلامه ... ... فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ... ... حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل[2] » ويروى عن أبى

(١) البيان والتبيين ج١ ص٣٤

(٢) البيان والتيين ج١ ص٨.

شمر أنه «كان اذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كأن كلامه يخرج من صدع صخرة[١]» ويروى عن آخر أنه « كان يتنحنح ويتلجلج ويمسح لحيته ويقول عند مقاطع كلامه : ياهناه ، وياهذا، واسمع منى، واستمع الىّ، وأفهم عنى[٢] ... ... »

وهكذا وصلوا شيئا فشيئا الى أن وضعوا للمعانى والألفاظ وهيئة الخطيب من القواعد ما نجده متفرقا فى (البيان والتبيين).

(ثالثا) فى ذلك الوقت عينه أخذت تظهر طبقة مفكرة جديدة، هى طبقة عمال الديوان وكتاب الخلفاء. وكان عظم هذه الطبقة أعاجم، من الفرس، وأهل الجزيرة، والسريان، والقبط. وكان أفرادها جميعا قد ثقفوا بلغاتهم الأصلية، ثم حذقوا فوق ذلك العربية، مع سوء[٣] التلفظ بها أحيانا. هذه الطبقة كانت تلى للخلفاء ورؤساء الدولة المناصب الادارية والكتابية. وقد أدخلت بذلك على اللغة العربية أساليب لم يعهدها العرب من قبل، وسلكت فى الكتابة طرقا أخذت بها من كان تحت أيديها من العمال. ومن ثم أصبحت الكتابة أمرا يتنافس فيه، وتدوّن الملحوظات الخاصة به، وتلقن أصوله للمبتدئين. والجاحظ نفسه يثنى على هذه الطقبة فيقول: (أما أنا فلم أر قوما قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب، فانهم قد التمسوا من الألفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ولاساقطا سوقياة[٤]).

من ذلك ترى أن جهود المتكلمين والساسة والكتاب قد تضامنت فى القرن الثانى فى أنتاج ذلك البيان العربى الذى يصوّره لنا كتاب الجاحظ. واذا فالقول بأن

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص٥١

(٢) البيان والتبيين ج١ ص٢٦، ٦٢، ٦٢.

(٣) البيان والتبيين ج١ ص٤١ – ٤٢.

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦.

هذا البيان عربى بحث، قول مبالغ فيه، لأنه لانزاع فى أن الكتاب والمتكلمين وجلهم من الأعاجم، قد ساهموا فيه. كما أن القول بأنه أعجمى بحت وفق بينه وبين اللغة العربية، كما وفق من قبل بين البيان اليونانى واللغة اللاتينية، قول غير مستقيم لأنه لانزاع فى أن العرب هم أيضا قد ساهموا فيه. أضف الى ذلك أن الفوارق التى كانت بين لغة القرآن وبين اللغات الأعجمية ذات الثقافة لذلك العهد، كانت من الجسامة بحيث يستحيل معها مجرّد التوفيق بين اللغة العربية وبين أى بيان أعجمى، واحد كان أو أكثر. بل ليس صحيحا انه كان قد وجد حتى منتصف القرن الثالث بيان عربى تام التكوين، وكل ما فى الأمر أنه وجدت جهود صادقة مفيدة كانت ترمى الى انشاء هذا البيان، ووضع قواعده، وتلقينها للطلاب المبتدئين[١] فى مدارسهم. ومن اليسير أن نتبين فى البيان العربى لذلك العهد ثلاثة عناصر مختلفة : العنصر العربى وهو واضح شديد الوضوح[٢] ، ثم العنصر الفارسى الذى ميل الى البراعة والظرف فى القول والهيئة[٣]، ثم العنصر اليونانى[٤] الذى يتصل بالمعانى خاصة من حيث دقتها والعلاقة بينها وبين الألفاظ، أى من حيث المبدأ الذى يدعو اليه أرسطو، مبدأ وجوب الملاءمة بين الخطبة وبين السامعين لها.

وإذا أردنا تبويب هذا البيان فانه يقع فى أربعة فصول قصار:

(١) الكلام على صحة مخارج الحروف، ثم على العيوب التى سببها اللسان أو الأسنان أو ماقد يصيب الفم من التشوه.

(٢) الكلام على سلامة اللغة، والصلة بين الألفاظ بعضها وبعض، والعيوب الناشئة من تنافر الحروف تنافرا يمجه السمع.

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص٧٥.

(٢) البيان والتبيى ج١ص٢٠ و ٢١ و٢٢و ٢٤ و٣٢ و ٣٣و٣٧ و ٤٠.

(٣) البيان والتبيين ج١ ص ٤ و٥٨ و ٦٣ و ٦٤.

(٤) البيان والتبيين ج١ ص ٧٥ وما بعدها.

(٣) الكلام على الجملة، والعلاقة بين المعنى واللفظ، ثم على الوضوح والإيجاز والأطناب، والملاءمة بين الخطبة والسامعين لها، والملاءمة بين الخطبة وموضوعها.

(٤) الكلام على هيئة الخطيب وإشاراته.

من ذلك نرى أن مجال البيان العربى حتى منتصف القرن الثالث كان محدودا جدا، وانه كان لايزال أمام النقاد وعلماء البيان ميدان فسيح يعملون فيه، وأن ما أحرزه البيان من التقدم لذلك العهد كان ضئيلا، وبخاصة اذا قيس الى تقدّم النحو. إلا أنه تقدّم قيم على كل حال.

الى هنا كان الأدب العربى شديد الملاءمة لما يلابسه من الظروف، وإذا كان السعى فى هذا العهد نحو إنشاء بيان منتظم بطيئا ثقيل الخطى، فان الشعر والنثر قد تطوّورا فيه تطوّرا سريعا جدا، حتى أصبح بينها وبين عهدهما القديم بون شاسع، وذلك بفضل ما كان للأعاجم الذين اشتغلوا بالعلوم والآداب من الأثر النافع فيهما لقد أثرت الهيلينية فى الأدب العربى البحت من طريق غير مباشر بتأثيرها أوّلا فى متكلمى المعتزلة الذين كانوا جهابذة الفصاحة العربية غير مدافعين، والذين كانوا بتضلعهم من الفلسفة اليونانية، مؤسسى البيان العربى حقا. نعم، لانستطيع أن نقطع بأنهم كانوا مطلعين على البيان اليونانى لعهدهم، ولكن لاشك أن تفكيرهم الفلسفى قد أعدهم لأن يتصوّروا صناعة الكلام كما كان يتصوّرها اليونان من بعض الوجوه. ويكفى فى التدليل على صحة هذه الدعوى أن تقارن وأنت تقرأ الجاحظ بين مذهبهم فى نقد الشعر والنثر، وبين مذهب آخر عربى خالص، هو مذهب اللغويين أمثال ابن سلام. فسيتضح لك الفرق بين الفكر العربى الخالص الذى كاد يحتفظ ببداوته كاملة غير منقوصة، وبين الفكر العربى الذى كان ذا صبغة يونانية قوية.

---

(١) طبقات الشعراء

على أن تأثير الهيلينية في الأدب العربى إنما بلغ غايته على أيدى الشعراء والكتاب الذين كانوا من أصل أعجمى ، وكانوا قد تأثروا بالآداب اليونانية تأثرا ما، فأصبحوا يستمدّون وحى خواطرهم من الأدب اليونانى، أما مباشرة بالأخذ عن الأصول اليونانية، أو من طريق غير مباشر، بالاطلاع على مانقل الى اللغة العربية من التآليف اليونانية المختلفة. ولنمثل لذلك بأبى تمام الشاعر. فيقال أن أباه كان خمارا نصرانيا من بعض قرى دمشق[1] وكان يسمى (تدوس). فلما اعتنق أبو تمام الاسلام غير اسم أبيه على ما يظهر فجعله (اوسا) وانتسب الى قبيلة طى. وأن من ينظر فى شعره مع ذلك يجده مباينا مباينة واضحة للشعر العربى المعروف لذلك العهد، لا من حيث أن أبا تمام أفرط فى استعمال التشبيه والمجاز وغيرهما من وجوه البيان، ولكن لأنه يختلف عمن تقدّمه ومن عاصره من الشعراء فى تصوّره للشعر نفسه، وفى شدّة أخذه نفسه بتحديد المعانى ووحدة القصيد، وفى كلفة بوصف الطبيعة، وميله الى المعانى الفلسفية يضمنها شعره أيا كان الموضوع الذى ينظم فيه. وقد راع أبو تمام معاصريه بما ابتدع فى الشعر ،ولم يفرغ الناس بعد من الجدل فى محاسن شعره وعيوبه، وهو شعر نلحظ الأثر اليونانى ماثلا فيه من غير مراء.

من الممكن أن نجرى هذا الحكم عينه على الكتاب الذين كانوا يشغلون المناصب العالية فى دواوين الأمويين والعباسيين. واذا كنا على يقين من أن ابن المقفع فارسى الأصل، فنحن لانعرف شيئا ما عن أصل عبد الحميد بن يحيى. بيد أننا عندما نقرأ القليل الباقى من منشآته، لايسعنا إلا أن نعترف بما (للهيلينية) من الأثر البين فى هذه المنشآت، معنى ومبنى. والحق أن عبد الحميد كان أحد كتاب القرن الثانى الأقلاء الذين فهموا (الفصول) كما كان يفهمها علماء البيان من اليونان. ونفس بناء جملة يظهر تأثرا واضحا بالهيلينية، فهو يضع الصفة من

---

(١) أنظر ترجمته فى ابن خلكان.

الجملـة حيث يقتضى المعنى وضعها ولو أغضب النحاة بعض الشئ[1]. ويشبهه في ذلك أحمد بن يوسف الذى كان من كتاب المأمون، والذى لاشك فى أنه من أصل قبطى.

لامراء فى أن أدبنا العربى قد استفاد من ذلك الأثر غير المباشر المستمد من الهيلينية. ولقد كانت الفائدة تكون أتم لو أن الذين نشروا الفلسفة اليونانية بين العرب ظلوا على حيطتهم وحذرهم، فلم يخرجوا من دائرة البحث النظرى الى الأدب نفسه، ولم يسطوا عليه سلطانهم. ثم لو أن نقلة السريان لم ينقلوا الى العربية بصفة خاصة كتابى (الخطابة) و(الشعر) لأرسطو. قد يبدو فى هذا القول شئ من التناقض ، ولكن الواقع أنه منذ أخذ الفكر اليونانى يدعى جهارا حق التشريع للكتاب والشعراء، قام هؤلاء الكتاب والشعراء فحملوا من ناحيتهم على منطق المعلم الأوّل حملة رجعية قوية تصوّرها لنا أبيات البحترى التى يخاطب بها المناطقة فيقول :

كلفتمونا حدود منطقكم ۞ والشعر يغنى عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يلهج الـ ۞ ـمنطق ما نوعه وما سببه

والشعر لمح تكفى إشارته ۞ وليس بالهذر طوّلت خطبه

كما تصوّرها أيضا مقدّمة كتاب (أدب الكاتب) حيث يسخر ابن قتيبة من أهل المنطق، وتقسيمهم لصور القضايا المنطقية سخرية مرة قاسية.

لم يوجد حتى منتصف القرن الثالث غير بيان عربى واحد، اذا صح انه كان لايزال فى دور الطفولة وانه كان مضطربا فقد كان ملائما للظروف خصبا، مؤلفا فى شئ من الانسجام بين الروح العربى والروح الفارسى والروح اليونانى. ثم وجد

---

(١) انظر الكتاب الذى كتبه باسم آخر الخلفاء الزمويين مروان بن محمد الى ولى عهده فى نظام الحرب.

من ذلك الوقت بيانان : أحدهما عربى محافظ لايقرب الفلسفة اليونانية إلا فى كثير من التحفظ والاحتراس، والآخر يونانى كان يجهر بالأخذ عن أرسطو، وبذلك تعرض لحملات المحافظين المنكرة وألسنتهم الحداد.

على أن من الخطأ البين أن نعتقد أن البيان الذى نعتناه بالمحافظة قد سلم من أثر الغارة الهيلينية. فقد يكون عجيبا على أقل تقدير أن يظهر أوّل كتاب فى البيان العلمى فى ذات الوقت الذى ظهرت فيه ترجمة (كتاب الخطابة) لأرسطو. ومع ذلك فهذا الذى كان . لقد ترجم حنين بن اسحاق (كتاب الخطابة) ومن المحتمل أن هذه الترجمة ظهرت بعد وفاة الجاحظ أى فى النصف الثانى من القرن الثالث لأن حنين بن اسحاق توفى سنة ٢٩٨هـ. فى هذه الفترة عينها وضع أمير المؤمنين الشاعر التعس عبد الله بن المعتز، كتاب (البديع).

لم أطلع على كتاب (البديع) هذا ولكن الذين نقلوا عنه أكثروا من ذكره كثرة تمكننا من تصوّره، فهو عبارة عن تعداد لأنواع البديع، مع الاستشهاد لكل منها بشواهد مقتبسه من كلام القدماء والمعاصرين لابن المعتز، ومع الموازنة بين هذه الشواهد بعضها وبعض. وهم يقولون أن ابن المعتز أحصي فى كتابه ثمانية عشر نوعا من أنواع البديع، من يدرسها فى كتاب معاصره قدامة بن جعفر، وفى كتب الذين جاءوا بعده، يلحظ فيها لا محالة أثرا بينا للفصل الثالث من كتاب (الخطابة) وبعبارة أدق، للقسم الأول من الفصل الثالث، وهو الذى يبحث فى «العبارة».

لقد كان تصوّر هؤلاء المؤلفين من العرب للتشبيه، والمجاز، والمقابلة، ووزن الكلام والفصول، قريبا مما نجده فى الموضع المذكور من كتاب (الخطابة). نعم انهم تحاشوا أن ينقلوا عن المعلم الأول جميع الأمثلة التى كان يمثل بها، لالشئ أكثر من أنهم لم يفهموا هذه الأمثلة. غير أنهم أوردوا مرة أحد أمثلة أرسطو، فعند ما يقرر أرسطو أن المجاز يقوم على التشبيه يقول «عندما يقول (هوميروس) فى حديثه

عن آخيل (كركالأسد)، فهذا تشبيه، وعند ما يقول (كرهذا الأسد)، فهذا مجاز، لأنه لما كان الرجل والحيوان فى هذا المثال ممتلئين شجاعة، صح أن يسمى أخيل أسدا على سبيل المجاز[1]» خذ أى كتاب من كتب البيان العربى، فستجد فيه هذه المثال سوى أنه قد استعمل فيه لفظ (زيد) المألوف فى شواهد البلاغة والنحو، بدلا من (أخيل )واذا فقد فهم العرب هذا المثال.

والواقع أن علماء البيان من العرب على نقمتهم ( كتاب الخطابة) لم يكفوا عن أن يعنوا به ويحرصوا عليه غاية الحرص. نعم انهم لجهلهم و التام بنظم اليونان وآدابهم لم يستطيعوا فهم الأنواع الخطابية وما يتصل بها، ولا الشواهد التى استخلصها أرسطو من غرر الأدب اليونانى، ولكن لاشك فى أنهم بأزاء ذلك وجدوا فصولا أخرى تتحدث اليهم عن أشياء يعرفونها ويجدونها دائما فى شعرهم الخاص، وأنهم أيضا قد عثروا فى مواضع مختلفة من كتاب (الخطابة) على افكار عامة وقريبة من متناولهم ومحققة الفائدة لشعرائهم وكتابهم، فلم لايستسيغون من هذا الكتاب المغلق كل ما يلائم عقولهم وآدابهم؟ الجواب أنهم على ما اعتقد قد فعلوا ذلك، وأنهم فعلوا ذلك، وأنهم فعلوه نحو يستثير الاعجاب حقا. والواقع أنه ليس من ين العلوم العربية الدخلية علم كالبيان هضمه العرب واستمرءوه، وبخاصة من أواخر القرن الثالث الى نهاية القرن الرابع. بذلك أصبح البيان علما عربيا من جميع الوجوه: عربى من جهة الروح، عربى من جهة المادة، عربى من جهة الشواهد، حتى ليخيل الينا ألاصلة بينه وين أى بيان أخر. هذا هو السبب فى أن بعض مؤلفى العرب اعتقد باخلاص أن البيان العربى غير مدين للأعاجم فى شئ، فابن الأثير الذى عاش فى القرن السابع يقول فى (المثل السائر)[2]: «اعلم أن المعانى الخطابية قد حصرت أصولها وأوّل من تكلم فى ذلك حكماء اليونان غير أن ذلك الحصر

(١) الخطابة : الكتاب الأوّل والثالث – الفصل الرابع – الفقرة الأولى.

(٢) ص ١٨٦ من طبعة بولاق.

كلي لاجزئي ... .... .... لاجرم أن ذلك الحصر لايستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولايفتقر اليه فان البدوى البادى راعى الإبل ما كان يمرّ شئ من ذلك بفهمه ولايخطر بباله، ومع هذا فانه فكان يأتى بالسحر الحلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا (فان قيل) أن ذلك البدوى كان له ذلك طبعا وخليقة ... ... ... فالجواب عن ذلك أنى أقول ان سلمت اليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع عن ذلك أنى أقول ان اسلمت اليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة فماذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب تحضروا وسكنوا البلاد ولم يروا البادية. (فان قلت) أن هؤلاء وقفوا على ذكره علماء اليونان وتعلموا منه (قلت لك فى الجواب) هذا شئ لم يكن ولاعلم أبو نواس شيئا منه ولامسلم بن الواليد ولا تمام ولا البحترى ولا أبو الطيب المتنبى ولاغيرهم. وكذلك جرى الحكم فى أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد والصابى وغيرهم.

لم يكن فى طوق هذا البيان المحافظ أن يثبت لهجوم العقل اليونانى طويلا، ولم يكن هذا فى الحق يسيرا. لقد أنشأ متكلموا المعتزلة هذا البيان ، اذا صح هذا التعبير، وتعهدوه، وقلما كان يفلت من أيديهم . وقد بقى أقرب الى الأدب منه الى الفلسفة ما بقى أولئك المتكلمون يدرسون الأدب العربى وينهلون من موارده العذبة. فلما أصبحوا أكثر اشتغالا بالفلسفة منهم بالأدب، أصبح بيانهم أقرب الى الفلسفة منه الى الأدب، ولذلك لم يكن عبد القاهر الجرجانى عندما وضع فى القرن الخامس كتاب (أسرار البلاغة) المعتبر غرة كتب البيان العربى إلا فيلسوفا يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه. وانا لنجد فى كتابه المذكور جراثيم (الطريقة التقريرية) التى أودت البيان العربى فى القرن السادس . على أن لنا عودة الى كتاب عبد القاهر، فلنرجع الآن الى النصف الثانى من القرن الثالث، لنرى كيف نما البيان الثانى ،وهو البيان الثانى .

نلاحظ قبل الخوض فى هذا الموضوع أن فلاسفة العرب لم يكونوا أجود فهما لمعظم (كتاب الخطابة) من المتكلمين وعلماء البيان. لقد كانوا مثلهم يجهلون (الهيلينية) كلها، عدا الفلسفة بطبيعة الحال، وكانت النظم السياسية اليونانية ديمقراطية كانت أو أرستقراطية، ونظام القضاء اليونانى شيئا غريبا بالاضافة اليهم جميعا، لأن العرب لم تعرف من النظم السياسية غير الخلافة، ولامن النظم القضائية غير قضاء الفرد. كذلك لم تكن لديهم صورة واضحة لأنواع الخطابة السياسية وأنواع الخطابة القضائية، وإن كانوا من ناحية أخرى لهم بصر بالخطب الرسمية التى كانت تلقى عادة فى المحافل بين أيدى الخلفاء والأمراء ورؤساء الدولة. على أن الفلاسفة والأدباء يستوون فى أنهم كانوا جميعا يفهمون حق الفهم القسم الخاص (بالعبارة) من (كتاب الخطاب). ولكن الأولين كانوا أحسن من الآخرين فهما لما يقول فيه (أرسطو) عن الأخلاق والانفعالات، دون أن يلحظوا البتة ما يرتبه عليها من القيمة الأدبية. ثم أن الفلاسفة لم يحاولوا أن يأخذوا الكتاب بالعمل بـ (كتاب الخطابة) ولا الشعراء بـ (كتاب الشعر) الذى ترجمه متى بن يونس فى القرن الرابع، والذى لم يفهمه أحد على الإطلاق كما سنرى بعد قليل. وكل الذى حاولوه هو أنهم وضعوا للغة العربية بيانا عقليا يستند الى الفلسفة أكثر من استناده الى أى شئ آخر. ولما لم يفهموا من أرسطو إلا ما قاله عن (العبارة) فانهم لم يلحظوا أى فارق بين ما هو (شعر) وما هو (خطابة) ولكن ما يفرق عندهم بين الشعر والنثر انما هو الوزن والقافية. ولما كان لهذين علم خاص هو العروض فقد أصبح النثر والشعر عندهم متساويى الحظ من (العبارة) فما يقولونه عن أحدهما يقولونه عن الآخر، وقواعد البلاغة التى يطبقونها على النثر، تنطبق عندهم على الشعر، وإن يكن ثمت فارق، فهو فى الواقع أمر تقديرى.

كان أول ما ظهر من تشريع الفلسفة للأدب، كتابا فى الشعر لقدامة بن جعفر اسمه (نقد الشعر) وقدامة هذا كان فى أول أمره نصرانيا ثم اعتنق الاسلام

في أواخر القرن الثالث، وربما كان ذلك لتحسن مكانته في الديوان ببغداد. درس الفلسفة وبخاصة المنطق ، وكتب رسائل شتى في موضوعات متنوعة بعضها يتصل بادارة الدولة وبعضها بالأدب. وقد استغل كتابه (نقد الشعر) (وقد طبع في عام ١٣٠٢ عن النسخة المحفوظة بمكتبة كبريلى بالقسطنطينية) كل مؤلف جاء بعده دون أن يقول كلمة واحدة يقرّ فيها له بالفضل. ونحن عند ما نقرؤه نحس من أوّل فصوله أننا بازاء روح جديد لاعهد لنا بمثله من قبل. أنظر مثلا كيف يعرف الشعر ويحلل هذا التعريف، فستجد ذلك شيئا تقريريا محضا. فهو يقول (أنه قول موزون مقفى يدل على معنى. فقولنا (قول) دال على أصل الكلام الذى هو بمنزلة الجنس للشعر وقولنا (موزون) يفصله مما ليس بموزون، اذا كان من القول موزون وغير موزون. وقولنا (مقفى) فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين مالا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا (يدل على معنى) يفصل بين ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى) ثم يمضى قدامة حتى يقول (فذا قد تبين ... ... أن الشعر هو ماقدمناه فليس من الاضطرار اذا أن يكون ما هذه سبيله جيدا أبدا ولا رديئا أبدا، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران مرة هذه وأخرى هذه على حسب ما يتفق، فحينئذ يحتاج الى معرفة الجيد وتمييزه من الردئ[1] ).

اذا كانت هذه العبارة تدل على منتهى التفكير الفلسفي، فهي من غير شك لاتفيد أن المؤلف قد فهم (كتبا الشعر) أو أنه على أقل تقدير ينقل عنه. ذلك بأن أرسطو ينحى باللائمة فى كتابه هذا على من يسمون الكلام المنظوم شعرا[2]، وعنده أن الوزن والمعنى وحدهما لايكفيان فى تكوين الشعر.

---

(١) نقد الشعر ص٣

(٢) كتاب الشعر: الكتاب لأول – الفقرة ٦

ويمكن المضى فى قراءة (نقد الشعر) دون أن نلمح أثرا ما لنظرية ( المحاكاة) المشهورة والتى هى جوهر (كتاب الشعر) . واذا فلا بدّ من أحد أمرين، فاما ان قدامة لم يطلع على كتاب (الشعر) لأنه لم يكن ترجم بعد الى اللغة العربية، أو أنه قد اطلع على الأصل اليونانى أو على ترجمة سريانية له، فلم يتيسر له فهمه.

على أنه اذا كان قدامة يجهل (كتاب الشعر)فقد كان على أحاطه تامة بـ (كتاب الخطابة) وقد فهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبق ما فهمه على الشعر العربى. فهم أولا كل ماورد فى القسم الخاص (بالعبارة) عن التشبيه، والمجاز، والمقابلة ، والفصول، وغير ذلك، ثم انتفع بكل الجزء الذى يتصل منه بالأخلاق والانفعالات. ثم عرف كيف ينتفع بما فهم فى كتابه (نقد الشعر) وذلك عند بيانه كيف يكون المديح وكيف يكون الهجاء. وقد أنفق قدامة مجهودا طريفا فى رد سائر الفنون الشعرية الى المديح والهجاء ليخضعها كلها لنظرية أرسطو المتعلقة (بالمنافرات) . فليس الرثاء عنده إلا مديحا، وإذا فينبغى أن تستعمل فيه قواعد المديح، مع ملاحظة أن يكون الفعل ماضيا لامضارعا، فلا يقال (أنه شجاع) أو (أنه جواد ) ولكن (كان شجاعا) و • كان جوادا) . وكذلك الشأن فى معاتبة الأصدقاء والشكوى منهم فهى نوع من الهجاء، وكل ما فى الأمر أنه ينبغى أن تصطنع الرفق فى عتبك وشكواك، حتى لاتفقد صداقة من تعاتب. والغزل والتشبيب بالنساء يعتبران من المديح إلا أنه ينبغى أن يختار الشاعر من المعانى والألفاظ ما به يستعطفهن ويؤثر فى قلوبهن. هنا نلحظ بطبيعه الحال أثر النظرية الى تقول بوجوب الملاءمة بين الخطبة وبين حال المخاطب.

كذلك يستغل قدامة نظرية أخرى لأرسطو فى كثير من الاقتناع بصحتها. تلك نظرية (الغلو) الذى يجيزه أرسطو على ما هو معروف للشعراء فى جميع الأحوال، وللخطباء فى أحوال خاصة. فيعدّ قدامة (الغلو) مما يمتاز به فحول

على أنصار الاعتدال ومن يرون الاقتصار على الحدّ الأوسط ، زاعما أنهم ليس لهم أن يطلبوا الى الشاعر، من حيث هو شاعر ، أن يتوخى الصدق، بل ولا أن يتقيد بالأخلاق نفسها.

مما تقدم نرى أنه عندما حاول الفكر اليونانى للمرة الأولى أن يسيطر على الأدب العربى، كانت محاولته قاصرة على الشعر، وانها لم تستند فى ذلك إلا على كتابى (المنطق) و(الخطابة) اللذين جاء بهما مؤسس (الليسيه).

لم يعرف أدباء العرب فيما بعد هذا الجزء الفلسفى من كتاب قدامة من شديد استنكارهم قلّ ذلك أو كثر، فى حين أنهم بالغوا فى استغلال الجزء الذى يتصل منه بالبيان البحت. بل لقد اتخذوا ذلك الجزء مثالا ينسجون على منواله، واجتهدوا أن يضيفوا أنواعا من البديع جديدة الى العشرين الى ضمنها قدامة كتابة. نذكر من هؤلاء الأدباء على سبيل المثال أبا هلال العسكرى المتوفى فى أواخر القرن الرابع، فقد أحصى فى كتاب (الصناعتين) خمسة وثلاثين نوعا من أنواع البديع[١].

ثم يحاول لفكر اليونانى مرة أخرى أن يشرع للأدب العربى، ومحاولته هذه المرة توصف فى وقت واحد بأنها جريئة جدا، واسعة النطاق جدا، مبتكرة جدا، وهى لتمثل فى رسالة محفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٢٤٢ وستنشرها قريبا كلية الآداب المصرية. عنوان هذه الرسالة (نقد النثر) وهى تنسب الى قدامة بن جعفر الذى سبق الكلام عليه، ولكن المطلع عليها يرى أنه لايمكن أن تكون له، بل هى فى الغالب لكاتب شيعى ظاهر التشيع قد صنف كتبا عدّة فى الفقه وعلوم الدين يشير اليها ويحيل عليها فى شئ من الطمأنينة والارتياح ويرى بروكلمان أن واضع هذه الرسالة تلميذ لقدامة اسمه أبو عبد الله محمد بن أيوب[٢]. على أن

(١) انظر «الصناعتين» ص٢٠٤ وما بعدها.

(٢) أنظر «دائرة المعارف الاسلامية» مادة (قدامة)

هذه مسألة سيحققها زميلى العبادى فى غير هذا الموضع. أما نحن فنقتصر فى هذه المقام على تحليل هذه الرسالة تحليلا موجزا ولكنه كاف الدلالة على أهمية ما تنتحله الفلسفة اليونانية من سلطان على البيان العربى فى القرن الرابع.

يقرر المؤلف فى الفصل الأول أن الانسان إنما أفضل بالعقل، وأن العقل نوعان موهوب ومكسوب، وأن الموهوب يشبه البدن والمكسوب يشبه الغذاء ثم يبين أن ترجمان العقل والدليل عليه إنما هو (البيان). وفى الفصل الثانى يعرفنا أن البيان على أربعة أوجه: (١) بيان الأشياء بذواتها، (٢) البيان الذى يحصل فى القلب عن إعمال الفكرة واللب، (٣) البيان الذى هو نطق باللسان، (٤) البيان بالكتابة التى تبلغ مع بعد أوغاب. والمؤلف يثبت وجود كل وجه من هذه الوجوه وبلاغته بأدلة من القرآن. وفى الفصل الثالث يبين أن بيان الأشياء بذواتها بعضه ظاهر وبعضه باطن، وأن الظاهر ما أدرك بالحس، فاستغنى بظهوره عن الاستدلال عليه والاحتجاج له، وأما الباطن فهو ما غاب عن الحسن ، واختلفت العقول فى إثباته، وأن الطريق الى علمه من جنسين : «القياس والخبر». وفى الفصل الرابع، يورد المؤلف صورة وجيزة واضحة «للقياس» وأنواع فيحلله، وفى أثناء تحليله له يوضح لنا الحدّ، والوصف ، والمقولات، ويبين طريقة استعمالها فى اللغة العربية، وينبه على أنه قد أخذ كل ذلك الفصل من كتب المناطقة. وفى الفصل الخامس يتكلم على «الخبر» فيبين أنه على نوعين: يقين وتصديق. والمؤلف فى هذا الفصل يجرى على نهج فقهاء المسلمين ومتكلميهم، مع ميل ظاهر نحو التشيع. وفى الفصل السادس يجمل المؤلف الكلام على الوجه الثانى من أوجه البيان وهو (الاعتقاد) المتفرع عن الوجه الأول. والمؤلف لايأتى فى هذا الفصل أيضا بجديد، فالقياس والخبر يحدثان فينا إما حقا لاشبهة فيه، أو علما مشتبها يحتاج الى تقويته بالاحتجاج فيه، أو باطلا لاشك فيه. ونحن يجب علينا أن نصدق الأوّل اعتقادا وعملا، وأن نكذب بالثالث، وأن نتوقف عند الثانى ونحتاط قبل أن نعرض له

بتصديق أو تكذيب. كل ذلك ينطبق على أصول الفقه وعلم الكلام، ولكن مع ميل ظاهر الى التشيع على عادة المؤلف. وفى الفصل السابع يتكلم المؤلف على الوجه الثالث من أوجه البيان، وهو البيان بالقول ، ولكنه فى الواقع يضمنه الكلام على الوجه الرابع، وهو البيان بالقول، ولكنه فى الواقع يضمنه الكلام على الوجه الرابع، وهو البيان بالكتابة. والقول عنده نوعان، فمنه ظاهر غير محتاج الى تفسير، ومنه باطن يتوصل اليه بالاستدلال والخبر. ويستشهد المؤلف فى كلامه هنا بشواهد مأخوذة من القرآن. ثم يلخص خواص القضية المنطقية، فيقول ان منها ما هو عام شامل للسان العربى وغيره، ومنها ما هو خاص يختلف باختلاف اللغات، ثم يعد الخواص العامة مستعينا فى ذلك بالمنطق والفقه وعلم الكلام. وفى الفصل الثامن، والتاسع، والعاشر، والحادى عشر، يورد المؤلف من قواعد النحو ما يتعلق بالاشتقاق، وصيغ الأسماء والأفعال. وليس فى الفصول المذكورة ابتكارمابل هى فى الواقع لاتخرج عن كونها مجرّد تقليد لفصلين العشرين، والحادى والعشرين من (كتاب الشعر) لأرسطو ، وفى الفصل الثانى عشر الى الرابع والعشرين يتكلم على التشبيه، واللحن فى أحواله المختلفة، والرمز، والوحى، والاستعارة، والأمثال، واللغز، والحذف، والصرف، والمبالغة، والقطع والعطف، والتقديم والتأخير، والاختراع، والتعريب، وفى ذلك كله يعتمد المؤلف على أرسطو. وفى الفصل الخامس والعشرين يقسم المؤلف الكلام الى منظوم ومنثور، ثم يعرف (البلاغة) التى يستوى عنده فيها المنظوم والمنثور، فيقول « انها القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام، وفصاحة اللسان»، ثم يدافع عن الشعر فيقول أن أرسطو ذكره فى (كتاب الجدل) وجعله حجة مقنعة، وانه احتج فى كثير من كتب السياسة ببقول (أوميرس) ، ولكن أهم من ذلك كله عنده أن النبى (ﷺ) قد سمع الشعر وأمر من كان شاعرا من أصحابه بهجو أعدائه. ثم يسود المؤلف فنون الشعر، آتيا على محاسنه وعيوبه فى كلام قريب من كلام قدامة فى (نقد الشعر). وهو

لايرى بأسا بأن يغلو الشاعر ويسرف فى تعبيره، مفضلا الغلو على الاعتدال، محيلا فى ذلك كله على أرسطو الذى يجيز بل يستعذب الكذب فى الشعر. وفى الفصل السادس والعشرين، يتكلم على المنثور فيقول أنه أربعة أنواع: خطابة، وترسل، وجدل، وحديث. ثم يأخذ فى الكلام من حيث البلاغة على الخطابة والترسل، فيعرفهما ويبين محاسنهما وعيوبهما، ويقارن بينهما معتمدا بصفة خاصة على الجاحظ فيما يتعلق بالخطابة من حيث الفصاحة والإلقاء، وعلى كتاب الدواوين والخطاطين فيما يتعلق بالرسائل من حيث بلاغتها ورشاقها. ونلاحظ أنه يضرب المثل بأرسطو واقليدس فى الإيجاز، لأنهما كما يقول (لم يأتيا فى شئ من كلامهما بما يهيأ لأحد أن يختصره أو يأتى بأقل من لفظهما) كما يضرب المثل بجالينوس ويوحنا النحوى فى الإطالة والاسهاب. ثم يضيف الى ذلك عدّة شواهد عربية مأخوذة من أحاديث النبى ﷺ، ومن كبار الكتاب حتى القرن الثالث. وفى الفصل السابع والعشرين يتكلم على الترسل. وفى الفصل الثامن والعشرين يتكلم على الجدل، فيذكر قواعده على نحو ما هو وارد فى (كتاب الجدل) لأرسطو، وعلى حسب مواضعات المتكلمين والفقهاء الإسلاميين. وفى الفصل التاسع والعشرين يتكلم على ما ينبغى أن يتصف به المجادل البارع من الصفات الخلقية، والخلقية والأدبية، مستعينا فى ذلك كله بالقران والسنة ومواصفات المتكلمين والفقهاء، ومقالات الفلاسفة. ثم يتكلم فى الفصل الأخير من الرسالة على الحديث، فيبين أن له وجوها كثيرة، منها الجدّ والهزل، والصدق والكذب، والسخيف والجزل ... الخ. ويهدى المؤلف الى القارئ نصائح على الأخلاق والذوق السليم يبين فيها متى وكيف وأين يستخدم كل وجه من هذه الوجوه.

لا جرم أنا هنا بأزاء بيان جديد كل الجدّة، بيان لايستمد غذاءه من الأدب العربى البحت وخطابة أرسطو وشعره فحسب، ولكنه يستفيد فى تكوين بنيته من منطق أرسطو، وبخاصة كتابيه (أنا لوطيقا)

و(طوبيقا)[1] هذا البيان الجديد فى حقيقة الأمر يقصد الى تكوين الخطيب والشاعر والكاتب وذلك بأن يجعل لكل منهم أوّلا فكرا مستقيما، ثم لسانا ناطقا يحسن به التعبير عما يجول بخاطره، ثم هو يهديه بعد ذلك الى خير أساليب الأداء والالقاء. ونحن لسنا بحاجة الى أن نقول أن خط هذا البيان ذى الصفة الفلسفية المحضة لم يكن خيرا من حظ (نقد الشعر) لقدامة، ذلك بأن أداء العرب مضوا يكتبون على النحو الذى اشرنا اليه منذ قليل.

أريد أن أقف هنا وقفة يسيرة لأبين ما كان (الخطابة) و(الشعر) من أثر مباشر تام فى الفكر العربى، أو بعبارة أدق فى الفكر الاسلامى. ولا أعنى بذلك إلا الفكر الفلسفى الذى يعنى بالنظر المجرّد دون أية غاية عملية. فمنذ تم نقل كتابى (الخطابة) و(الشعر) الى اللغة العربية، عدّهما فلاسفة المسلمين متممين لمنطق أرسطو، وتناولوهما بالتحليل والشرح، من ذلك تحليل ابن رشد وشرحه، وتحليل ابن سينا وشرحه لهما فى كتاب (الشفا).

ولست متعرّضا فى هذا المقام ما كتب ابن رشد عنهما. فذلك غير خاف على القارئ من جهة، ثم هو من جهة أخرى لايتفق بوجه من الوجوده مع معانى أرسطو. ذلك لأن ابن رشد لم يفهم هذه المعانى فحرفها جهد استطاعته. قد نسأل أنفسنا ونحن نقرأ ابن رشد عن سبب هذا التحريف، أو قصور الفيلسوف القرطبى، أم فساد ترجمة (الخطابة) و(الشعر)؟ لاشك أن ابن رشد لم يفهم على أقل تقدير كتاب (الخطابة) لأن ترجمة هذا الكتاب صحيحة بقدر الامكان ومن المستطاع قراءة مقدار صالح منها، على ما فى ذلك من المشقة، فى نسخة من ترجمة (الأرغانون) محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس (تحت رقم ٢٣٤٦ مخطوطات مشرقية) وربما تولت كليتنا نشرها يوما ما. هذه الترجمة بعيدة جدا عن أن توصف بالتحريف والسقم، وان كانت منقولة عن ترجمة سريانية.

---

(١) أى كتابى (٠ تحليل القايس) ،(الجدل).

وإذا فلا عجب أن يكون ابن سينا فهم كتبا (الخطابة) فهما لابأس به وقد حلله فى (الشفا) تحليلا دقيقا وشديد القرب من الأصل. فهو يقسمه إلى أربع مقالات: الأولى تقع فى سبعة فصول يلخص فها ويشرح آراء أرسطو العامة فى تعريف (الخطابة) وفى العلاقة بينها وبين (الجدل) والصناعات الأخرى، وفى فائدتها، وفى البرهان الخطابى، والأنواع الخطابية، وغير ذلك. ثم المقالة الثانية وتقع فى تسعة فصول: الثلاثة الأولى منها فى الخطابة السياسية، والرابع فى خطابة المنافرة، والخامس والسادس والسابع والثامن فى الخطابة القضائية، والتاسع فى التصديقات التى ليست عن صناعة كما يقول ابن سينا. ثم المقالة الثالثة وتشتمل على ستة فصول: تبحث الأربعة الأولى منها فى (الانفعالات)، ويبحث الخامس فى الأنواع المشتركة بين الأنواع الخطابية الثلاثة، ويبحث السادس فى الفرق بين المقدمات الجدلية والخطابية وفى إعطاء أنواع نافعة فى التصديقات بأصنافها. ثم المقالة الرابعة، وتقع فى خمسة فصول: تبحث الثلاثة الأولى منها فى (العبارة) ويبحث الرابع فى أحوال القول الخطابى، وحاجتها فى كل نوع من الأنواع الثلاثة الخطابية، ويبحث الخامس فى السؤال والجواب الخطابيين، وفى خاتمة الكلام الخطابى.

يتضح من ذلك أن المقالتين الأولى والثانية تقابلان الكتاب الأول من كتاب (الخطابة) بشكله الذى نعرفه، والمقالة الثالثة تقابل الكتاب الثانى، والمقالة الرابعة تقابل الكتاب الثالث.

وبعد، فهل هذا التقسيم الرباعى لكتاب (الخطابة) من صنع ابن سينا أن هل هو قديم؟ هذا سؤال يهم الهيلينيين الذين لايزالون يبحثون عن التقسيم القديم لكتاب (الخطابة) وليس فى الامكان أن نجيب عنه حتى تحل رموز النسخة التى أشرنا اليها منذ هنيهة ويتم نشرها.

قد نكون مبالغين إذا قلنا أن ابن سينا أحاط علما بكتاب (الخطابة)، ولكن لاشك فى أنه أحاط بجوهره. أنظر إلى كلامه على أنواع الحكومة كما أوردها أرسطو فى (كتاب الخطابة) فمن الجلى أنه مشوب بالغموض والإبهام، فى حين أنه قد فهم حق الفهم ما يصف به أرسطو كل نوع منها. ثم أنظر الى كلامه على نظام القضاء عند اليونان، فهو لايوصف الدقة ولابالوضوح، لأن ابن سينا لا يعرف نظام قضاء الجماعة. فهو يسمى (الاتهام) (شكاية) و(الدفاع) (اعتذارا) وكثيرا ما يتكلم كلام الأديب حين ينبغى أن يتكلم كلام رجل القانون.إلا أنك تجده قد فهم فهما يستثير الإعجاب كل ما يقوله أرسطو عن (الانفعالات) وتجد وصفه لأخلاق الاحداث، والشبان[1]، والشيب، مطابقا للأصل مطابقة رائعة. ويكاد تصوره (للعبارة) يكون صحيحا لاغبار عليه. ومع هذا كله فابن سينا نفسه لايغفل أن ينبه على أن كتاب (الخطابة) بعيد عن الفكر العربى، ويلفت النظر مرارا إلى أن به أشياء خاصة باليونان، ويصرح فى عدة مواضع بأنه لم يفهم جملا بعينها واردة فى كتاب (الخطابة) بل لقد بلغ به الأمر أن اتهم الترجمة بعدم الدقة، وود لو استطاع الرجوع الى الأصل اليونانى[2]،

وكثيرا ما يستعصى عليه فهم الشواهد التى يوردها أرسطو فيحذفها وينبه على ذلك، كما أنه كثيرا ما ينبو ذوقه عن أسماء الأعلام اليونانية فيهذبها أو يكتفى بذكر مدلولاتها. فاذا أورد شاهدا أخطأ فى ايراده. مثال ذلك استعماله (أفروديت) مكان (ديونيسوس[3]) فى المقال الخاص بالاستعارة المناسبة، واختصاره قصة سيمونيدس دون أن يذكر اسمه حين رفض أن يمدح البغلة السابقة[4]، لأنه لم

---

(١) الشفا: الخطابة . المقالة الثالثة: الفصل الرابع.

(٢) الشفا: الخطابة: المقالة الثالثة: الفصل الثالث.

(٣) الشفا: الخطابة: المقالة الرابعة: الفصل الثانى.

(٤) الشفا: الخطابة: المقالة الرابعة: الفصل الأول.

يرض ما قدم اليه من أجر، ثم أرضى فمدحها واصفا إياها بأنها ابنة الفرس ذى الجناحين. وقد ينتصر لنفسه فيستبدل بالشواهد اليونانية شواهد عربية مأخوذة من الأدب العربى والفقه ومن الحديث أحيانا كما صنع عند كلامه على (خاتمة الكلام الخطابى)، فبعد أن أورد على نحو ما فعل أرسطو عبارة ليسياس المشهورة (هذا الذى قلته، وسمعتموه، والحكم لكم) عقب عليها بقوله (كما يقال عندنا : أقول قولى هذا، واستغفر اللّه العظيم لى ولكم، أنه غفور رحيم[١]).

على أن ابن سينا لم يجد فهم كتاب (الشعر) كما فهم كتاب (الخطابة) ولسنا ندرى أيرجع ذلك إلى سقم الترجمة العربية لهذا الكتاب أم الى أن الفيلسوف لم يوفق الي فهمه؟ ومهما يكن من الأمر فهذا السؤال لاتمكن الاجابة عنه إلا بعد الاطلاع على ترجمة كتاب الشعر الواردة فى نسخة المكتبة الأهلية بباريس. هذا وكثيرا ما يكون تحليل ابن سينا لكتاب الشعر مجرّد لغو لامعن له، فالتراجيدى عنده هى المديح، والكوميدى هى الهجاء، والملحمة هى الأدب. أما الأمثال والأعلام والملاحظات الدقيقة التى يلاحظها أرسطاطاليس على مايتميز به كل نوع من أنواع الشعر فابن سينا يخلط بينها خلطا شنيعا.

لكن ابن سينا قد فهم حق الفهم (نظرية المحاكاة)، وجاء بصورة صحيحة للصناعة الشعرية وللوسائل التى يتوسل بها فى التغلب على الصعاب التى تعترض الشاعر. وجملة القول أنه قد فهم كل ما يمكن أن يفهمه شرقى يجهل الآداب اليونانية كلها. فهم أصولا عامة، وأصولا قد تنطبق على الأدب العربى من بعض الوجوه، وهو نفسه يعترف بذلك[٢].

نلاحظ قبل أن نختم هذا الفصل أن الفصول السبعة التى تشتمل على تحليله

---

(١) الشفا: الخطابة: المقالة الرابعة: الفصل الخامس.

(٢) الشفا: كتاب بالشعر: الفصل الأول والفصل الثامن.

لكتاب الشعر تتفق اتفاقا تاما مع الحزء الباقي من (كتاب الشعر)، فلم يعرف الشرقيون اذا نسخة كاملة من هذا الكتاب.

٤

لم تلق (خطابة) ابن سينا ولا (شعره) قبولا لدى الفلاسفة الذين جاءوا من بعده وكان كل اعتمادهم على تصانيفه. فأخذ هذان الفنان يتضاءلان على مر الزمن حتى انحصرا في فصلين يقعان كلاهما فى أسطر معدودات تذيل بها كتب المنطق. ولايعجبن القارئ من تناهي الأمر الى هذه الحال، فالفلاسفة والمناطقة أصبحوا لايكادون يفقهون من الخطابة والشعر شيئا، فلم يكونوا اذا ليحفلوا بهما، وكانوا فوق ذلك قد استغرقتهم مجادلات تقريرية أقل ما توصف به أنها تافهة عديمة الجدوى.

على أن مجهود ابن سينا لم يكن ليذهب عبثا، لقد عرب كتاب (الخطابة) اذ صح هذا التعبير، وجعله في متناول الفكر العربي، وبذلك هيأ أسباب التوفيق بين البيانين اللذين عاشا جنبا دون أن يستطيعا تلاقيا وتآلفا.

وقد تحقق هذا التوفيق فى القرن الخامس على يد عبد القاهر الجرجاني الذى سبق ذكره. صنف عبد القاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ما كتب فى البيان العربي. هما (أسرار البلاغة) و(دلائل الأعجاز). فعندما نقرأ أولهما نكاد نجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذى عقد ابن سينا (للعبارة) وانه فكر فيه كثيرا، وحاول أن يدرسه دراسة نقد وتمحيص. والواقع أنه درس (الحقيقة) و(المجاز) فتبين له أن تصوّر القدماء للمجاز مضطرب غير مستقيم، فانبرى لتوضيح مبهمه وجلاء غامضه. فقسم المجاز الى نوعين (مجاز لغوى) و(مجاز عقلى) ثم قسم المجاز اللغوى الى نوعين: أحدهما يقوم على التشبيه ، وأما الآخر فعبارة عن كل لفظ استعمل مكان لفظ آخر لصلة بينهما. وبعد فنحن نعرف مجاز أرسطو الذى يجيز اطلاق اسم

الجنس على النوع، واسم النوع على الجنس، واسم النوع على نوع آخر. فمجاز ارسطو هذا هو ما يسميه عبد القاهر (مجازا مرسلا) وأما المجاز الذى يقوم على التشبيه، والذى يسميه أرسطو (صورة) فيسميه عبد القاهر (استعارة) وهو لفظ كان القدماء يطلقونه على المجاز بكافة أنواعه. ولكى يقرر عبد القاهر مذهبه هذا، يتعمق فى دراسة المجاز والتشبيه تعمقا لم يسبق اليه، ولكن من غير أن يخرج بحال من الحدود التى رسمها أرسطو. وأما (المجاز العقلى) فهو من ابتكار عبد القاهر، ويصح أن نسميه (المجاز الكلامى) لأنك اذا قلت مع عبد القاهر (أنبت الربيع البقل) فهذا مجاز، لأن الربيع لاينبت البقل، ولكن الذى ينبته هو الله تعالى. وينفق عبد القاهر جهدا غير قليل فى الدفاع عن مجازه هذا، وتمييزه عن المجاز المعروف. ولكن لاشك فى أن الأساس الذى يبنى عليه هذا التمييز محل للنـظر.

أما كتاب (دلائل الأعجاز) فيحاول فيه عبد القاهر أن يثبت (أعجاز القرآن) وهو أمر جعله علماء الكلام الغرض من البيان من عهده بعيد. ولكى يصل عبد القاهر الى هذه الغاية يبدأ بحثه بنقض نظريتين قديمتين : احداهما تجعل جمال الكلام فى اللفظ، والأخرى تجعله فى المعنى. ثم ينتهى به البحث الى أن الجمال ليس فى اللفظ ولا فى المعنى، وانما هو نظم الكلام، أى فى الأسلوب. ثم يحاول بعد ذلك أن يبين فيم يكون جمال الأسلوب وروعته، فيدرس (الجملة) بالتفصيل، منفردة ومتصلة، فيضطره البحث الى الكلام على أهمية حروف العطف، وقيمة الإيجاز والأطناب، وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وبذلك يضع أساس (علم المعانى) المشهور.

ولايسع من يقرأ (دلائل الاعجاز) إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق، خصب، فى التأليف بين قواعد النحو العربى وبين ما لأرسطو فى الجملة، والأسلوب، والفصل، من الآراء العامة. وقد وفق عبد القاهر فيما يحاول توفيقا يدعو الى الأعجاب.

لم يتقدم البيان العربى بعد عبد القاهر أى تقدّم، بل لقد أخذ على العكس من ذلك فى التأخر والانحطاط. ومنذ القرن السابع جعل يفقد كل صفة أدبية له، ويصبح فريسة للشراح والمقررين الذى شغلوا بالجدل فيما ليس بشئ وكادوا يجهلون الأدب العربى جهلا تاما.

مما تقدّم نرى أى طريق طويل شاق سلكه البيان العربى منذ نشأته فى أوائل القرن الثانى الى أن بلغ فى القرن الخامس درجة كمال كان من سوء الحظ نزر الفائدة قليل الجدوى. ولعلنا نكون قد أوضحنا فى هذا البحث بما فيه الكفاية أنه كان فى جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أوّلا وبالبيان اليونانى أخيرا. وإذا لايكون أرسطو المعلم الأوّل للمسلمين فى الفلسفة وحدها، ولكنه الى جانب ذلك معلمهم الأوّل فى علم البيان.

## أمراء البيان

## تأليف محمد كرد علي

الجزء الأول : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٧م

ص٢٠ وتر فى صدور الشعراء والكتاب من العرب ما رأوه فى أرض فارس من مدينة قديمة فأخذوا ينقلون ما رأوا أمتهم فى حاجة إليه وأخذت الدولة العربية عن فارس «قوانين الملك والمملكة، وترتيب الخاصة والعامة وسياسة الرعية» وكانت «أكثر المعربات مأخوذة من الفارسية». ولما نقلت الدواوين على عهد عبد الملك بن مروان من الفارسية والروسية والقبطية إلى اللغة العربية انتقل جمهور كبير من الكتاب والحساب من الأعاجم إلى حجر العرب يكثرون سواءهم.

ولما كان معظم من دانوا بالاسلام من الفرس لأول الأمر أكثر من الروم والقبط - و الفرس مجوس تقصد كالمشركين هدايتهم أولا ويتسامح مع أهل.

ص٢١ الكتاب - كثر عديد الكتاب من الفرس بالضرورة، وزاد عدد من ينزلون بلادهم من العرب لتولى الأحكام وإدارة الملك، وسرت إليهم بعض عادات الفرس من حيث لا يشعرون وأمسوا يفرقون فى التبجيل والتحميد، ويستعملون ذلك فى الرسائل والخطب، وظلت كتابة الكتب بمعزل.

وبهذا تكوّن الأسلوب الفارسى. وكان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول : إن روْح بن زِنباع، وهو من المشهورين بالخطابة والعلم والسياسة : «شامى الطاعة، عراقى الخط، حجازى الفقة، فارسى الكتابة».

وتجلت فى القرن الثانى الطريقة الفارسية فى العربية، ووضع عبد الحميد بن يحيى أساس هذا الأسلوب المطوّل، وكان يحسن الفارسية، وهو أول من أطال الرسائل، ولم يعهد تطويل مثل تطويلة فى أهل القرن الأول، اللهم إلا ما كان من

رسالة علي بن أبي طالب إلى الأشتر النخعي، وهي في مطالب إدارية عظيمة هذا إذا صحت نسبتها إلى أمير المؤمنين. فأسلوب القرن الثاني لم يخرج والحالة هذه عن أسلوب أهل القرن الذى تقدمه بألفاظه وتراكيبه، اللهم إلا ما كان من سجع قليل، وشئ من مبالغة وتهويل، ولولا الإطالة لأشبهت كتابة أهل القرن الثانى كتابة أهل القرن الأول :دع ما كان أفكار جديدة سرت بالترجمة والاختلاط، مما هو طبيعى فى اللغات والأمم.

وتعليل هذا الغلو المستفيض فى كتابة الفرس، وكتابة من تأثروا بآثارهم من كتاب العرب، أن الفرس كانوا قبل حكم العرب يؤلهون ساداتهم وكبراءهم وهؤلاء يسخرونهم كما يسخرون العبيد، وما على العبد إلا إرضاء سيده، والادهان له، والإسلام لم ينزع كل ما تأصل فى الطباع، وصار إيغال الفرس في التبجيل والتعظيم خلقاً لهم، وعادة متأصلة على الأيام، فظهر أثر ذلك في ص٢٢ الكتابة — والكتابة مرآة صاحبها — على ما يعهد مثله للعرب فيما سبق من الاباء. بدأ ذلك قليلاً فى بعض كتاب القرن الثانى وشعرائه، وعمّ وطمّ فى القرن الرابع ...

### الأسلوب المنتشر :

رأى الناس بعد القرن الثانى أن من المصلحة الإسهاب في المكاتبات ص٢٤ فأسهبوا، وبدأ إسهابهم ضئيلاً ثم عظم بعد. وقد أبان ابن قتيبته سبب الإسهاب والاقتضاب بقوله : وليس يجوز لمن قام مقاما فى تحضيض على حرب أو حمالة بدم أو صلح بين العشائر، أن يقلل الكلام ويختصره، ولا لمن كتب إلى عامة كتاباً، فى فتح أو أستصلاح أن يوجز، ولو كتب إلى أهل بلد في الدعاء إلى الطاعة والتحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغة تلكؤة فى بيعته : «أما بعد فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت والسلام.»، لم يعمل هذا الكلام فى أنفسها عمله فى نفس مروان، ولكن الصواب أن يطيل ويكرر، ويعيد ويبدى ويحذر وينذر .

ومثل هذا رأى صاحب الصناعتين قال : «إن المعانى التى تنشأ الكتب فيها من الأمر والنهي سبيلها أن تؤكد غاية التأكيد، بجهة كيفية نظم الكلام لابجهة كثرة اللفظ ومثل ذلك ما يكتب من السلطان فى أمر الأموال وجبايتها واستخراجها، ومنها الإحماد والإذمام، والثناء والتقريظ، والذم والاستصغار، والعذل والتوبيخ، فإن سبيل ذلك أن تشبع الكلام فيه، وكذلك فيما يكتبه العمال إلى الأمراء فمن فوقهم، وكذلك فى الكتب الصادرة عن السلاطين فى الأمور الجسيمة، والفتوح الجليلة وتفخيم النعم الحادثة، والترغيب فى الطاعة، والنهى عن المعصية، سبيلها أن تكون مشبعة فتملأ الصدور، وتأخذ بمجامع القلوب» .

وجملة الأمر أن الكتاب في القرن الثانى والثالث جروا على سنة القدماء فى الرشاقة والجزالة، وخالفوهم فى الأسلوب والوضع، على مالا يعبث بمذاهب الكلام، فكان فيهم من يطيل ويسهب، وفيهم من يوجز يقتضب، وفيهم من يبالغ فى المعنى ويغلو، وفيهم من يقتصد فى اللفظ ولا يسرف فأسلوب ابن المقفع وسهل بن هارون، وعمرو بن مسعدة، والجاحظ، إيجاز وتطويل بحسب الحال، والجاحظ إلى البسط أقرب فى الأحايين، لأنه يقرر أنظاراً، ويضع تعاليم ويفسر علماً وأدباً ويشرح معارف وحقائق، ويحاج ويجادل، فليس له غنىً عن التوسع فى فنون الكلام، وإذا أفاض فكلامه كلام أهل القرن الثانى والثالث، أما بلاغة فبلاغة أهل القرن الأول، لا سجع فى كلامه إلا ما جاء عفواً، ولا تحس الصنعة فيه إلا إذا كان فى تجديد المعانى والتراكيب، واستعمال الجزل من الألفاظ.

ونحن على حق إذا ادعينا، بعد الذى قدمنا، أن ملكه التطويل استحكمت أواخر القرن الثانى، بتكاثر عدد من نشأ من الفرس كتابا وخطباء ومؤلفين، أدمجوا فيما أنشأوا إسرافهم فى التعظيم والتطويل، واشتد تمازج من كانوا من أصل عربى من الكتاب والمؤلفين والرواة بأهل فارس، حتى كادت دولة العباسيين تعد دولة

فارسية لولا مكان الخليفة من العرب. وظهر الغلو فى القول والإسراف فى اللفظ، وتلوين المعانى وإبرازها فى صور كثيرة، وتفنن بعض الكاتبين فى إرسال الكلام، وأوغلوا فى الصنعة والتثقيف، حتى أوشك البيان أن يصاب بما يخرجه عن رونقه القديم، فنصح جعفر بن يحيى، وهو أمير من أمراء البيان للكتاب قائلاً : إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا.

قال هذا فى العهد الذى أخذ فيه الأعاجم يسطون على الاسلوب العربى على الوجه، وفى تلك الحقبة كان العارفون يحاذرون ضياع الأسلوب القديم جملة، حتى أن المأمون رفع إلى مقام الوزارة كلا من عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف الكاتب لما أعجب به من توخيهما الإيجاز فى الرسائل على طريق القدماء وقال يوما أعجب لكلام إعجابى بكتاب القاسم بن عيسى (أبى دُلف) ص٢٥ فإنه يوجز فى غير عجز، ويصيب مفاصل الكلام، ولا تدعوه المقدرة إلى الإطناب ولا تميل الغزارة إلى الإسهاب، يجلىّ عن مراده فى كتبه، ويصيب المغزى فى ألفاظه.

ص٢٩ ... هجم السجع هجوما مريعا على الكلام المرسل فأضعف من قواه، ونال من قواته بعد القرن الرابع، وكان أول من غالى فى التزام الكتابة المسجوعة أبو إسحق الصابى، وأبو بكر الخوارزمى، وبديع الزمان الهمذانى، والصاحب، والعتبى، واقتضى أثرهم كتّاب الأندلس ومصر، وعَدَمُ التكلف غالبٌ على البديع فقد يتخلى عن السجع فى رسائله، كما يترك الصابى ذلك فى بعض عهوده. وقالوا إن الصابى كان يكتب ما يراد، والصاحب يكتب مايريد، وكاد ابن العميد يعد فى جملتهم، لولا أنه التزم طريقة المرسل وطريقة المسجوع معاً، ووضع طريقة الشعر المنثور، وقالوا إنه أقل معاصرية احتفالا بالسجع مع أن الذى قرأناه له ينافى هذا القول، وكأنه أشبه بحلقة اتصال بين دور الكلام المطبوع، ودور الكلام المصنوع.

قالوا بدئت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد، وهو قول يحتاج إلى

نظر، والعالم على مايقول القلاماني لايخفى عليه الفضل بين رسائل عبد الحميد وطبقته وبين طبقة من بعده، حتى إنه لايشتبه عليه ما بين رسائل ابن العميد وبين رسائل أهل عصره ومن بعده، ممن برع في صفة الرسائل وتقدم في شأوها، حتى جمع فيها بين طريقة المتقدمين وطريقة المتأخرين فخلص لنفسه طريقة، وأنشأ لنفسه منهاجاً، فسلك تارة طريقة الجاحظ، وتارة طريقة السجع.

وضع الهمذاني طريقة المقامات، وقيل إنه اقتبسها من ابن دريد، وعلى منواله نسج الحريري في القرن التالي على أسلوب متبكر، لايصلح للرسائل ص ٣٠ ولا للكتب، وماهو إلا ضرب جديد من النثر، تقرأ في تضاعيفه الكلفة الظاهرة، وقد قلدهما فيه الزمخشري والوطواط، ومن المتأخرين ابن الوردي والسيوطي، والسيوطي ولع كمعاصره ابن عبد الهادي أن يكتب في كل موضوع؛ ومعظم أبناء هذه العصور عصور السجع هم أهل تكلف وتصنع وأبو العلاء المعري يندمج فيهم وإن تقدمهم في الميلاد؛ فهو حكيم لغوي غلب القريب والسجع على ماكتب في رسائله و «رسالة الغفران» لو خلت من السجع لكانت في موضوعها آية، وابن القارح في رسالته التي رد عليها أبو العلاء أكتب وأبلغ، وفي منثور المعري تشوفة ويبوسة لا تخفى على من تذوق البلاغة.

ذكر الثعالبي، وهو من أئمة الكتابة الذين جوّدوا في المرسل والسجع، أن من النثر المسجع ومنه المرسل، قال: والمحمود في هذا الزمان، أي في القرن الخامس المرسل، إذا اشتمل على شئ من السجع يجئ عفوا. وقال صاحب نقد النثر: «إن من أوصاف البلاغة السجع في موضعه، وعند سماحة القريحة به وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه؛ فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها، والسجع مستغنى عنه، فأما أن يلزمه الإنسان في جميع قوله ورسائله، وخطبه ومناقلاته، وذلك جهل من فاعله وعيٌ من قائله، وقد

رويت الكراهة فيه عن رسول الله ولو كان لزوم السجع في القول والإغراب فيه وفي اللفظ هي البلاغة، لكان الله عز وجل أولى باستعماله في كلامه الذي هو أفضل الكلام، ولكان النبي والأئمة المهديون قد استعملوها ولزموا سبيلهما، وسلكوا طريقهما، فأما ولسنا واجدين فيما بين أيدينا من كلامهم استعمال السجع والغريب إلا في المواضع اليسيرة، فهم أولى بأن يقتدى بهم ويحتذى بمنهاجهم».

وبأدنى نظر يلمح الناقد البصير أن علماء البيان، وإن كانوا يجنحون إلى ص ٣١ تفضيل المرسل، جمجموا في حكمهم على السجع ولم يبينوا، لأن السجع في عصورهم أصبح زيا من أزياء البلاغة وله أنصار غُير عليه: فما جوزوا ما لأنفسهم أن ثيلموه وراعوا العُرف اضطراراً فحادوا بذلك عن الجادة. يقول العسكري: واعلم أن الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ولايلزمك فيها السجع، فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن في سجعَك استكراره وتنافر وتعقيداً وكثير ما يقع ذلك في السجع، وقلم يسلم إذا طال من استكراره وتنافر وقال ابن سنان: وبعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام، وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيراً، وحجة من يكرهه أنه ربما وقع بتكلف وتعمل واستكراه فأذهب طلادة الكلام، وأزال ماءه، ووجه من يختاره أنه مناسبة بين الألفاظ يحسنها، ويظهر آثار الصنعة فيها. وأما الفواصل التي في القرآن، فإنهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعا وفرقوا فقالوا : إن السجع هو الذي يقصد في نفسه، ثم يحمل المعنى عليها والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون نقصورة في أنفسها اهـ وصرح الرُماني برأيه فقال: إن الفواصل بلاغة، والسجع عيب.

واعترف ابن الأثير المثل السائر، وهو السجاع المنقطع النظير، بأنه لا يجود في فن السجع إلا الأفراد القلائل فقال : وأعلم أن الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل

إليه بالطبع؛ ومع هذا افليس الوقوف فى السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد، إذ لو كان ذلك هو المراد من السجع، لكان كل أديب من الأدباء سجاعاً، وما من أحدمنهم ولو شد شيئاً يسيراً من الأدب إلا ويمكنه أن يؤلف ألفاظا مسجوعة ويأتى بها فى كلامه، بل.

ص٣٢ : ينبغى أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة لاغثة ولا باردة، وأعنى بقولى غثة باردة أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه، من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، وما يشترط لها من الحسن، ولا إلى تركيبها وما يشترط لله من الحسن، وهو فى الذى يأتى به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقس أثوابا من الكوسف، أو ينظم عقداً من الخزف الملون، وهذا مقام تزلُّ عنه الأقدام ولا يستطيعه إلا الواحد من أرباب الفن بعد الواحد، ومن أجل ذلك كان أربابه قليلاً؛ فإذا صَفى الكلام المسجوع من الغثاثة والبرودة فإن وراء ذلك مطلوباً آخر، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ، فإنه يجئ عند ذلك كظاهر محوّه على باطن مشوه، ويكون مثله كغمد من ذهب على نصل من خشب اهـ ويقول عبد القاهر؛ وهو أبلغ من كتب فى البيان بعد الجاحظ : العلماء يذمون من يحمله السجع والتجنيس على أن يضم لهما المعنى، ويدخل الخلل عليه من أجلهما، وعلى أن يتعسف فى الاستعارة بسببهما، ويركب الوعورة، ويسلك المسالك المجهوله؛ ولابأس بأن يزاد على قوله إن أكثر من سجعوا أطالوا وأضاعوا المعانى، ولوتهيأ لكل ما كتبوا من يُجرى عليه قلم الحذف والإثبات لذهب نصف ما سطروه، ولكان الباقى سليما من التزيد، لا فضول فى تضاعيفه، ولا حشو فى حواشيه أخذ من البلاغة والفصاحة حظا عظيما.

والبلاغة كما قال ابن حيدر ليست ألفاظاً ولا معانى، بل هى ألفاظٌ يُعَبَّر بها عن معان، ولكن ليس كما اتفق ولا كيفما وقع، لأن ذلك لوجرى هذا المجرى

لكان أكثر الناس بليغاً، إذ كان أكثرهم يؤدى عن المعانى التى يولدها بألفاظ تدل عليها لكنهم يخرجون من طريق البلاغة، ومنهاج الكتابة من.

ص٣٣ وجهين : أحدهما أن تكون الألفاظ مستكرهة مستوخمة، غير مرصوفة ولا منتظمة. والثانى أن تكون كثيرة يُغنى عنها بعضها ويمكن أن يعبر عن المعنى الدال عليها بأقل منها.

وبعد أن أوصى بالإيجاز قال : وهذا مذهب العرب وعادتهم فى العبارة فإنهم يشيرون إلى المعانى بأوحى إشارة، ويستحبون أن تكون الألفاظ أقل من المعانى فى المقدار والكثرة. وذكر ابن أبى الإصبع أن المتقدمين كانوا لايحفلون بالسجع جملة، ولايقصدونه بتة إلا ما أتت به الفصاحة فى أثناء الكلام، واتفق على غير قصد ولااكتساب، وإن كانت كلماتهم متوازنة، وألفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصفة، وعباراتهم رائقة، وفصولهم متقابلة، وتلك طريقة الإمام على ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام، كابن المقفع، وسهل بن هرون، وأبى عثمان الجاحظ، وغير هؤلاء من الفصحاء والبلغاء.

ومضى محمد كرد على، وكان معاصراً لطه حسين فى تبين الأثر الفارسى فى البلاغة العربية نظرياً وتتبُّع تأثيراتها عملياً فى الكتابة الأدبية وجمع بين النظر والتطبيق فى كتابة أمراء البيان.

إذا كان طه حسين قد أجمل الإشارة إلى التأثيرات الأجنبية فى البلاغة العربية حين كان يؤرخ لها، بينما اهتم محمد كرد على بالأثر الفارسى فى الكتابة الأدبية العربية لأنه كان يترجم لأمراء البيان فإن الشيخ أمين الخولى كان يركز على بيان تأثير اليونان بخاصة فى البلاغة العربية من حيث المنهج وطريقة العرض والمسائل المقتبسة من الفلسفة اليونانية.

# (البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها)

## للأستاذ أمين الخولى

**الفلسفة:** أما الفلسفة فليست إلا البحث الحر العميق .... والإنسان وهو سيد الكون المنبعث عن المعرفة قد كان موضع ذلك البحث من حيث عقله وشعوره وعواطفه وإرادته فتوزعت البحث فى هذا فروع الفلسفة وكان المنطق، والجمال والنفس والأخلاق وغيرها من الفرع.

**البلاغة:** وأما البلاغة فما هى بإيجاز إلا درس فن القول والبحث عن الجمال فيه كيف وبم يكون؟

فى هذا التحديد القصير نتبين صلتهما المتينة والعلاقة الثابتة بين حقيقيتهما إذ كان الجمال .. موضع عناية لهما كليهما تحاول الفلسفة فى بحثها عن الجمال أن تتعرف ماهو؟ وكيف يحسه الإنسان ويقع من نفسه وأى طرق أداء الإنسان لهذا الشعور بالجمال أدق؟ وكيف يترجم عن إحساسه به؟ وبم يقتدر على هذا الأداء وتلك الترجمة حتى يكون فنا حقيقياً صادقاً؛ وهاتيك الأبحاث الفلسفية كلها قريبة من البلاغة التى هى درس لفن الترجمة عن الإحساس بواسطة القول، وبحث فى جمال الكلام. وبهذا نجد بين الفلسفة والبلاغة صلة ذاتية دائمة لها فى البلاغة أثرها.

إلا أننا إنما نبحث عن بلاغة قوم بعينهم، لها زمانها، ولهامكانتها، ولها ظروفها الخاصة، نبحث عن تلك البلاغة ذات العلوم الثلاثة: المعانى، البيان، والبديع ... نبحث عن تأثرها فلسفة أولئك القوم فى زمانهم وبيئتهم وملابسات حياتهم.

وفى هذا البحث لايكفى القول بتلك الصلة العامة التى بين حقيقة الفلسفة وحقيقة البلاغة فربما لم يعن هؤلاء القوم فى فلسفتهم بالجمال عناية كافية، ربما

تكون بلاغتهم ذات منحى خاص لم يتأثر بالفلسفة قط، أو تأثر منها بغير علم الجمال. ولهذا لابد أن نعرف طابع فلسفتهم وميزاتها ثم نبحث عن أثر تلك الفلسفة فى بلاغتهم.

**طابع الفلسفة الإسلامية:** والفلسفة العربية، أو بعبارة أدق .. الفلسفة الإسلامية إنما هى ... بناء أجنبى الدعامة، أجنبى المادة إلى حد ما. أسس بعد العناية بالترجمة والإطلاع على ثمار العقول فى الحضارات التى سبقت المدنية الإسلامية ولاسيما الحضارة الإغريقية. جاءت هذه الترجمات الفلسفية البيئة الإسلامية فوجدت حياة دينية راسخة القواعد قد قام عليها حماة متحمسون، فكان بين الفلسفة والدين ماكان من جذب ودفع، استعان فيه رجال الدين أسلحة الفلسفة نفسها فاقتبسوا المنطق وتمثلوه، واعتمدوا عليه في أبحاثهم الاعتقادية، وعرضوا لمسائل الفلسفة ومشاكلها على اختلافها، يوفقون بينها وبين الدين حنيا ويردون عليها ويفقدونها حينا فقامت حركة فلسفية كلامية واتسعت حتى كان أكبر مدارس الفلسفة الإسلامية المدارس الكلامية، وهكذا صار أظهر الفلسفة فى الإسلام كلاما، واستحال علم الكلام فلسفة. منها سار القول وشاع بأنه لايجترئ على الخوض فى علم الكلام إلا فلسفى أو متفلسف ومن هنا يتبين أننا حينما نقول إن البلاغة قد تأثرت بالكلام لانكون إلا مقررين أنها قد تأثرت بالفلسفة وإذا قلنا إن فلانا متكلم له رأى فى الكلام أو تأليف فذلك تول بأنه فيلسوف وله بالفلسفة عناية.

**ظاهرة أولية: ... وأولُ ظاهرة سطحية نلمحها من الصلة بين الفلسفة والبلاغة هى: أننا نرى البلاغة فى جميع أدوارها قد سبت فى كنف رجال الفلسفة وتحت رعايتهم وجمهرة الأقلام التى خدمتها أقلام فلاسفة أو متفلسفين ولم يكد ذلك يتخلف عن عصر ما.**

**الباحثون عن البلاغة فلاسفة:** ففى دور نشأتها وتكونها نرى من رجالها سهل ابن هارون المتوفى سنة ٢٢٠هـ كان حكيما يتعاطى الفلسفة. وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ كان حكيما قرأ كتب الفلاسفة من اليونان والفرس والروم والهند، وكان رأس فرقة فى الاعتزال نسبت إليه فسميت الجاحظية، كما نجد قدامة بن جعفر الكاتب المتوفى أواخر القرن الثالث الهجرى، أو أوائل الرابع – كان أحد الفلاسفة وممن يشار إليهم فى المنطق.

ثم نخطو إلى دور من أدوار تطورها وظهور التأليف المفرد المستقل فيها فنرى أن عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ كان متكلماً على مذهب الأشعرى، والزمخشرى الذى يقول أشياخنا عنه وعن صفوة السكاكى «لولا الأعرجان لذهبت بلاغة القرآن» فالأعرج الأول أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ كان متكلماً معتزلياً قوياً فى مذهبه مجاهراً به، والأعرج الثانى هو أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ كان له النصيب الوافر فى علم الكلام.

ثم يبدأ دور التلخيص والشرح فالحواشى والتقارير فنرى من رجاله ... وغيرهم من أصحاب الشرح والحواشى والتعاليق فى البلاغة لهذا الدور كلهم متكلمون بارعون فى المقول، متفلسفون لهم فى ذلك أكثر كثيراً مما لهم من الآثار فى البلاغة. وكأن البلاغة كانت وديعة فى يد المتفلسفين على مر الدهر. وحتى إذا تصدى لها من لم يعرف بتلك الشهرة كأبى هلال العسكرى مثلا فلا يلبث أن يقرر أنه يخدم الأغراض الكلامية ويجرى معهم فى ذلك المضمار.

**أثر هذا فى كتبها:** هذه ظاهرة بدائية سطحية من صلة الفلسفة بالبلاغة وقد كان لها ولاشك أثرها فى إشراب كتب البلاغة أبحاث الفلسفة إشراباً واضح الأثر فيما بين أيدينا منها. نرى النزعة الجدلية تسيطر عليه حتى لتكاد وتخرجه تماماً

عن الغرض الأدنى: فترتيب الأبواب فى تلك المؤلفات فلسفى، وتنظيم مسائلها لعلل فلسفية، وبيان المعانى البلاغية من خواص التركيب، وطرق الدلالة، وأوجه الحسن فلسفى. ولهذا نجد فى مقام واحد من علم المعانى أخص أبحاث المنطق، فتسمع ذكر الموجبة والسالبة والمهملة والمسودة، والمعدولة والموجهة والموجبة المهملة المعدولة المحول وما إلى ذلك. كمالاً تجاد تجد قسما من أقسام الفلسفة القديمة إلا وله فى أخصر كتب البلاغة نصيب من الذكر وفى المطولات وافى البحث. فمن الفلسفة الطبيعية تجد الكلام فى الألوان والطعوم والروائح كما تجد الكلام عن الحواس الإنسانية ومقرها وتجد البحث فى العقل والوهم والخيال والمفكرة والحس المشترك والوجدان. ومن الفلسفة العقلية تجد الكلام فى الأسباب والمسببات وارتباطها، وانتفاء المسبب بإنتفاء السبب أو عدم انتفائه. ومن الفلسفة الأدبية تجد تعريف الخلق، والمناقشة فيه، والكلام على الصدق والكذب وحقيقتهما. وحتى الفلسفة الآلهية لها حظها فى الكلام على الفاعل الحقيقى واختلاف المذاهب الإسلامية فى ذلك. ولعلنا لو جردنا ما فى مختصر شرح السعد للتخليص من هذا لخرجنا بموجز فى الفلسفة له قيمته. أما إذا تتبعنا ما فى الحواش والتعاليق منه بموجز فى الفلسفة له قيمته ... .

وقد جارت تلك النزعة الفلسفية على الناحية الأدبية جوراً تحسه حين تراهم فى المواطن الأدبية الحقيقة يدمجون القول ويجملون. إن لم يفسدوا المعنى الأدبى ويشتطوا فى البعد عنه ... .

ولكن ليس ذلك كل مانريد أن نقوله من أثر الفلسفة فى البلاغة ولا هو جوهره. وإنما هو أيسره ... ولو ... مضينا فى التقصى لوجدنا تأثر البلاغة بالفلسفة وفروعها من المنطق والكلام قويا بعيد المدى فى نواح متعددة (١) قويا باديا فى نشأت البلاغة وظهورها. (٢) قويا فى تطورها وسير دراستها. (٣) قويا فى ضبط

أبحاثها وتحديد دائرة درسها. (٤) قويا فى تعيين غرضها وغايتها ...

للفلسفة تأثير فى نشأة البلاغة من جهتين:

(أ) جهة منطقية أو فلسفية عامة.

(ب) جهة كلامية أو فلسفية إسلامية خاصة.

المنطق ونشأة البلاغة: فأما الجهة المنطقية فذلك: أن القوم أيام عنايتهم بالفلسفة قد ترجموا منطق أرسطو على أنه ثمانية كتب هى:

(١) المقولات أو كما عربوا أسمها اليونانى (قاطيفورياس) Katgouias.

(٢) العبارة أو القضايا التصديقية وأصنافها وهو «پيرى أرمينياس» Peri Eramineias.

(٣) القياس وصور إنتاجه أو أنالوطيقا الأولى Analatika Pnatera.

(٤) البرهان أو القياس من حيث مادته وهو أنا لوطيقا الثانية Analatika Ustera.

(٥) الجدل أو طبوبيقا Tapika.

(٦) السفسطة أو سوفسطيقا Safisikae.

(٧) الخطابة أوريطوريقا Retorikae.

(٨) الشعر أو پويطيقا Poitikae.

وكان درس هذه المجموعة موضع عناية المتقدمين من وجوه الفلاسفة فى درسهم المنطق إلى أن قصر المتأخرون النظر على القياس من حيث الصورة وحذفوا الكلام فيه من حيث المادة. فأغفلوا كتبا خمسة هى: البرهان، والجدل والسفسطة والخطابة والشعر. وأهملوا درسها إلى آثاراً ضئيلة وإشارات قصيرة يذيلون بها أبحاثهم.

فنحن الآن دون أن نعرض لتنظيمهم المجموعة المنطقية عند أرسطو، دون أن تتصدى لبيان الخلاف بين العرب والغربيين فى عد هذه الكتب كلها من المنطق أو إخراج بعضها منه[١] دون قصد لهذا نريد أن نقف وقفة عند القسمين السابع والثامن من المنطق فى اعتبارهم وهما: الخطابة أو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحمل على المراد منه والشعر: أو القياس الذى يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للإقبال على الشئ أو النفرة عنه. وتتكلم فى هذين القسمين ومايجب أن يستعمل فيهما من المقالات. نقف يسيراً عند هذين القسمين وعند كتابى أرسطو اللذين ترجمهما العرب فيهما.

فأما أولهما وهو ريطوريقا فيحدثنا ابن النديم فى فهرسته أنه يصابه – أى يعثر عليه – بنقل قديم. ويقال إن إسحق نقله إلى العربية. ونقله إبراهيم بن عبد الله، وفسره الفارابى الفيلسوف وغيره. واسحق هذا هو إسحق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨ هـ فإذا كان للكتاب نقل قديم قبل نقل إسحق، وابن النديم يجعل النقلة القدماء هم الذين كانوا أيام البرامكة[٢] فيكون الكتاب على هذا قد نقل إلى العربية فى منتصف القرن الثانى الهجرى أو على الأكثر فى أواخره أى قبل – إن تأخر – أو على الأكثر مع كتاب المجاز لأبى عبيدة الذى يعده مؤرخونا من الأوليات فى الفنون البلاغية – مع أنه قد كتب على التحقيق فى شئ غير البلاغة سنشير إليه قريباً.

وأما الكتاب الثانى وهو بويطيقا أو الشعر فمتأخر عن ذلك فى النقل إذ نقله أبو

---

(١) يقسم الغربيون فلسفة أرسطو لثلاثة أقسام: علمية، وعملية، وآلية، ويحضون باسم الآلية ماكتب عن الصناعات والفنون والشعر والتصوير والنفسية. وأما العرب فيعنون بها المنطق والشعر والخطابة، وعندهم أن المنطق يشمل الكل. فيعدون منطق أرسطو هذه الكتب الثمانية المذكورة آنفاً. أما الغربيون فيفصلون بين الشعر والمنطق ويحسبون كتب المنطق هى الستة الأولى ويطلقون عليها اسم «الأورجانون» أى الآلة.

(٢) كما ذكر ذالك فى الفهرست ص ٢٤٤ طبعة أوربا.

بشر متى بن يونان المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فهو من منقولات القرن الرابع الهجرى أو على الأكثر من منقولات أواخر القرن الثالث.

## الأبحاث البلاغية فى خطابته:

وبين يدينا فى مصر تلخيص كتاب الخطابة، وتلخيص ما وجد من كتاب الشعر ضمن مالخص الرئيس ابن سينا من فلسفة أرسطو فى كتابه الشفاء. وفى جزئه الخامس يقع هذان القسمان[١] كما يوجد إلى جانب ذلك النص اليونانى، وترجمته اللاتينية، ثم الترجمات إلى اللغات الأوربية الحديثة على اختلافها، وقد رأيت ألا أعتمد فى درس على التلخيص الغربى وحده لما لاحظت فيه بالمقابلة على غيره من تصرف غاير به النسخ الأخرى فى عدد مقالات الكتاب أو كتبه. وفى تقسيم فصوله إلى مخالفة فى ترتيبها (مما يوضحه درس مستقل للترجمة العربية والأصل الذى أخذت عنه).

وبالرجوع إلى ما يحفظ الصورة الأصلية لخطابة أرسطو نجد أنه قد تصدى لأبحاث بلاغية كثيرة تكاد تكون جمهرة ما بأيدينا من أبحاث بلاغتنا أو هى على الأقل أنواع كثيرة من فنونها الثلاثة وإنى مبين هنا جملة منها على نظام ترتيب كتبنا لهذه الأبحاث مشيراً إلى الكتب والفصول التى تقع فيها هذه الأبحاث من الكتب. فمثلا: إذا نظرنا إلى ما يعد عندنا من مقدمة البلاغة نرى أنه قد تكلم عن الفصاحة «ك٣ ف٣» وعن الغرابة والغريب «ك٣ ف٣» والعبارات الفخمة (ك٣ ف١٠) كما تكلم عن المطابقة (ك ٣ ف٧).

ومن أبحاث المعانى نجد فيه الكلام عن استعمال الأسماء والأفعال (ك٣ ف٢٠) واستعمال المشترك. والمترادف، والجمع، والأفراد (ك٣ ف٥) واستعمال الجمع فى مكان المفرد (ك٣ ف٦) وتكلم عن الإيجاز والإطناب فى الجمل وفى

---

(١) وذلك فى النسخة الخطية الوحيدة فى دار الكتب المصرية والمحفوظة تحت رقم ٢٦٢ حكمة وفلسفة.

الأسلوب (ك٣ ف٩، ١٢).

ومن أبحاث البيان نراه قد تكلم عن استعمال الاستعارة (ك٣ ف٢) وعن شروط الاستعارة الجيدة (ك٣ ف٢) والاستعارات غير المطابقة (ك٣ ف٢) وفائدة الاستعارة فى الكلام (ك٣ ف١٠) وبين التشبيه وكيف ينضبط وذكر علاقاته بالاستعارة كما ذكر الفروق بينهما (ك٣ ف٤) وساق شواهد على التشبيه الحسن من أقوال أدباء وخطباء أغريقيين كهوميروس وأفلاطون دبيريكليس وديموسين (ك٣ ف٣) وأشار إلى الكناية (ك٣ ف٢) وغير ذلك.

ومن أبحاث البديع «نراه قد ذكر التقسيم والجمع فى المعانى (ك٣ ف٦) والمبالغة والإغراق (ك٣ ف١٠) كما ذكر الاتزان فى الشعر وفى النثر والفرق بينهما (ك٣ ف٨) كما أشار إلى السجع والجناس إشارات متفرقة.

ولله إلى جانب ذلك أبحاث فى الأسلوب لايحتفظ التلخيص العربى لابن سينا بالكثير منها مع أهميته الكبرى، فقد بين الأسلوب وقيمته ومضبوطه، وصفاته الخاصة (ك٣ ف١) والشروط العامة للأسلوب وفتور الأسلوب وسلامته وشروط ذلك (ك٣ ف٣ و١٢) وشرح ثراء الأسلوب وبسطته ووسائط ذلك (ك٣ ف٦) كما بين الأسلوب الكتابى والأسلوب الخطابى والأسلوب الشعرى والأسلوب النثرى (ك٣ ف١٢) وتحدث عن اختلاف الأسلوب باختلاف الموضوعات وغير ذلك. كل هذه الأبحاث وأشباهها كانت بين يدى القوم فيما يتدارسونه باسم المنطق فى آخر القرن الثانى الهجرى، وهذا كاف وحده دون تعليق بالبيان تأثير هذا المنطق فى البلاغة ونشأة فنونها.

**القدماء وهذا التأثير:** .... وشيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجانى يصرح بأثر هذا الدرس المنطقى للخطابة والشعر فى فنون البلاغة، حين يتكلم عن المجاز وبيان معناه وحقيقته وبين المنقول والمشترك والمجاز المرسل وعلاقته فيقول ص ٣٢٦ من

أسرار البلاغة طبعة الترقى سنة ١٣١٩ . ما نصه:

«لأن قصدى فى هذا الفصل أن أبين أن المجاز أعم من الاستعارة، وأن الصحيح من القضية فى ذلك أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة. وذلك أنا نرى كلام العارفين بهذا الشأن، أعنى علم الخطابة ونقد الشعر، والذين وضعوا الكتب فى أقسام البديع يجرى على أن الاستعارة نقل الاسم عن أصله إلى غيره للتشبيه على حد المبالغة».

كما يتكلم فى غير هذا الموضع عن استعمال اللغويين لكلمة الاستعارة فى غير معناها البلاغى فيقول فى ص ٣٢٨ من الكتاب نفسه والطبعة عينها – «وذكر – يعنى ابن دريد فى كتاب الجمهرة – فيما بين ذكره لهذه الكلم أشياء هى استعارة على الحقيقة على طريقة أهل الخطابة ونقد الشعر». فهو .. ينسب الطريقة البلاغية الاصطلاحية لأهل الخطابة، ويعتبر أصحاب علم الخطابة ونقد الشعر هم العارفين بهذا الشأن البلاغى وقد رأيتم مكان علم الخطابة من يحث المنطق حسب تقسيم القوم الفلسفى.

**الفلسفة والأدب جملة:** ويبدى لى أن دعوى الفلسفة كانت منذ القدم عريضة ... إلى القول بأن خطابة أرسطو وشعره هذين قد أوحيا بخواطر الشعراء ومعانى الكتاب فى عصر زهو الأدب العربى. وترى ذلك فيما يحدثنا به ضياء الدين أبو الفتح بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ فى كتابه «المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر» أول كلامه فى «الصناعة المعنوية ص ٧١٦ طبعة بولاق إذ يوضح أن المعانى الخطابية قد حصرت أصولها وأن أول من تكلم فى ذلك حكماء اليونان، ثم يقرر أن الإتيان بجيد المعانى لايتأثر بهذا الحصر الكلى كما أنه لايختص بالطبيعة البدوية الفطرية لميزة فيها خاصة وكذلك لم يتهيأ لغير البدو من أدباء الإسلام ماتهيأ لهم من ذلك بواسطة الأخذ والتعلم عن اليونان. وعلى هذا الأصل يرد على من

يرى أن المحدثين من الأدباء قد تعلموا من اليونان نافيا أن يكون قد علم بشئ من ذلك مثل أبى نواس، أو معلم بن الوليد، أو أبو تمام، أو البحترى، أو المتنبى، أو غيرهم من أهل النثر كعبد الحميد، أو الصابى أو من عداهم وفى رده لهذا الرأى يقول:

«ولقد فاوضنى بعض المتفلسفين فى هذا وافساحه الكلام إلى شئ ذكره لأبى على بن سينا فى الخطابة والشعر وقام - أى المتفلسف - فاحضر كتاب الشفاء لأبى على الخ ... مايذكره من رده على دعوى المتفلسفين فى تأثير الفلسفة على ثمار الأدب العربى. وفى أبطاله ذلك يجرى على عادته فى تقدير نفسه تقديراً مسرفاً فيقول أنه «هو لم ير شيئاً من هذه الفلسفة ومع ذلك فله الرسائل التى تملأ عدة مجلدات لم يتعرض فيها لشئ مما ذكره حكماء اليونان».
ونحن مع عدم التقدير لهذه الحجة المفروذة لانريد الخوض فى بحث تأثير الأدب أو الفلسفة اليونانية على الأدب الغربى وإنى سقت هذا لأشير إلى أن الشعور بتأثير خطابة أرسطو وشعره، أو تأثير الفلسفة عامة شعور قديم ولم يقف عند حد القول بالتأثير فى البلاغة بل جاوز ذلك إلى الشعر والكتابة ذاتهما.

**الكلام والبلاغة:**

ذلك تأثير الفلسفة بمنطقها فى نشأة البلاغة مستنجاً ومنصوصاً وقد كان أشد الناس عناية بالمنطق والفلسفة عامة أولئك المتكلمون المناضلون المجادلون ومن هنا تظهر الناحية الثانية من نواحى تأثير الفلسفة فى البلاغة: ناحية تأثير الفلسفة الخاصة أو الكلام ولم يكن هذا التأثير من أن المناقشة فى الإعجاز ومثله من المسائل الأدبية كفهم آيات العقائد قد روجت سوق البحث البلاغى فظهرت الفنون البلاغية. لم يكن التأثير من هذه الناحية فحسب، بل كان بما هو أعمق من ذلك من أبعد، كان بعمل مباشر للمتكلمين أنفسهم ولفلسفتهم فى الميدان البلاغى، كان

بعناية لهم خاصة وجهوها إلى تناول الأبحاث البلاغية وخلق المصطلحات فيها، والعمل على تكوين فن خاص، وتدعيم أسسه ... وآثار السلف تنبئنا بهذا. ونرى أن قضية تأثير الفلسفة الكلامية فى ظهور البلاغة قضية صريحة حدث عنها المتقدمون. وأن هذا كان منذ عهد قديم مبكر، أى فى القرن الثانى الهجرى، فهذا أبو عثمان الجاحظ يمد ثنائى الجزء الأول من البيان والتبين (ص ٩٠ ، ٩١ ط المكتبة التجارية) : أن عمرو بن عبيد الزاهد المعتزلى الكبير المتوفى قبل انتصاف القرن الثانى الهجرى قد سئل عن البلاغة فقال: هى ما بلغ بك الجنة، وعدل بك عن النار، وما بصرك مدافع رشدك وعواقب غيك، فقال السائل: ليس هذا أريد. ثم مازال ابن عبيد يقول هى كذا وكذا ويقول السائل ليس هذا حتى قال عمرو فكأنك إنما تريد تخبير اللفظ فى حسن الإفهام. فقال له السائل: نعم فيعلق على ذلك عمرو بقوله له: إنك إن أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين، وتخفيف المئونة على المستحقين وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة فى الآذان المقبولة عند الأذهان، رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب». فهكذا المثل هذه الأسباب التى فصلها عمرو بن عبيد كان المتكلمون يعنون بتحبير اللفظ فى حسن إفهام، ويبحثون فى طرائق ذلك أى يبحثون فى البلاغة. وليس هذا كل ما فى الأمر فإن هناك مؤلفاً متأخراً قد انتبه إلى أثر المتكلمين فى تكوين البلاغة واصطلاحاتها، فيحدثنا عن استفادة البلاغة منهم، وذلك هو العلامة تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ إذ يعقد فى كتاب له اسمه «الإيمان (مطبوع بمصر سنة ١٣٢٥ هـ بمطبعة السعادة ص ٣٤ وما بعدها) فصلا فى أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة، ثم يلم فى هذا الفصل بمسائل أدبية تاريخية قيمة. تنم عن ملاحظة دقيقة ونظر بعيد: يتكلم عن نشأة هذا الاصطلاح البلاغى

وأول وجوده في كلام المتقدمين ويعرض لكتاب مجاز القرآن الذى وضعه أبو عبيدة يقرر أن أبا عبيدة لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية. وهذا هو ماتثبته القطعة المخطوطة الباقية بدار الكتب المصرية من كتاب المجاز المذكور إذ نجد أنه كتاب تفسير يذكر السور على ترتيبها. ويتعرض لبعض الآى على ترتيبها فى السورة فيفسرها أو يبين مجازها على اصطلاحه[1] ثم يمضى ابن تيمية فى شرحه حتى يقول بيانا ينشأ اصطلاح البلغاء على كلمة المجاز ما عبارته «... وإنما هذا اصطلاح حادث والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين» ثم يزيد هذا المعنى شرحاً وبياناً واستدلالاً .... ونكتفى بما تبين من أن الفلسفة بمنطقها قدمت للبلاغة العربية ما رأينا من أبحاث ومعان، وبكلامها وفى صورتها الإسلامية قد خلقت لها اصطلاحات.

**الفلسفة وتدرج البلاغة:** أو سير دراستها فى عصر تكونها.

وهنا نجد كذلك حظ الفلسفة قويا. فروحها مازالت مسيطرة على درس البلاغة والتوسع فى أبحاثها مازال يجرى أكثر ما يجرى على رسوم بحث الفلسفة. وذلك أن هذا البحث قد اتجه اتجاهين مختلفين فكانت هناك طريقتان لدراسة البلاغة لكل واحدة منهما مزاياها وخواصها، وهاتان الطريقتان هما:

**مدارس بحث البلاغة:** (١) طريقة المتكلمين. (٢) طريقة الأدباء.

---

(١) يبدأ الكتاب بأبحاث لغوية حول كلمتى «قرآن وسورة» ثم كلام فى تسميه أجزاء القرآن كالطوال والمثانى الخ وفيه كلام عن المجاز يبين فيه ضروبا يجوز فى التعبير العربى كحذف مضمر لغوى وصرف الكلام عما هو له والأخبار عن المفرد بالمثنى وأسبابه ذلك. ثم مجاز تفسير سورة الحمد فالبقرة إلى أول سورة آل عمران لم يستعمل فى تفسير الآية الواحدة أو بيان إعرابى فيها كلمة المجاز فيقول: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين ولا من حرو فى الزوائد ... الخ» والقطعة المذكورة محفوظة فى دار الكتب تحت رقم (٥٨٦) تفسير باسم «تفسير غريب القرآن».

## مدرسة المتكلمين:

فأما الطريقة الأولى فتمتاز بخاصة أهلها المتكلمين فى الجدل والمناقشة والتحديد اللفظى، والعناية بالتعريف الصحيح، والقاعدة المقررة والإقلال من الشواهد الأدبية، وعدم العناية بالناحية الفنية فى خصائص التركيب وتقدير المعانى الأدبية، واستعمال المقاييس الحكمية الفلسفية المعتمدة على قواعد منطقية، أو نظريات خلقية، أو مقررات طبية فى الحكم الأدبى، دون نظر إلى معانى الجمال، وقضايا الذوق. وترى هذه الطريقة جلية فى نقد الشعر لقدامة بن جعفر حين يتكلم عن المديح فينظر إلى مذهب أفلاطون فى أصول الفضائل الأربع وأمهاتها: من الحكمة والعفة والشجاعة والعدل، ويرى أن القاصد لمدح الرجال بهذه الخصال مصيب والقاصد إلى مدحهم بغيرها مخطئ[1] ويتكلم فيما يصف به الشعراء ممدوحيهم ملاحظا أن الأقلين منهم هم الذين يشعرون بدخول ذلك فى الأربع الأصول، ولذا يتولى هو بيان أقسام الفضائل الأربع واحدة واحدة. وما يدخل تحت كل واحدة من صفات، بل لايكتفى بذلك فيذكر ما يحدث من تركيب بعضها مع بعض – كما نراه كذلك فى نعت الهجاء[2]. يتكلم عن أضداد هذه الفضائل على الحقيقة ويبينها. فيتخلى لك تحكيم هذه القواعد الفلسفية فى فقد المعانى الشعرية حين يتكلم عن الهجاء بالغدر ويقول إن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمة والقحة التى هى من عمى القوة المغيرة وكما قال جالنيوس كما تراه يعتمد على الفلسفة حين يفاضل بين المغالاة وغيرها[3] فيقول «إن الغلو عند أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل العلم بالشعر والشعراء قديما. وقد بلغنى عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبة، وكذا نرى فلاسفة اليونانيين

---

(١) ص ٢٠ . الجوائب.

(٢) ص ٣٠ . الجوائب.

(٣) ص ١٩ . الجوائب.

في الشعر على مذهب لغتهم.

المدرسة الأدبية :

وأما الطريقة الثانية وهى طريقة الأدباء فى درس البلاغة؛ يمتاز بالإكثار المسرف الشواهد الأدبية نثرها وشعرها، والإقلال من البحث فى التعاريف والقواعد والأقسام وتعتمد فى النقد الأدبى على الذوق الفنى وحاسة الجمال أكثر من أعتمادها على تصحيح الأقسام وسلامة النظر المنطقى، ولا ترجع فى ذلك إلى أصول الفلسفة من خلقيات أو غيرها، ونرى هنا فى مثل كتابه أبى هلال العسكرى فى الصناعتين يسوق فى المقام الواحد عشرات الأمثلة والشواهد من القرآن والحديث وكلام العرب نثراً وشعراً ويعتمد فى النقد الأدبى على الذوق غير مكثف بالصحة الصقلية والسلامة النظرية كما فى مثل قوله عن حسن التأليف[٤] «... ومن تمام حسن الرصف أن يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه طلاوة وماء، وربما كان الكلام مستقيم الألفاظ صحيح المعانى له رونق ولا رواء ولذلك قال الأصمعى لشعر لبيد، كأنه طيلسان طبرانى، أى هو محكم الأصل ولا رونق له.

ذِكْرُ القدماء للمدرستين ... وذلك هو أبو هلال العسكرى أيضاً فى الصناعتين. آخر الفصل الأول من الباب الأول الذى عنوانه « فى الإبانه عن موضوع البلاغة وفى اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها، والقول فى الفصاحة وما يتشعب منه .. إذ يختتم هذا الفصل بقوله .. وليس الغرض فى هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب، فلهذا لم أطل الكلام فى هذا الفصل[٢]. فهو يذكر المسلكين بوضوح ويبين أن المتكلمين هم أهل العناية بتحديد موضوعات البحث وتقسيمها، وبيان ما

(١) ص ١٢٨. الأسكانة للصناعتين.

(٢) ص ٨ ط. الاستان.

يتشعب منها. ونراه كذلك فى موضع آخر من كتابه هذا يشير إلى ميزة أخرى للمدرسة الأدبية، مدرسة صناع الكلام كما دعاها فيقول «ثم نورد هاهنا شيئاً من غرائب التشبيهات وبدايعها ليكون مادة لمن يريد العمل برسمنا فى هذا الكتاب» وذلك بعدما ساق الكثير من الشواهد قبل هذا، فهو يذكر ميلهم للإكثار كما قلنا فى ميزة تلك المدرسة[1].

## حظ المدرستين من العلماء من الكتب:

ولو رحنا ننظر استباق المدرستين طوال حياة البلاغة لوجدنا أن المدرسة الكلامية كانت أوفر حظاً عند المتقدمين كما أنها كانت الأرجح كفة عند المتأخرين ثم الغالبة المنفردة فى النهاية.

فمن الأولين نجد الجاحظ أميل إلى الطريقة الكلامية ومن أنصارها، ترى ذلك ظاهراً فى كلامه المثبوت فى البيان والتبيين عن البلاغة، فهو كلام فلسفى محض، لو قورن بمعانى أرسطو وبخاصة فى كتاب الخطابة لرد جله إليها لكنى لا أطيل هنا بشئ من هذا. ثم نرى قدامة بن جعفر كذلك من رجال هذه المدرسة كما رأيتم ذلك فى الشواهد السابقة من نقده إلا أن الحياة الزاهرة فى عصر هؤلاء الرجال جعلتهم وأمثالهم يتناولون تلك الأبحاث فى عبارات عذبة سائغة ليس فيها مثل فجاجة أسلوب المتأخرين وجفافه. ولعل المدرسة الأدبية لم تكد تظفر بالكثيرين من أمثال أبى هلال العسكرى. بل إن أبا هلال وإن يكن أميل بروحه إلى الطريقة الأدبية وملتزما لها كما قال إلا أنه قد جرى فى مضمار المتكلمين وخدم أغراضهم بل تبع طرقهم فى الدرس وقلدها. فأما جرية فى مضمارهم وخدمة أغراضهم فذلك حين نسمعه يقول إن البلاغة تدرس للاستدلال على إعجاز القرآن وجعل ذلك الإعجاز أمراً برهانيا لاتقليدياً — كما سيجئ هنا بعد وأما تأثره بطريقة المتكلمين فى

---

(١) ص ١٩ الأستانة.

الدراسة ومنهجهم فذلك مانجده في أكثر من موضع من كتابه الصناعتين فهو مثلا يجارى قدامة في جعل الفضائل الأربع أصول المدح ومعياره بل يكاد ينقل عباراته بعضها[1]. كما يتكلم في خطأ المعانى وصوابها على نحو كلام قدامة بطريقته. فلم تخلص الطريقة الأدبية في أبي هلال أ... يخلص أبو هلال للطريقة الأدبية ولم ينجح من تأثير المتكلمين.

## عبد القاهر والمدرستان:

وبعد أبي هلال يجئ عبد القاهر الجرجاني فنجد المدرستين تطفو كل واحدة منهما بنصيب من عمل عبد القاهر، فهو متكلم فلسفى تارة. وهو أديب صانع الكلام وناقده طوراً. هو متكلم أو بليغ كلامى الدرس في كتابه «دلائل الإعجاز» يعنى أولاً وأخيراً بقضيته الإعجاز فقط وينصرف إليها انصرافا تاماً فيما دل عنها جدلا منطقيا بارز النزعة في أسلوبه من مثل قوله «أن قلتم قلنا» و«كيف لايكون الأمر كذلك» «وما هو إلا كذا وكذا» مما لانطيل بسوق شواهد منه. لأنه كثير يعثر عليه في أغلب صفحات الكتاب.

وعبد القاهر بليغ أديب في كتابه الآخر «أسرار البلاغة» لايتحدث في قضيته الإعجاز بكثير ولاقليل، بل لايستشهد بالقرآن على نسبة كافية وكأنه يتحرى ترك ذلك لما نشعر به من قلة الشواهد القرآنية فى كتابه هذا قلة ظاهرة: كما يبدو أسلوبه فيه خاليا من الأسلوب المنطقى الاستدلالى ميالا إلى طول النفس وبسطة العبارة والاعتماد على الحاسة الفنية وتحكيم الذوق الأدبى.

## غلبة المدرسة الكلامية:

ثم ترى المدرسة الكلامية فيما بعد عبد القاهر تفوز بالنصيب الأوفر من السكاكى ومفتاحه. ثم لاتلبث أن تأخذ بخنق البلاغة وتسيطر على دراستها في

(١) ص ٧٣ صناعتين.

عـهد التلخيص والشروح والحواش كـما أشرنا إلى ذلك أولاً. ولانرى إلا .... من روح المدرسة الأدبية فى مثل كتابة أبى الفتح ضياء الدين بن الأثير سنة ٦٣٧ هـ فى كتابه المثل السائر أو غيره.

# بـلاغة أرسطـو بين العـرب واليونـان

للدكتور إبراهيم سلامة

## بلاغة أرسطو بين العرب واليونان

### يقول الدكتور إبراهيم سلامة

(كانت البلاغة (بيانا) مع الجاحظ ثم كانت (بديعا) مع ابن المعتز ثم كانت مزيجاً بينهما مع قدامة وأبى هلال العسكرى. وكانت مع الجميع ممتزجة بالنقد الذى اعتبرت القواعد البلاغية من مقاييسه).

هناك فرق بين بلاغتى العرب والعجم كما فهم ذلك العرب، فالجاحظ يورد معنى البلاغة عند غير العرب وأحمد العسكرى يكتب رسالة صريحة فى الفرق بين بلاغتى العرب والعجم فكل ذلك يبين أن البلاغة عنوان مزاج الأمة ومرآة أهدافها فى حياتها.

### بلاغة أرسطو للدكتور إبراهيم سلامة ص ٦٥

بعد نحو عشرين سنة من موت الجاحظ ألف ابن المعتز كتابه ص ٦٦ «البديع» وقد قدمنا أن هذه التسمية ليست له وإنما ظهرت أول ماظهرت على ألسنة الرواة وعلى ألسنة الشعراء كالراعى والعتابى وبشاروغيرهم. وماكان يقصد بالبديع الكلام الذى يشتمل على المثل فحسب وإنما كان يقصد به الكلام المشتمل على التشبيه والتجنيس والطباق. وهذه فيما نرى الصفوف الأولى التى اتخذها ابن المعتز نقطة ابتداء لتأليفه. وفيهم من مقدمة ابن المعتز أن فكرة الكتاب أصيلة منها وإليه، وأن دواعيها كانت مهيأة فالشعراء أو المحدثون منهم أحدثوا حدثا فى الأدب، فزادوا فى معانيه معانى لم يطرقها الشعراء قبلهم، واستعملوا ألفاظا جديدة وحوروا فى هذه الألفاظ حتى خرجت عن حدودها التى رسمها علماء اللغة فكانت اللغة الأدبية، وأولى خاصة للغة الأدبية هى الخروج على أوضاع اللغة، أو عدم التقيد بها فى الأقل.

### بلاغة أرسطوا للدكتور إبراهيم سلامة ص ٧٩

... أما المذهب الكلامي فهم لم يأخذوه (أى العرب) مباشرة من بلاغة أرسطو، وإنما أخذوه من جدله ومنطقه، ولعله أول الصفوف البلاغية ظهورا لتقدم ترجمة المنطق والجدل على ترجمة البلاغة وقد انتفع العرب بالمنطق والجدل مبكرين، لحاجتهم إليها فى الكلام على الملل والنحل، وقد ظهرت مبكرة فى الإسلام.

ومعنى المذهب الكلامى هو إيراد الكلام على طريقة أهل المنطق بطريق القياس الكامل Syllogisme أو بطريق القياس المضمون Enthymime وقد ظهر هذا النوع البلاغى أكثر ماظهر فى جدل المعتزلة وأهل السنة. لأنه المقياس الذى كانوا يرجعون إليه فى البحث والمناظرة.، وقد أنكره صاحب الصناعتين أبو هلال العسكرى ثم رجع فقرره لمكانه فى القرآن فى أمثال الآيات التى تحمل دليلها معها «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» .«إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» وغير ذلك من الآيات.

### بلاغة أرسطو للدكتور إبراهيم سلامة ض ١٠٧

مما ساقه الدكتور سلامة للتشكيك فى أن نقد النثر لقدامة مثالين هامين:

أولا: «عرف قدامة» الشعر فى كتابه «نقد الشعر» بتعريف وصفه بالإيجاز وتمام الدلالة فقال«إنه قول موزون مقفى يدل على معنى» ثم عمد إلى تخريجه التخريج المنطقى الذى يفرق فيه بين الجنس والفصل، وانتهى من هذا التخريج إلى أنه يسمى شعراً كل كلام موزون مقفى دال على معنى من غير أن يتعرض لما إذا كان هذا الكلام صادراً عن شعور شعرى أولا. ونحن إذا قارنا هذا الكلام بما قاله صاحب «نقد النثر» فى الشعور وفى الشاعر ألفينا كلاماً آخر يزيد على الكلام الأول بتحليل الشعور وبذاتيته: فالشاعر فى نظر صاحب «نقد النثر» إنما سمى

شاعراً لأنه يشعر من معانى القول وإصابة الوصف بما لايشعر به غيره» [نقد النثر ص ٧٧] ص ١٠٨ وإذا عنى صاحب هذه العبارة مايقول كان معناها أن شعور الشاعر ذاتى لايقترضه من غيره، ولا يقلد فيه غيره، وهو شعور يهدف إلى أمرين:

**الأول**: الإصابة فى المعنى وانطباقه على الوصف انطباقا تتحقق فيه المحاكاة الشعرية لطبيعة الأشياء الموصوفة.

**والثانى**: الذاتية فى الشعور بحيث لايشعر بالمعنى الذى انفعل به الشاعر إلا نفس الشاعر، وإلا نفس أخرى عانت مثل التجربة النفسية التى جربها الشاعر وجرى بها شعوره فى عبارات معبرة.

«وإذا كان إنما يستحق اسم بما ذكرنا، فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس شاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى» ولنا أن نزيد على هذه العبارة» «وإن دل كلامه على معنى» فهى مدلول العبارة المتقدمة مادام الشعر لايحسب شعراً إلا إذا دل صاحبه على شعور صادق ذاتى «لايشعر به غيره».

هذا الفصل الجديد على حد تعبير المناطقة، أو هذا العنصر الجديد فى تعريف الشعر، لم يرد فى «نقد الشعر» لقدامة وورد فى «نقد النثر» وهو كما نرى العنصر الوحيد للشاعرية فى كل تعريف للشعر! ....

ص١٠٩ **ثانيا**: كما اختلفت النظرة فى حد الشعر اختلفت أيضا فى موضوع الكتاب: فقدامة فى «نقد الشعر» أراد بتأليفه هذا الكتاب أن يكتب فى الشعر وحده، لأن له خصائص لاتنطبق على النثر، وجميع علوم اللغة من نحو ولغة غريب، مشترك بين الشعر والنثر، وهذه العلوم «محتاج إليها فى أصل الكلام للشعر والنثر وليست بأحدهما أولى بالآخره فهو يريد أن يفصل مابين الشعر والنثر ويؤلف فى علم لا ينطبق رلا على الشعر، وصاحب «نقد النثر» لا يعرف هذه التفرقة بين الفنيين فإنه بعد أن يذكر المقبول والمرفوض فى الشعر يطبق ماقاله خاصا بالشعر على

النثر، في الشعر في نظره ولا «كلام مؤلف» وما النثر إلا «كلام مؤلف» ومايحسن به الشعر تحسن به الخطابة، ومايرفض في الشعر يرفض في الخطابة، «وقد ذكرنا المعاني التي يصير بها الشعر حسنا، وبالجودة موصوفا، والمعاني التي يصير بها قبيحا مرذولا، وقلنا إن الشعر كلام مؤلف فما حسن فيه فهو في الكلام حسن، وماقبح فيه فهو في الكلام قبيح، فكل ماذكرناه هناك من أوصاف الشعر ص ١١٠ فاستعمله في الخطابة والترسل، وكل ماقلناه من معايبه فتجنبه هاهنا» [قابل بين عبارة قدامة في نقد الشعر ص ٢ ؟ وبين عبارة نقد النثر ص ٩٤].

فقدامة في كتاب«نقد الشعر» له خطة معينة حددها ورسمها ليسير عليها الشعر وحده، فالشعر لفظ ومعنى، ووزن وقافية، ومع هذه البسائط المفردة أربعة أخرى مركبة هي اللفظ والمعنى، واللفظ والوزن، والمعنى والوزن، والمعنى والقافية وكان المنتظر أن يكون «نقد النثر» للنثر وحده. وماينطبق على أحدهما لاينطبق على الآخر كما قرر ذلك «قدامة» نفسه في صدر كتابه.

نحن لا نتاقش الآن في أن ماينطبق على الشعر، ينطبق أولا ينطبق على النثر، ولكنا نعجب أن يكون «قدامة» قد فصل الشعر عن النثر في اختصاص كل واحد منها ببلاغة، وأن يكون قدامة نفسه هو الذى يشيع المقاييس البلاغية بين الشعر والنثر، فما يكون من محاسن الشعر يستعمل في الخطابة والترسل، ومايكون من معاريبه يتجنب في الخطابة والترسل! ذلك في نظرنا مالا ننتظر من مؤلف واحد، يرسم خطة في كتاب، وينقضهما في كتاب آخر، وهو عنيه صاحب الكتابين...

ص ١١١ ويخلص الدكتور سلامة إلى هذه النتيجة:(.. وكل ما يمكننا أن نسلم به الآن أن كتاب «نقد النثر» من آثار القرن الرابع الذى استولت عليه أفكار أرسطو وشاعت بين علمائه ومؤلفيه، وسنرى أن كتاب «نقد النثر» ألصق بالبيان الهيليني من كتاب «نقد ص١١٢ الشعر لصراحة مؤلفه واعترافه بالأخذ عن اليونان

فى عدة نواح من مناحى الكتاب» [مثلا ص ٦٢، ٧٤، ٨٠، .]

**بلاغة أرسطو للدكتور إبراهيم سلامة ص ١٢٩.**

... هو يدلنا( أى صاحب نقد النثر) أيضا على رأى خاص فى استعمال المجاز والاستعارة يبين وجه الحاجة إليها ويشرحه فى العبارات الآتية:

«وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها فى كلام العرب لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم وليس هذا فى لسان غير لسانهم فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة، ربما كانت مفردة له، وربما كانت مشتركة، بينه وبين غيره. وربما استعاوا بعض ذلك فى موضع بعض على التوسع والمجاز فيقولون..» [نقد النثر ص ٦٤]

فعنده أن الاستعرة تصرف لغوى، وأن الدافع إليها ليس دافع ص١٣٠ نفسيا من عاطفة أو انفعال، وإنما هو دافع لغوى جاء من طبيعة اللغة نفسها، فهى كثيرة الألفاظ، ومعانى العرب محدودة فأمام المعنى الواحد يتردد العربى بين عدة تعبيرات لأن اللغة غنية بالمشترك وبالمترادف، وهم إذا استعاروا فإنما يستعيرون «على طريق التوسع والمجاز» ومعنى هذا التوسع أننا لا نتقن بالمعنى الحاضر أمامنا فنعبر عنه وحده بل لنا أن نعبر عما نتج منه: فإذا سأل الرجلُ الرجلَ» مقن عليه بالعطاء لنا أن نقول حكاية عن السائل«لقد نجّله» كما أن لنا أن نقول «لقد استجداه» فالعبارة الثانية عبر بها عن الحقيقة، والعبارة الأولى عبر بها عن لازم المنع وهو النجل. وكذلك الأمر إذا قالوا «فللموت ماتلد الوالدة» فالتعبير هنا بالمآل لابالحال. وقد ساق التحقيق هذه الفكرة عدة شواهد من أى «الكتاب» . ثم جعل من الاستعارة إنطاق مالاينطق إذا كان من حاله مايشبه أن يكون نطقا، ومن هنا مخاطبة الديار والأطلال واستيحاء الربوع والتحدث إلى الطبيعة وغير ذلك مما يسمى الآن فى المصطلحات البلاغية الحديثة فى الآداب الأجنبية «هبة الحياة» Animisme

مذهب كهذا يختصر البلاغة إلى أصغر-حدودها «فكل استعارة جائز متى كان

بين المعنيين المستعار له المستعار منه مشاكلة ومشابهة، وكل مجاز جائز متى كان بين المنقول إليه والمنقول منه أية علاقة من العلاقات والروابط المقربة والبيان كله هنا. فهو إيرا والمعنى الواحد بطرق مختلفة فى الأداء من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية. وكلها ماعدا التشبيه من باب التوسع فى اللغة، أما التشبيه فهو أساس الروابط والمقارنة والتى يمكن بها التقريب بين المشبه والمشبه به. رأى كهذا لم يفت عبد القاهر الجرجانى بل نراه قد ص ١٣١ لفقه وعلق به ووسع فيه كثيرا فيما سماه فى أسرار البلاغة «الاستعارة القريبة من الحقيقة» [ أسرار البلاغة ص ٤٤ طبعة سنة ١٩٢٥].

## بلاغة أرسطو للدكتور إبراهيم سلامة: ص ١٤٢

... أبا هلال انتهج له منهجا خاصاً جمع فيه بين صناعة الشعر وصناعة النثر فلم يقتصر على الشعر (كقدامة) ولم يقتصر على النثر كصحاب «نقد النثر» بل جمع بين مايجب للنثر والشعر معا فى كتابه المشهور «الصناعتين»

وأبوهلال أديب واسع المعرفة بالأدب العربى، وله فى فهمه ذوق دقيق، ومن يريد أن يقف على هذه المعرفة الشامة لابدله من قراءة كتاب المسمى «ديوان المعانى» .. ص١٤٣ جمع فيه على حد عبارته: «أبلغ ماجاء فى كل منه، وأبدع ماروى فى كل نوع من أعيان المعانى وأعلامها إلى عواديها وشذاذها، وتخيّرت من ذلك ماكان جيد النظم، محكم الرصف، غير مهلهل رخو، ولامتجعد فج، وهذا نوع من الكلام لايزال الأديب يُسأل عنه فى المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة، إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه، ومقدار حظه، فإن سبق إليه بالجواب جل المقدرة، وفخم أمره، وإن نكص عن ميدانه وشال فى ميزانية قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه» [ديوان المعانى جـ ١ ص٧]...

ص ١٤٦ أبو هلال فى الصناعتين يُبين أبو هلال فى أول كتابه عن غرض

ومعنى هو معرفة الإعجاز فى القرآن الكريم، فمن لايعرف البلاغة ووجوهها، والفصاحة ومسالكها لايعرف معنى الإعجاز، وينتهى به الأمر إلى الإعجاز الأتى من عجز العرب عن الإتيان بمثله وبالمعنى الذى أراده أصحاب «الصرفة» لا اجتهاد ص ١٤٧ فيه ولا يقين، ولكنه بعد هذه المقدمة يهمل هذه الناحية تماما فيأتى على كتابه كله من غير أن يتعرض للأعجاز إلا فيما يورده من الأمثلة القرآنية على سبيل الاستشهاد بالآيات إلى جانب الأبيات من الشعر والعبارات من النثر من غير مقارنة إلا فى الأمل النادر. ولعله ترك هذا الباب فيما ترك حتى يفسح المجال أمام «عبد القاهر الجرجانى» الذى كان من الأول فى هذا الميدان ...

ص ١٤٨ وهو ... قد فتح سبلا لعبد القاهر الجرجانى فى كتابه «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» فقد وجد فى الرد على ماقرره مدداً واسعاً فى باب اللفظ والمعنى «وبابّ التشبيه» وباب «الاستعارة» وغيرها مما تعقب فيه «العسكرى» على حد تلقينه إذا تعرض له ولآرئه.

## بلاغة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور إبراهيم سلامه ص ١٥١

... الذى نأخذه عليه [ أى على أبى هلال العكسرى] وعلى من عمق إلى الفصل بين اللفظ والمعنى مجافاته ومجافاة هؤلاء للحركة العقلية التى يحس بها الأديب إذا كتب أو شعر، إن الأديب لايقف أمام المعانى وحدها ولا أمام الألفاظ وحدها، يختار المعانى ثم يختار لها الألفاظ الملائمة لها فالتفكير فى اللفظ والمعنى تفكير جملى يفكر فيه الأديب مرة واحدة وبحركة عقلية واحدة، فإذا رتبت المعانى فى الذهن ترتيبا منطقيا، وإذا تحددت فى الفكر تحديدا يجمعه ترابط المعانى وتداعيها، هذا الترابط وهذا التداعى الذى يرضاه المنطق أويرضاه حسن الأديب انحدرت لهذه الألفاظ. وكبار الكتاب الذين ينقحون من ألفاظهم بعد كتابتها، إنما يغيرون من هذه الألفاظ، لأن معانيها قد تغيرت فى نفوسهم إما بالتحديد وإما

بالزيادة والنقص فهم يستبدلون اللفظ ص ١٥٢ك باللفظ وفق ماغيروا فى أنفسهم من المعانى. ففصل اللفظ عن المعنى هذا الفصل الذى يريده أبو هلال مخالف لطبيعة الأشياء ولطبيعة العقل نفسه.

**بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ص ١٥٢ للدكتور إبراهيم سلامة.**

.. الحق أن المعانى الأدبية غير محدودة مادام الأدب لايستلهم العاطفة وحدها وإنما يستلهم معها الفكر ومايجرى به من كل شأن من شئون الحياة.

**بلاغة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور إبراهيم سلامة**

ص ١٥٦ : عقد أبو هلال فصلاً للتشبيه تعرض فيه لصنوفه الكثيرة ولحدود كل صنف، ومثل لها بكثير من الشواهد الدالة على غزارة مادته الأدبية.والتشبيه باب كبير من أبواب البلاغة والأداء الأدبي تكفى فيه المقارنة بين شيئين ولمح ماينهما من صفة مشتركة بين الطرفين أو وجه من وجوه الشبه المقربة بينهما، ومن هنا كانت بلاغة التشبيه وكان تكثيره للمادة اللغوية وإلا لوكان الشبه بين الطرفين من كل الوجوه وكان المشبه عين المشبه به لكان من قبل المترادف أو المشترك ولسقطت منزلته فى البلاغة.

ص ١٥٧ والعرب تستحسن بطبعها من التشبيه ماكان مدركاً بالحس وماتجرى به العادة، وماهو مركز فى الطباع ومن هنا جاءت تشبيهاتهم صورة صادقة لحياتهم، فهم يشبهون الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع بالأسد. والحسن بالشمس والقمر، والسمو بالنجم، والرزين بالجبل، والطائش بالفراش، والذليل بالوتد، والقاسى بالحديد والصخر.ولديهم رجالهم وسير هؤلاء الرجال الذين اشتهروا بمعان من الفضيلة والرذيلة حتى عرفوا بها وصاروا علماً لها، إذا ذكروا انصرفت الأذهان إلى صفاتهم لا إلى شخوصهم فهم يشبهون بما تم فى السخاء، وبسحبان فى البلاغة وبلقمان فى الحكمة، وبباقل فى العى، وبالكسعى فى الندامة.

وفى التشبيه إيضاح وتصوير وتأكيد، ومن هنا كان عاما فى العرب وفى غيرهم لأن كل متكلم إذا تكلم بأية لغة إنما يهدف إلى هذه الأشياء الثلاثة حتى يبلغ بكلامه مايريد «وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل مايستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان» [الصناعتين ص ٢٣١.]

يضع أبو هلال التشبيه وضعا منهجيا جرياً على عادته فى الكتاب ويقسمه حسب وجه الشبه فتشبيه الشيء بالشيء يكون لاتحادهما فى الصورة أو فى اللون أو فيهما معا، أو فى الحركة أو فى المعنى. وحد الجمال فى التشبيه عنده هو كثرته وإذن يكون التشبيه المتكاثر (المركب) عنده خير من المفرد.

وهد يخلط بين هذا التشبيه وبين التمثيل ويعد الأخير من المتكاثر فإذا أورد ببيت بشار:

ص ١٥٨ كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

قال إنه «شبه ظلمه الليل بمثار النقع، والسيوف بالكواكب»

هذا مجمل ما قال فى التشبيه، وهو وإن حدده فى حدود ضيقة إلا أن له فضل تبويبه وتقسيمه، وكان فى القليل الذى أورده سببا فى الكثير الذى عرضه عبد القاهر من صنوف التشبيه ومن الفروق الدقيقة بينه وبين التمثيل، ومن الفلسفة النفسية التى تنتقل بالمعانى إلى المحات، وبالمجهول إلى المعلوم، وبالمركب إلى التفصيل.

وهذا الباب فيما نرى طبيعى فى البلاغة العربية لم يأخذ العرب عن غيرهم قديم فى شعرهم وشعرهم مبنى عليه، ولعله أول صنف من صفوف البلاغة التى أدركوها ودونوها وعقدوا اليها المقارنات ووازنوا بين عاليها وساقطها. وما نحسب أنهم تأثروا فيه بشيء من بلاغة الأوائل. على أن ذلك لا يمنعنا أن نورد هنا بعض

الفقرات التى تحدث فيها أرسطو عن التمثيل وأثره فى البلاغة إتماما للفائدة.

يقول أرسطوا فى الكلام على الصورة:«إن الصورة فى التشبيه تجرى فى النثر كما تجرى فى الشعر ولكنه بالشعر ألصق».

ص ١٥٩ : ويقول فى فقرة أخرى: إن أندروسيون Andration شبه أوريه 2 Drée بعدما خرج من سجنه بكلاب صغيرة أطلقت من سجنها وهجمت على الناس لتعضها. وينقل أرسطو عن شيخه أفلاطون تشبيها له ذكره في كتابه الجمهورية: «إن هؤلاء الذين يجرودن الموتى يشبهون كلابا صغيرة يقذفون بالأحجار فيفضونها من غير أن يلتفتوا إلى حاذفيها» ومن تشبيه أفلاطون أيضا :«إن القوم أصبحوا كالربان الأصم القابض على سكان السفينة بيد من حديد». ومنه التشبيه الشعرى الذى يقول:« إن هؤلاء يشبهون شباناً لاجمال فيهم.»

فالمشبهون متفرقون والمشبهون بهم جردوا من زهور الشباب والجميع مفكرون! ومنه تشبيه بركليس Périclés للسمانيين Les samiens « إنهم يشبهون الأطفال الذين يتناولون غذاءهم وهم مستمرون فى البكاء» ومنه تشبيه للبيوتيين بأنهم كأشجار السنط الخضراء «لأنهم يتقاتلون ويتضاربون وهذه الأنواع من الأشجار يكسر بعضها بعضا [لأن هذا الشجر يتخذ منه أوتاد توضع بين شقوق الأشجار لشقتها فهم كالشجر يكسر بعضها بعضا ] وديموستين Démosthéne شبه قوما بأنهم « كجماعة يقئيون على ظهر مركبه» وديمقراط Démerate شبه الخطباء» بالمرضعات الذين يمضغون الطعام ويحفكون به شفاه أطفالهم وشبه «أنتسبين» Antisthéne « سيفيزودت» Céphiadate النحيل «بالكافور الذى يمتع الناس برائحته وهو يحترق»

ويقول أرسطو بعد ذلك«فى هذه الأمثلة وفى هذه الصور ماتتذوق فيه الاستعارة ويمكن أن تكون تشبيها، وماالتشبيهات إلا استعارات ص ١٦٠ تتطلب شيئا من

التفسير والتوضيح» لايفتقد أن العرب عثرت على هذه التشبيهات أو استمدت شيئا من التفسير والتوضيح»

لايفتقد أن العرب عثرت على هذه التشبيهات أو استمدت شيئا منها للسبب الذى قدمناه أولا من أن التشبيه طبيعى يطفربه العقل لعمل المقارنة بين معروف وشيء مجهول. وقد يتأثر انفعالنا وعواطفنا بشيء فتتحول طبيعته إلى طبيعة أخرى فنطق أن الثانية هي الأولى وألافرق بين الطبيعتين لما بينهما من صلات حقيقة أو خيالية جسمها الخيال بعد أن ترددت بها العاطفة. فالتشبيه من الناحية النفسية طبيعى فى كل إنسان، ومن الناحية اللغوية يدفعن الشرح والأيضاح إلى القول بأن «هذا مثل ذاك» فهو موجود فى كل أمة وفى كل لغة غاية الأمر أن تشبيه التمثيل دليل على خصوبة الخيال وغزارة مادته لأن منشأة الصور وكثرتها وتزاحمها وتفاعلها، وتجمعها ، وتفرقها ، وفى كل حركة من هذه الحركات حيوية تدفع الخيال المبتكر إلى التركيب والتأليف فالأدب الذى يشتمل على تشبيه التمثيل أدب خصب الخيال، والتمثيل من بين صفوف التشبيه هو الدافع إلى الإبداع والابتكار.

**بلاغة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور إبراهيم سلامة ص ٢٥٨ :**

.... أكبر الظن أن للعصبية تأثيرا فى هذا الموقف بين اللفظيين وبين المعنويين فالأعاجم يعولون على المعانى العقلية وإن لم تقصر بهم عبارتهم بعد أن حذفوا العربية والعرب مندفعون بطبيعتهم إلى العرب وإن تقصر بهم المعانى بعد ثفافتهم وفلسفتها.

**وبلاغة أرسطوا بين العرب واليونان لدكتور إبراهيم سلامة ص ٢٩٢ :**

.... وبعد فإذا كان الطباق يونانيا لأنه مبنى على التضاد والتضاد ومنطقى، وإذا كانت المقابلة يونانية، لأنها مبنية على التشابه والدلالة بالتشابه وبالمثل دلالة منطقية يعرفها أرسطوا، وإذا كان الجناس يونانيا لأنه مخاتلة، ولأنه تلاعب بالألفاظ ، وإذا

كانت الاستعارة نفسها والتشبيه نفسه يونانيين لأن الأولى خروج بالألفاظ تحت تأثير الانفعال ولأن الثاني دلالة طبيعية يعمد إليها الإنسان ـ حتى البدائي ـ إذا أراد المناظرة والمماثلة والتدليل على أن الغائب مثل الحاضر، وأن هذه مثل تلك، فإن كل هذه المعاني ـ زيادة على أنها إنسانية وحيوية فى كل لغة حية ـ تتجه إليها الأذهان الحية إذا وجد فى طبيعة اللغة وفى حيويتها مايساعد على ذلك. وإذا كانت العواطف والانفعالات إنسانية أيضا، كان التعبير عن هذه العواطف وهذه الانفعالات، مماتدعو إليه اللغة وطبيعة الأمة الحساسة التى تطاوعها هذه اللغة.

والدكتور ـ **محمد غنيمي هلال** أشار فى دراسته عن الأدب المقارن إلى أن ثمت تأثير وتأثر فى الصور البلاغية والأساليب الأدبية فى أدبين بلغتين مختلفتين، ويقرر بهذا أن تلك مسائل وموضوعات فى الأدب المقارن .

**الأدب المقارن د. محمد غنيمى هلال**

**الطبعة الثالثة الانجلو المصرية ١٩٦٢**

**ص ٢٨٢ صور الأسلوب الفنية:**

نقصد بها الصور الجزئية التى ينقل ببها الكاتب أفكاره، ويصيغ بها خياله ص ٢٨٣ فيما يسوق من عبارات وجمل. وقد يبدو ـ لأول وهلة ـ أن تبادل التأثير فى الأسلوب لاموضع له فى دراسات الأدب، لأن الأسلوب لا موضع له فى دراسات الأدب المقارن، لأن الأسلوب من خصائص اللغة ومقوماتها. ثم إن الأسلوب مجال ظهور شخصين شخصية الكاتب، وفيه يتجلى طابعه الخاص.

ولكى الأسلوب ـ مع ذلك ـ يعبر عن صور فنية لها نظائرها فى اللغات والآداب المختلفة ، وقد تتكافأ هذه التعبيرات فتكون مجال تأثير وتأثر.

والكاتب فى أسلوبه يخضع لمقتضيات الجنس الأدبي الذى بسبيله ـ فإذا كان

هذا الجنس قد اقتبس عن بلد أجنبي فلذلك تأثير في الكاتب فيما يصور من مشاعر وأفكار ويتأثر الكاتب به كذلك حين يختار الكلمات وحين يبحث عن صور البيان الملائمة لموضوعه وهذا لا يمنع من أن تظهر في وحدة العمل الأدبى أصالة الكاتب وطابعه الخاص، كما لايمنع ذلك من أن يخضع الكاتب فيما يكتب لقوانين لغته وأصولها.

## د. غنيمي هلال

قسم د. غنيمي هلال كتابه النقد الأدبى الحديث ثلاثة أقسام كبيرة.

**أولها:** عند النقد اليوناني وفيه بين مدى تأثير فلسفة أرسطو على النقد في الأدب اليوناني.

**وفي القسم الثاني:** تحدث عن النقد العربى وقد عرضه في صورة يمتزج فيها النقد بالبلاغة وحاول أن يعرض لبيان مدى التأثير الأرسطى على النقد العربى ولنتمثل هنا بفصل واحد بعد نموذجا لهذا المنهج الذى اتبعه فيعرض مثلا في الفصل الخامس من الباب الثانى ص ٢٣٦ وما بعدها. قيمة الوجوه البلاغية في النقد العربى.

ـ أرسطو والوجوه البلاغية ـ نشأة الوجوه البلاغية في اللغات ـ عناية نقاد العرب بها ـ منهج العرب ومنهج أرسطو فيها ـ العرف اللغوى وأثره فى النقد العربى تقويم هذا العرف وتقسيمه ... الخ

**وفي القسم الثالث:** تناول مطولا النقد الأدبى الحديث مبرزا المذاهب الأدبية ومدى تأثيرها بالفلسفات المعاصرة.

---

ـ طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة القاهرة سنة ١٩٧٩

**د. شكرى عياد**

ترجم كتاب أرسطو مع الشعر وبين تأثيرات البلاغة اليونانية على البلاغة العربية أنظر تابع ص ٤ ثم هو حاليا يكتب عن الإسلوبية.

وقد جاء تصميم كتابه على النحو التالى:

**ـ التمهيد:**

ـ **القسم الأول:** كتاب أرسطوطاليس فى الشعر ترجمة أبى بشرمتى بن يونس مقابلاً بترجمة حديثة لقلم المحقق قطعة من شرح ابن سينا.

ـ **القسم الثانى:** كتاب أرسطوطاليس فى الشعر: تاريخه فى الثقافة العربية. وأبوابه:

**الباب الأول:** كيف نقل كتاب الشعر إلى العربية.

**الباب الثانى:** كتاب أرسطوطاليس فى الشعر بين أيدى الفلاسفة.

**الباب الثالث:** كتاب أرسطوطاليس فى الشعر بين البلاغيين والبلغاء.

# المبحث الثانى

# النص البلاغى المقارن

في هذا النص البلاغي المقارن والمطوّل نلمح كيف أثرت البلاغة العربية في البلاغة الفارسية وبالذات تأثير كتاب البديع لابن المعتز. ونعرض هنا ذوق الأدب الفارسي للبلاغة العربية وكيف أضفى عليها من روحه وخياله المجنح.

المكتبة الفارسية

حدائق السحر في دقائق الشعر

تأليف

رشيد الدين محمد العمرى الكاتب البلخى

المعروف بالوطواط

المتوفى سنة ٥٧٣ هـ

نقله الى العربية

**ابراهيم أمين الشواربى**

# كلمة المترجم

لو طلب إلى أحد أن اتخير له مجموعة من الكتب الفارسية تكون صالحة للترجمة الى العربية، لما ترددت فى أن أجعل فى رأس هذه المجموعة كتاب حدائق السحر فى دقائق الشعر: تأليف «رشيد الدين محمد العمرى» الكاتب البلخى المعروف بالوطواط

فهذا الكتاب على صغر حجمه، يمتاز بطرافة التأليف ووضوح المنهج واستقامة الجادة وهى جميعها ميزات قلما نصادفها فيما وصلنا من كتب مبكرة فى علوم البلاغة أو غيرها من العلوم.

وهو بالاضافة الى ذلك، دراسة مقارنة للبلاغتين العربية والفارسية، نستطيع أن نعلم بواسطتها الى أى مدى تأثر علم البديع الفارسى زميله العربى، فكان حالة فى ذلك حال طائفة أخرى كبيرة من شعب العلوم الفارسية التى نشأت أولا على غرار العلوم العربية، ثم أخذت بعد ذلك تنمو وتتطور وتكمل حتى استطاعت فى النهاية أن تتميز بصفتها الخاصة وأن تنفرد بطابعها الخاص، فلم تقتصر على مرحلة المحاكاة والتقليد وإنما خطت متعجلة الى مرحلة الخلق والابداع والتجديد.

وكتاب «حدائق السحر» له من المنزلة الكبيرة لدى الفرس مالـ «كتاب البديع» الذى وضعه «ابن المعتز» للعرب فى أواخر القرن الثالث الهجرى. فهو أول كتاب وصل إليهم بلغتهم فى هذا الفن لم يسبقه إلا كتاب واحد مفقود لانعرف عنه إلا اسمه وهو كتاب «ترجمان البلاغة» من تأليف الشاعر الكبير «ابى الحسن على السجستانى «المتخلص بالفرُّضيِ»

وستعلم منها ايضاً، أن مؤلف هذا الكتاب ليس غريباً على قراء العربية فهو واحد من أدبائهم، استطاع ان يخلف لهم ثروة أدبية ممتازة فى رسائله العربية التى عنى بنشرها منذ خمسين سنة تقريباً المرحوم محمد أفندى فهمى فطبعها بمطبعة المعارف فى سنة ١٣١٥ هـ تحت عنوان «مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط.

## الترصيع

ص٩٠ الترصيع فى اللغة بمعنى وضع الجواهر وغيرها فى الذهب.

ومعناه فى أبواب البلاغة : أن يقسم الكاتب أو الشاعر عباراته إلى أقسام منفصلة، ثم يجعل كل لفظ منها فى مقابل لفظ آخر يتفق معه فى الوزن وحروف الروى. وإذا تحدثنا عن النثر فقلنا ك «حروف الروى» فما ذلك إلا من باب التوسع، لأن «حروف الروى» لاتكون فى الحقيقة إلا فى الشعر.

ومثال الترصيع فى القرآن المجيد : «إن الأبرار لفى نعيم، وإن الفجار لفى جحيم»

ومثال أخر فى القرآن : «إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم»

ومثال من الكلام النبوى : اللهم اقبل توبتى ، واغسل حوبتى»

ومثال من نثر الفصحاء : من أطاع غضبه أضاع أدبه»

ومثال آخر : «العاقل يفتخر بالهمم العالية، لا بالرمم البالية»[1]

وإذا شاء شخص أن يجد خزانة مليئة بالمرصّعات فى النثر العربى، وجب عليه أن يجعل على رسائل «أبى الحسن الأهوازى»[2] فإنها برمتها مرصعة، وإنى أنقل إليك فصلا من كلامه على سبيل المثال :

ص٩١ «الحمد لله الدائم بقاؤه، اللازم قضاؤه، الثاقب برهانه، الغالب سلطانه، الذى أيد الدين بعد ماولت ولاته، واستولت عداته، وتضعضعت أركانه، وتصعصعت أعوانه، وانقضت كواكبه، وانفضت كتايبه، وذل نصيره، وقل مجيره، بغيث الحياء، وليث القضاء، وكنه الآمال، ووجه الإبطال، وقلب الإقدام، وقطب الإسلام، ولباب العلى ، ونصاب التقى، الداعى إليه وصلواته عليه حمداً لايغنى مدده، ولا يحصى عدده، وإليه الرغبة فى الصلوة على مُجلّى الغُمّة، ومُنَجّى الأمة، محمد وآله الطاهرين وأصحابه الزاهدين...»

ومثال الترصيع فى اللغة الفارسية ... ومعناه : ميتة الأم مكشوفة النقاب لامأوى لها.

شرب الخمر وأخذ فى القئ

ومثال من الشعر العربى قول «أبى فراس»

وأفعاله بالراغبين كريمة وإمواله للطالبين نهاب

ويقول الغزّى

أنا ظالمي إن فضت سطوة ظالمِي بل لايمى إن عفت جفوة لايمى

ومن قولى بالعربية:

ياباني الفخر الأشم ياثاني البحر الخضم

أنت المقدّم فى الهدى انت المعظم فى الأمم

مغناك للراجعى حمىً وذراك للاجئ حرم

الليث دونك فى الوغى والغيث دونك فى الكرم

تُلقى بحضرتك المنى تُنفى بغرتك الظلم

ص٩٢ ويقول الردوكى بالفارسية ومعناه:

فأرسل إلينا سراً أحد الأشخاص يقول لنا لاتذكرنا فى الشعر كثيراً

ويقول المنطقى ومعناه:

اعتبر النيل بخيلاً بالمقارنة الى سخائه، واعتبر الفيل ذليلاً إلى جوار شجاعته وبدائه

وأقول بالفارسية ومعناه:

يامن تنير بك نجوم الجلال، وتقرر بك رسوم الكمال

إن صدرك روضة النعيم، وقدرك كأوج السماء من حيث الجلال.

## الترصيع مع التجنيس

صناعة الترصيع رخيصة الشأن فى ذاتها، ولكنها إذا اقترنت بعمل آخر مثل «التجنيس» فإنها تزداد علواً ورفعة شأن ومثال الترصيع مع التجنيس فى العربية:

قد وطئت الدهماء أعقابهم، وخشيت الأعداء أعقابهم

ومثال آخر: الكؤوس فى الراحات ، والنفوس فى الراحات

ومثال فى الفارسية ومعناه:

الصديق منحرف والحال مضطرب

ويقول «المؤملى الكاتب» بالعربية:

لم نزل نحن فى سداد ثغور　　　واصطدم الأبطال من وسط لام

واقتحام الأهوال من وقت حام　　　واقصام الأموال من وقت سام

ومن قولى:

جلالك يا خير الملوك مساعيا　　　على منبر المجد المؤثل خاطبٌ

للحظة النكراء سيبك دافعٌ　　　وللحظة العذراء سيفك خاطب

ويقول بعض المتكلفين ومعناه:

أنا مريض والحرب أمامى وأنت مقصر عنى

وأنا خائف وحالى مضطرب وانت علاج

وإني أقرر لك أني أصطلى بالنار إذا علمت بحالى

وأقرر لك أنك انت الذى تقلبنى على اللهيب

ويقول آخر ومعناه:

إن جميـع آلامـي ناشئـة مـن طرتـك وغمزاتـك

فإنك تقطع عليّ الطريق بطرتك، وتسلب درعي بنظراتك

## التجنيسات

وتكون هذه الصفة بتشابه الكلمات بعضها البعض فى النطق أو فى الكتابة، سواد فى النثر أو فى النظم.

والتجنيسات سبعة أقسام:

١ – تجنيس تام

٢ – تجنيس ناقص

٣ – تجنيس زايد

٤ – تجنيس مركب

٥ – تجنيس مكرر

٦ – تجنيس مطرف

٧ – تجنيس خط

### ١ – التجنيس التام:

ويكون بوجود كلمتين أو أكثر متشابهة الصورة فى النطق والكتابة، ولكنها مختلفة فى المعنى، ويجب أن تكون هذه الكلمات متفقه فى التركيب وفى الحركات دون زيادة أو نقصان.

ومثاله الفارسى ومعناه : لا تأكل الآكل الذى يضرك فإنه يؤذيك.

ومثله قول أبي الفتح البستي

سمى وحمى بني سامٍ وحامٍ     فليس كمثله سامٍ وحامِ

ومثله قولي بالفارسية ومعناه:

ياسراج حسان الخطا     إن بعدى عن طفلك خطا

ومثله ايضا معناه: ياغزال القصر، يا مبدعاً في الغناء، امسك القيثارة في قبضة يدك وغن لي غزلاً.

## ٢ـ التجنيس الناقص:

هو كالتجنيس التام في اتفاق الحروف، ولكنه يختلف عنه في اختلاف الكلمات المتشابهة في الحركات.

ومثاله: جبّة البُرد   جُنه البَرد

فكلة (بُرد) الأولى مضمونة الباء، وأما الثانية مفتوحة الباء ومن أجل هذا الإختلاف في الحركة سميِ هذا النوع من التجنيس بالتجنيس الناقص، ولو اتفقت حركات الحروف في الكلمتين كانتا تجنيساً تاماً.

ومثاله في قول النبي (ﷺ) اللهم حسنت خَلْقِي فحَسِّن خُلُقِي.

ومثاله من قول معاذ بن جبل : الدِّين يهدم الدَّين

وقال أحد البلغاء : الجواد مُحْتكر بِرّ لامحكتر بُرّ

ويقول (الثعالبي) : الصديق الصدوق أول العَقْد وواسطة العِقد

وأمثال ذلك كثيرة في العربية

ومثاله في الفارسية ومعناه : يامن اختارتك البلايا وعضضت ظهر يديك ندما

مثال آخر ومعناه : قاطع للطريق قاتل للكرام

ومثاله من الشعر العربى

لمولانـــا كمـال الدين مجدٌ أشـمٌ ومنصـبٌ عــالٍ وعـزّه

يحـب جـواره زهـرُ المعـالي كحـب كثيـرٌ أطـلال عـزه

ويقول «قطران» بالفارسية

ومعناه : إن العدو يترجل عن جواد الدولة حينما تركب أنت جواد السعادة. واذا ركبت على جواد السعادة وفى يدك الحبل فهو فيِ ساعدك سوار من العادة.

## ٣ - التجنيس الزائد

ويسمونه أيضاً بالتجنيس «المزيل» ويكون بتجانس الكلمتين فى الحروف والحركات، ولكن احدى الكلمتين تنتهى بحرف زائد.

ومثاله: هو حامٍ حاملٌ لأعباء الأمور وكافٍ كافلٌ لصالح الجمهور

أنـا مـن زملنـيِ فيِ زمانه ومـن إخوانـيِ فـى خيانـة

ومثاله الفارسى. ومعناه : شعر أكثر سواداً من الليل والفحم

وقال نصر بن الحسن المرغينانى : فديناه من خل موافٍ موافق: ومن صاحبٍ وافٍ مصافٍ مصافقٍ ومن قولى بالفارسية ومعناه:

أيها الجميل إننيِ فيِ حسرة اشتياقى لتقبيل وجنتيك قد أصبحت من الحزن مثل القصبة (البوصة) وأصبحت من البكاء مثل الشعره.

## ٤ - التجنيس المركب

وذلك بأن تكون إحدى اللفظتين المتجانستين - أو كلتاهما مركبة. وينقسم الى قسمين:

**القسم الأول** تتشابه فيه الكلمتان فى اللفظ والخط

**القسم الثانى** تتشابه فيه الكلمتان فى اللفظ وتختلفان فى الخط

فى هذه الحالة يسمى با « التجنيس المفروق»

ومثال النوعين من النثر العربى:

أ – إن علت دولة أو غاد ، فصنعُ اللّه رايحٌ أو غاد

ب – كنت أطمع فى تجريبك ، ومطايا الجهل تجرى بك

ومثالهما من النثر الفارسى . ومعناها:

إننيِ أسرع فى طريق محبتك مادمت حيا

أنا لست ميتاً ولكنى لست إنساناً

ومثال النوعية من الشعر العربى:

جعلتُ هديتى لكمُ سِواكا — ولم أقصد به أحداً سواكا

بعثت إليك عوداً من أراك — رجاءً ان أعود وأن أراكا

ومثال التجنيس المفروق:

كلكم قد أخذ الجام ولاجامَ لنا — ما الذى ضرَّ مدير الجام لو جاملنا

ويقول (قطران ) مثالاً للنوعين ومعناه:

أنا فيِ حزنيِ ولوعتيِ رؤيتك، أحاسب قلبيِ دائماً وفيِ كل لحظة.

ولكنك لا تذكر حبى أبداً، كأنك لاتعرف الحب مطلقا

ومثاله للتجنيس المفروق ومعناه:

هذا الحبيب المدير القامة الذى يطل كالشمس المنيرة تعلو قامة السرو قد أضحى داء قلبى فأجرى الماء فى العيون المشوقة اليه.

### ٥ – التجنيس المكرر:

ويسمونه أيضاً «المردَّد» أو «المزدوج» ويكون بأن يجعل الكاتب أو الشاعر فى نهاية الأسجاع أو أواخر الأبيات لفظين متجانسين، ويجب ان يكون هذان اللفظان متتالين. ويجوز أن تكون فى صدر اللفظ الأول منهما زيادة.

ومثاله:

أ – النبيذ بغير النغم غَمٌّ ، وبغير الدسم سُمٌّ

ب – من طلب شيئاً وجَدَّ وجد

حـ– من قرع باباً ولجَّ ولج

ومثاله فى الفارسية ومعناه:

فلان مغن وعازف على العود

فـــلان حزيـــن وهزيـــل

ويقول «أبو الفتح البستى»

| | |
|---|---|
| أبا العباسى لاتحســب بأني | لشيبيِ عن حلى الاشعار عارِ |
| فلِي طبعٌ كسلســال مَعين | زلال من ذُرى الأحجار جارِ |
| إذا ما أكـبت الأدوار زنـدا | فلـيِ زندٌ علـى الادوار وارِ |

ومثاله من الشعر الفارسى ومعناها:

لقد اضطرب حالى بسبب قلبك المكار

وبسبب وجنتك اشتعلت في قلبي النــار

وبالمقارنة الى طلعتك احسست بالخجل والعار

وأمام عينيك القاتلتين احسست الذلة والصغار

وقد قال «قطران» قصيدة كاملة استعمل فيها برمتها هذه الصفة ، ص٩٩ ومطلع هذه ومعناه:

تحمل السحاب الممطر بالأمطار بمروره على هذه البحار

فأينعـت الحدائـق والبساتيـن وتحملـت بالثمـار

ويقول «منوچهرى» المتوفى سنة ٤٣٢ هـ ومعناه:

العون لي أمام طلعتك البهية أيها الحبيب الغادر

ولاشأن لي بصاحب هـذه الـورود والزهـور

فمنـذ تـلألأت طلعتـك الورديـة

وقـد انصبـت النيـران على قلبي المكتـوى

## ٦ - التجنيس المطرّف

ويكون باتفاق الكلمتين التجانسين في جمع حروفها ما عدا الحرف الأخير منهما ومثاله من الحديث النبوى:

«الخيل معقودٌ بنواصيها الخير الى يوم القيامة»

ومثال آخر: لفظة دُرٌ نضيد وخطة روض نضير

ومثال ثالث : كما يجيىء لا كما يجب

ومثال رابع : الخاين خايفٌ

ومثاله من الفارسية ومعناه : قلب الكريم يخلو من الأذى.

ص١٠٠ ويقول «أبو بكر القهستانى»

تمتع بيوم مسعد النجح مسعف ودع قول لاح معنت النصح معنف

وقصيدته هذه مليئة من بدايتها الى نهايتها بهذه الصفة وبغيرها من الصناعات

ص١٠١ ويقول «معزّى»

ومعناه: من وميض سيفـه كان الـشراب للمتكبريـن

ومن طعان رمحه كان الطعام للأذلاء الحقيرين

ص١٠٢

## ٧ – تجنيس الخط

ويسمونه أيضاً «المضارعة» أو «المشاركة» ، ويكون بتشابه الكلمتين المتجانستين فى الخط مع اختلافها فى النطق.

ومثاله من القرآن : «وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»

مثال آخر: «والذين هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين»

ومثاله من الحديث النبوى: (إياكم والمشارة فإنها تميت الغرة وتحيِ العُرّه)

أو كما ورد فى كتاب «شهاب الآخبار» إياكم ومشارة الناس فإنها تدفن الغرة وتظهر العُرَه

ومن كلام النبى أيضاً: عليك باليأس من الناس

ومن كلام امير المؤمنين «على» ما قاله فى الجراد كلْه كلّه

ومن كلام الفصحاء وبعضهم ينسبه الى أمير المؤمنين على قولهم:

غرّك عِزُّك، فصار ذلك ذُلّك، فاخشى فاحسن فِعْلِك فَعلّك تُهدَ بهذا.

ومن قولي : رُبَّ رَبَّ غِنى غَبِيٌّ، سرّته شِرّته، فجاءه فجأة بعد بُعد عِشرته عُسْرته

ومثال آخر نعم النسب النشب

ومثال آخر المجالس أحلاها أخلاها

ومثال آخر : كل ملهوف اليه فراره ولديه قراره

ومن الأمثلة الفارسية ومعناه الليل مظلم والطريق ضيق

ومن الشعر العربى قول نصر بن الحسن

ياحسن دار تعفت وطيب تلك المغانيِ

كأنما هيَّ لفظٌ ومالها من معانيِ

ومن قولى البيت الآتى:

به عاد أعلام العلوم عواليا وأصبح اثمان الثناء غواليا

ص١٠٣ ومثال آخر:

لقطب الملوك تذل الرقاب ونحو هواه تميل النفوس

عواطفة سابقات الظلال وأنعمة سائفات الكؤوس

ومثاله من الشعر الفارسى ومعناه:

من الخير ان تشرب فى هذه المدة خمراً صافية البهاء

وأن تلبس فى هذا الموسم الخز والملابس الدكناء

ومثال ثالث بالفارسية ومعناه:

أنت مكس المخال وأنا مسكين الحال

## الاشتقـــاق

ويسمونه أيضاً «الاقتضاب» ويعتبره اصحاب البلاغة نوعاً من أنواع التجنيس. ويكون بأن يورد الكاتب آو الشاعر فى نثره أو نظمه ألفاظاً متقاربة الحروف في النطق.

وأمثله الإشتقاق كثيره فى كلام الله عز وجل وفى أثار السابقين

ومثاله من القرآن : فأقم وجهك للدين القَيِّمٌ

مثال آخر : يا أسفيِ على يوسف

مثا ل آخر : وأسلمت مع سليمان لله ربِّ العالمين

وجنـــا الجنتـــين دان

مثال آخر: لنريه كيف يوارى سوآة أخيه

مثال آخر : قال إنيِ لعملكم من القاليـن

فـروحٌ وريحـانٌ وجنـةٌ نعيـم

وإن يردك بخير فلا راد لفضله

أو آويِ الـى ركـن شديـد

ومثال آخر: إذا قلتم اي الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة.

ومن أخبار الرسول (ﷺ)

عُصيةٌ عصت الله ورسوله

مثال آخر : ومضر مضرُّها الله فى النار وغفَّار عفرها الله.

مثال آخر : الظلم ظلمات يوم القيامة

ومن كلام على (رضى الله عنه) يا حمراء يا بيضاء احمرّيِ وابيضىّ وغرّيِ غيرىِ.

ومن كلام البلغاء قولهم: اللهم سلّط عليهم الطّعن والطاعون

ومثال آخر: له خُلقٌ خلَق ، وشأن شائن وشيمةٌ مشومة ، وخيمٌ وخيم

ومثاله من النظم العربى:

وقائلةٍ لـم عرّتكَ الهمـوم وأمـرك ممتثـلٌ فـيِ الأمـم

فقلت دعينى على غصنيِ فإن الهمـومَ بقـدر الهمـم

ويقول «النوقاتيِ»

هنيئـاً لساداتنـا فـى العــراق لقاء الكرام وماء الكروم

فقـــيِ مقلتـيِ منذ فارقتهـم غمامٌ يجود بماء الغموم

ويقول نصر بن حسن المرغينانىَ:

إن ترى الدنيا أغارت ونجوم السعدغارت

فصروف الدهر شتّى لكما جارت أجارت

ويقول «اليزيدى» فى الأصمعيِ:

وما أنت هل أنت إلا امرؤ إذا صح اصلك من باهله

ص١٠٥ وللباهلّـيِ علـى خبـزه كتـــاب لآكلةِ أكلـــه

ومن الشعر الفارسى الأبيات الآتية:

ومعنى هذه الآبيات:

إن نغمـاتك ايها التركيِ الغض الأهاب لتبعث دموع صبريِ من مآقيِ انا المسكين.

فاضرب ليِ لحناً جميلاً أو العب فيِ نغمة شائقة، ولاكان ليِ الخلاص من عشقك الدفين

فبوصفك تحققت للشاعر شاعريته، ونبعتك حاز الراويِ جمال أسلوب الرصين.

ويقول (الرودكى) ومعناه:

إذا أوصلتك البدره الى البدر المنير فبادر إليه ولاتصمت هكذا.

## الأسجـــاع

### الأسجاع ثلاثة أنواع:

١ – الأسجاع المتوازنة

٢ – الأسجاع المطرفة

٣ – الأسجاع المتوازية

### النوع الأول: الأسجاع المتوازنة

وذلك إذا وجدت، فى جملتين أو أكثر ، كلمات متفقة فى الوزن وعدد الحروف والرويِّ.

ومثالها من القول النبوى : «اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً فالشاهد هنا فى لفظِ «خلف» و«تلف» فهما يتفقان فى وزن الحروف والروى.

مثال فارسى ومعناه لعب الكرة وأجرى الجواد

## ص١٠٦ النوع الثاني: السجع المطرّف

وذلك إذا وجدت، فى آخر جملتين أو أكثر، كلمات متفقة الروىِ ولكنها مختلفة من حيث الوزن وعدد الحروف

ومثاله من فواصل القرآن الكريم : ( مالكم لاترْجُون لله وقارا وقد خلقكم أطورا)

ويجب ملاحظة أنه لايجوز تسمية أواخر آيات القرآن «اسجاعاً» بل يجب تسميتها «فواصل» كما قال عز وجل «كتاب فُصِّلت آياتُه» ومثال السجع المطرف من قول الفصحاء: جنابُه محطُّ الرِّحال، ومخيمُ الآمال.

فالشاهد هنا فيِ «رحال» و «آمال» فإن هاتين الكلمتين متفقتان فيِ حروف الروىِ وهو (اللام) بعد «الألف» ولكنهما مختلفتان من حيث الوزن فإن كلمة (رحال) على وزن (فعال) بينما كلمة آمال على وزن (أفعال).

ومثاله فى اللغة الفارسية ومعناه: فلان مكارمة كثيره وأفضاله لاتحصى

## النوع الثالث : السجع المتوازن

وليس هذا النوع مختصاً بالنثر وحده بل يمكن أن يرد فى الشعر ايضاً . . ويكون بأن ترد، فى أول الجملتين أو آخرهما، أو فيِ أول المصراعين أو آخرهما، كلمات تتفق مع بعضها من حيث الوزن ولكنها تختلف فيِ حروف الروىِ.

ومثال من كلام الله: «وآتيناهما الكتاب المُستبين، وهديناهما الصراط المستقيم»

ففيِ مقابل (أتيناهما) نجد (هديناهما) وفى مقابل (كتاب) نجد (صراط ) وكذلك مقابل (المستبين) نجد (المستقيم). وكل كلمة من هذه الكلمات مرافقة من حيث الوزن لنظيرتها.

ومثاله من نثر البلغاء : قد اتسع المجال بعد التضايق، واتجه المراد بعد التمانع.

ويقول ابو بكر القهستاني .

فما ذقت إلا ماءَ جفنيٍ مشربا        وما نلت إلا لحمَ كفيٌ مطعما

ص١٠٧ ومن قولي:

هو الشمس قدراً و الملوك كواكب        هو البحر جوداً والكرام مذانب

ومثاله في الفارسية ومعناها:

خزائن العالم ليست كثيرة، الى جوار أكفة الكريمة

وكشف سرائر الغيب ليس صعباً أمـام طبعـة الخيرّ

## المقلوبـــــات

هى من جملة الصناعات الغريبة البديعة التيِ يتخذونها فيِ النظم والنثر، وتدل على قوة الشاعر أو الكاتب وسلامة طبعة وخاضوه.

وأنواع «المقلوبات» كثيرة، ولكننا نكتفِ بأن نذكر هنا أربعة أنواع هيِ الأكثر اشتهاراً وهيِ

١ - مقلوب البعض

٢ - مقلوب الكل

٣ - المقلوب المجنحّ

٤ - المقلوب المستوى

### ص١٠٨ النوع الأول : مقلوب البعض

ويكون بأن توجد ، فيِ النظم أو النثر ، كلمتان أو أكثر يكون فيهما تقديم أو تأخير في بعض الحروف، بحيث لايشمل ذلك الاختلاف الحروف كلها.

ومثاله من الألفاظ العربية المفردة: رقيب، قريب، شاعر، شارع

ومثاله من الكلام النبوي: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا

ومثاله من قول البلغاء: من يحرم يرحم، ومن يجرم يرجم

ومن قول ابى فراس:

فعنديِ خصب روّاديِ وعنـــديِ ريٌ وُرّادِ

ومن قولى بالفارسية ومعناه:

بسبب هاتين العينين الفاتنتين، اضحى قلبى الى الأبد قريناً للعناء.

## النوع الثانى: مقلوب الكُلّ

ويكون بأن يحصل التقديم والتأخير فى جميع حروف الكلمة من أولها الى آخرها.

ومثاله من الألفاظ العربية المفردة: سيل، ليس، تاريخ ، خيرات.

ومثاله: كفُه بحر وجنابُه رحبٌ

ومثاله فى الفارسية ومعناه: اللهم أعطنا الراحة والهناء

ومن قولى بالعربية

حامٌك منه للأحباب فتحٌ ورمحٌك منه للأعداء حتفٌ

ويقول (العنصريِ) ومعناه:

بالمال يحقق الأمل المطلوب، وبالحرب يهيىء الجيش المرغوب

## ص١٠٩ النوع الثالث : المقلوب المجنّح:

وهو عبارة عن (مقلوب الكل) ولكنهم يحتفظون بالكلمتين اللتين تقع فيها

هاتان الصفتان فيضعون واحدة منهما فى أول البيت والأخرى فى نهايته.

ومثالهقولهم:

ساق هذا الشاعر الجُبن الى من قلبه قاس

سار حيٍّ القوم فالهمّ علينـا حبـل راس

ومن الأمثلة الفارسى. ومعناه:

إننى أبداً عبد مطواع لمن هو بطبعة أدباً على بديهته وربما ألحقوا هذه الصنعة بأول المصراع وآخره.

ومثاله من الشعر الفارسى ومعناه:

اننى بسبب هاتين النرجستين (العينين) الفاتنتين المخمورتين صاحبتيِ الغنج والدلال قد أضحيت أبكى وانتحب واشتكى فى هذه الأيام الاطوال.

ويسمون «المقلوب المجنح» آحياناً «المعطَف»

## النوع الرابع: المقلوب المستوى

ويكون بأن نستطيع ان تقرأ جملة منثورة مركبة من بضعة الفاظ، أو مصراعاً من الشعر أو بيتاً كاملاً منه، بحيث إذا قلبت الجملة أو المصراع أو البيت كان كل واحد من هذه الثلاثة متفق الأصل مع مقلوبه.

ومثاله من القرآن : كلٌّ فيِ فلك . . . ربّك فكبر

ومثاله من النثر العربى : ساكبُ كاس

ومثاله فى الفارسية ومعناه عندى جميع مرادىِ

ص١١٠ ومثاله من الشعر العربى:

أراهـُـنَّ نادمتَـه ليـلَ لهـوِ وهـل ليلُهـُـنَّ مُدانِ نهـارا

ومثال آخر:

عُجْ تنم قُرْبَكَ دعْدٌ آمنا إنما دعد كبرقٍ منتجع

ومثاله بالفارسية ومعناه:

ايها الماهر السريع الحركة أسرع بإحضار الخبز والزيت

ويقول (النظرِى) هو من اصحاب اللسانين ت سنة ٤٩٩ هـ.

ومعناه: إن عدة عقلى أقبلت إليّ من مدينة نطنز

فأنا من (نطنز) من (نطنز ، من نطنز) من (نطنز)

## رد العجز على الصدر

يعتبر (رد العجز على الصدر) من العلوم المختارة والصناعات المحببة المقبولة فى باب البلاغة ويقصدون بالعجز آخر البيت وبالصدر أوله. والبيت المردود عجزه على صدره يسميه شعراء الفارسية بالمطابق أو المصدّر.

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر فيِ أول كلامه المنثور أو بيته المنظوم لفظة معينة، ثم يذكرها ثانية فيِ آخر العبارة أو البيت، وهذه الصنعة على ستة أنواع:

### ص١١١ النوع الأول: من رد العجز على الصدر

وفيه يكون اللفظ المذكور أولاً هو بعينه المذكور أخيراً من حيث الصورة والمعنى وبغير تغيير أو تفاوت مثل

طلب مُلكهم فسلب ماطلب . . . ، ونهب مالهم فوق مانهب

الحيلة تركُ الحيلة . . . القتل أنفى للقتل

ومثاله بالفارسية ومعناه: الصائغ يعرف قدر الجواهر

ومثاله من الشعر العربى

سكرانِ سُكر هوىً وسكر مدامةٍ أنّى يفيقُ فتىً به سُكران

ويقول اديب الترك:

تمنّت سُليمى أن أموت صبابةً وأهونُ شيءٍ عندنا ماتمنت

ويقول الشاعر:

سريع الى ابن العم يشتم عرضَه وليس إلى داعيِ الندّى بسريع

ويقول الشاعر «الغضايرى» ومعناه

لم يكن إمساكه للعصا معجزاً وقد وجب أن تصير ثعباناً

ولي قصيدة التزمت فيها هذه الصنعة من أولها الى آخرها، وإني أذكر منها هذه الأبيات

ص١١٢ ومعنى هذه الأبيات:

إن هذا المعشوق الجميل سلب الراحة، من قلبي والغرار، بهذه الطرة العنبرية السوداء التي ليس لها قرار.

وتخضب وجهي بدماء عيني بسبب هجري لوجه هذا المعشوق الجميل والخمار يلعب برأسي من غير شراب، بسبب ما أحسه من لوعة لعين معشوقي المليئة بالخمار

وقد نأيت عن وصل الحبيب ولكن عيني امتلأت الى حافتها بالدماء. ولست أعرف حساباً للوعتي عليه، لأن لهفتي عليه جاوزت حدود الحساب . .

## النوع الثاني: من رد العجز على الصدر

وهو كالصنعة السابقة إلا أن اللفظ المذكور أولاً يكون في صورته لكالفظ المذكور أخيراً، مع اختلافه عنه من حيث المعنى.

وهذه الصنعة هي بعينها «التجنيس لتام» ولكنهم اعتبروها من باب «رد العجز على الصدر» ، لأن إحدى الكلمتين المتجانستين ترد في الصدر بينما ترد الأخرى في العجز.

وهذا النوع أجمل من النوع الأول وأكثر صعوبة في القول

ومثاله :

كافر النعمة كالكافر      سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل

ويقول السَرِيّ الموصلي:

يسـار من سـجيـتـهـا المنايا ويُمنى من عطيـتـهـا اليسـار

ويقول نصر بن الحسن المرغيناني:

ذوائب سورٌ كـالعناقيـد أُرسلت فـمن أجلهـا منّا النفـوسُ ذوائبُ

وأيضاً

ونشريِ بجميل الصنع ذكراً طيّب النشـر

ونعزى بسيوف الهند من أسرف فيِ النقـر

ونجرى فيِ شرى الحمد على شاكلهَ النجّر

ويقول العلوى الزينبيى

ومعنى هذه الأبيات

إننى اخترت هواك فيِ هذا العالم لأنه أنقى من نسمات الهواء (قطرا الندى)

فلو أتيت ورأيت حال مريدك لرحمتنى وأحببتنى والتفت إلىّ فيِ التو الساعة.

ومرعايِ كائن فى شفتيك المعسولتين، فماذا انزعجت منى وفررت من أماليِ

ويقول أبو الفرج الرونى

ومعناه : لقد أيسر الملك على يمينك، وأقسم العدل على يسارك.

## النوع الثالث : من رد العجز على الصدر

ويكون بأن يرد اللفظ الذى فيِ عجز البيت، بصورته ومعناه فى حشو المصراع الأول وليس فى صوره.

ومثاله أمـا القـبـور فـإنهـا مـأنوسـةٌ فأمسى وحيداً فيِ فنون الفضـائل

ومن قولى:

لقد حازَ أقسامَ الفضائل كلها     فأمسى وحيداً فيِ فنون الفضائل

ومثاله فيِ الفارسية ومعناه:

جعلت عشقى له حديث المجالس، وأما حسنه فجعله شهرة المجامع

ص١١٤ ومعنى البيت الثانى

إذا استطاع صانع الدمى أن يصور صورته فلا شلت يده المباركة

وإذا استطاع «آزر» ان يصنع مثله مبارك الله روحه بتحية منيِ.

## النوع الرابع من رد العجز على الصدر:

وهو كالنوع الثالث إلا أن معنى اللفظ الذى يرد فى النهاية يكون مخالفاً لمعناه فيِ الحشو

ومثاله قول الثعالبى:

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها     فانف البلابلَ باحتساء بلابل

فكلمة «بلابل» المصراع فى الأول جمل (بلبل)، وإما كلمة (بلابل) فى عجز المصراع الثانى فجمع (بلبلة).

ومن قولى بالفارسية: ومعناه :

ايها الكريم أنصفنى من أفعال الفلك مادام الله اعطاك كل ما يلزم

## النوع الخامس : من رد العجز على الصدر

وفيه يكون اللفظان الواردان فى البداية والنهاية مشتقين من كلمة واحدة ومتفقين فى أصل المعنى ولكنها مختلفان قليلاً من حيث الصنعة.

وينقسم هذا النوع الى قسمين:

أ – قسم يكون فيه أحد اللفظين فى الصدر والثانى فى العجز

ب – وقسم يكون فيه أحد اللفظين فى حشو المصراع الأول والثانى فى عجزه.

ومن أمثلة القسم الأول فى القرآن : «استغفروا ربكم إنه كان غفارا»

ومثاله في الشعر العربى:

وهت عـزمـاتك لما كـبـرت وما كـان من شـأنهـا أن تهـيي

ص١١٥ ومن قولى بالفارسية

ومعناه : لقد أذيتنى بغير سبب ولم أكن لأوزيك مطلقاً

ومثال القسم الثانى من القرآن المجيد : «ولقد استُهزئ برسلٍ من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون».

ومثال آخر: «ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى»

ومثال ثالث : «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات واكبر تفضيلاً»

ومن كلام النبى (ﷺ) : «من مقت نفسه آمنه الله من مقته»

ويقول أبو تمام:

ومن ألمَّ بهـا فـقـال سـلامٌ كم حلَّ عـقـدةَ صـبـرِه الإلمام

ويقول أبو نواس:

ومـا إن شبتُ من كـبـر ولكنى لقـيتُ من الأحـبـة مـا أشـابا

ويقول «أبو الفتح البستى» القطعة التالية ويجمع فيها كلا النوعين:

يا غـــالبَ الناسِ بعُدانه أنت على التحـقـيق مـغلوبُ

ثلبُك أهل الفـضل قـد دلّني　　　أنك منقــوصٌ ومــثلوبَ

ومثاله بالفارسية قول الشاعر ومعناها:

ايها الأميـر ولو أنك عزلتنـى ولكن نهايـة جميـع العمـال العـزل

وقد كنت آمن العزل بتوقيعك، ولكنى لم أكن أعرف أن توقيعك هزل

والشاهد هنا موجود في البيت الأول

ويقول العنصرى ومعناه:

منذ وجد العالم لم يعطر أحد نسيم الصبا بالمسك والطيب لأن ذؤابة حبيبى تنثر الطيب في كل ليلة على مر النسيم الرطيب.

ص١١٦ النوع السادس من رد العجز على الصدر

وهو شبيه بالنوع الخامس إلا أن الكلمتين الواردتين فى البداية والنهاية لاتكونان مشتقتين من كلمة واحدة وتكونان مختلفتين من حيث المعنى وهو أيضاً على قسمين:

مثال القسم الأول من القرآن المجيد «قال إنى لعملكم من الغالبين» فإن لفظ «قال» الأول مشتق من القول وأما كلمة قال الزخيرة مشتقة من «قلا» بمعنى أبغض أو كره.

ومثاله من قول السرى:

ضرايب أبدعتها فى السماح　　　فلسنا نرى لك فيها ضريبا

ومثاله بالفارسية ومعناه:

إننى أبكى من ألم عشقى لهذه الدمية ليلاً ونهاراً حتى أصبحت من بكائى نحيلاً هزيلاً كالقصبة الخاوية.

ومثال القسم الثانى من القرآن المجيد:

﴿وإذا انعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾
﴿فنادى فى الظلمات إلا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾.

ويقول أبو فراس:

منحناها الحرايب غير أنا إذا جارت منحناها الخرابا

ومثاله بالفارسية ومعناه:

إذا لم يعرف الزمان نظيراً لك، حقٌ له، لأن الله الرحيم جعلك نظراً للزمان
(أى عيناً ترى أحوال الزمان ولاتستطيع أن ترى نفسها).

## ص ١١٧ المتضـــــاد

ضد فى القارسية بمعنى «أخشيج»، ويكون المتضاد بأن يذكر الكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه الفاظاً يكون الواحد منها مضاداً للآخر مثل:

حار وبارد، النور والظلمة، الناعم والغليظ، والاسود والابيض وقد سمى الخليل بن احمد هذا النوع بالمطابقة.

ومثاله: « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى »، فقد اجتمع هنا الإعطاء والبخل، والتصديق والتكذيب، واليسر والعسر وكل كلمة من هذه الكلمات مضادة لقرينتها.

مثال آخر: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير».

مثال آخر: « من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل الله فلا هادى له».

مثال آخر: « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب»

مثال آخر: « من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل الله فلا هادى له»

وأمثلة هذا النوع فى القرآن المجيد كثيرة ولايحتمل هذا المختصر ايرادها بجملتها.

ومثاله من قول النبى صلوات الله عليه: «إنكم لتقلّون عند الفزع وتكثرون عند الطمع»

مثال أخر: روى عن النبى أنهم قالوا له إن فلاناً خبير بعلم الإنسان،

فقال: «علم لاينفع، وجهل لايضر»

ومن كلام عليّ رض الله عنه: إن أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه.

ومن كلام الحسن البصرى حينما قالوا له إنك تفرط فى تخويف الخلق أنه قال : « إن من خوفك حتى تبلغ الأمن خير من أمنك حتى تبلغ الخوف»

ومثاله من الشعر:

رمى الحدثان نسوة آل حربٍ     بمقدار سمدن له سمودا

فردَّ شعورهن السود بيضاً     وردَّ وجوههن البيض سودا

ويقول المتنبى:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي     وأنثنى وبياض الصبح يغرى بيِ

ومن قولِ ابن المعتز:

يارب مبلِيةٍ فيِ طيّ مضحكة     وُربَّ مؤلمةٍ فيِ ثنى لذَّات

ومن قولى وقد أدردت فيه ذكر العناصر الأربعة فى بيت واحد فيِ آخر القطعة التالية من الشعر:

سقى بلخَ سقياً نافعاً كل بُكرة     ومن بحوالى بلخَ أندىَ سحابها

ديارٌ إذا ماحلها الدهرُ ساعةً     أتته الأمانيِ بعد طول اجتنابها

ألمّت بنفسى منذُ فارقت ارضها     نوائبُ يؤذيني أليمُ عذابها

جفوني يذكيّ ماؤها نار حربَي     إذا الريحُ جاءتنى بريًا ترابها

ويقول العَمريِ بالفارسية (٣٦٦، ٤٠٣)

ومعناه : وفاتك يجلب الخصب للولىَ، وخلافك يشعل النار فى العدد

ومن قولى أيضا : ومعناه:

من ماء خنجرك الصقيل المخيف كلهيب النار، أضحى عدد ملكك ذليلاً كهباء الديح

ومن قول مسعود بن سعد ومعناه:

يا من احتملت الفلك بحره وقره وتذوقت الدهر بحلوه ومره

## ص١١٩ الإعنـــــات

ويسمونة إيضا لزوم ما لايلزم ويكون بإن يتكلف الكاتب أو الشاعر شيئا ليزين به كلامه، ولايكون هذا الشئ لازماً ويستقيم الكلم ويتم بدونه. كأن يلتزم فى احد الاسجاع أو أحد الابيات حرف قبل حرف الروى أو الرديف بحيث اذا لم يلزمة لم يكن هنالك ضرر من ذلك . لان غرضه من التزامه لم يكن الا لتنميق الكلام وتزينه.

ومثاله تاء (كتب) و(عتاب) وقاف «تقسم» و «رقم» فلو أنه جعل كلمة «كتاب» مقفاة مع كلمة «صواب» لجازذلك، ولجاز له ايضاً ان يجعل كلمة (رقم) مقفاه مع كلمة «علم» ولكنه بالتزامه التاء فى الكلمين الاولين والقاف فى الكلمتين الأخريتين يرمى الى جعل الكلام اكثر جمالا وقبولاً مثاله من القرآن. فاما اليتيم فلا تقهر . واما السائل فلا تنهر.

ومثاله من قوله النبى . الهم بك أحاول وبك أصاول

ومثال آخر اذا استشاط السلطان تسلط الشيطان

مثال آخر شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع

مثال آخر الارواح جنود مجنده فما تعارف منها أئلف وما تنافر منها اختلف

مثال آخر زر غيبا تزدد حباً

ومن قول الفصحاء وجهه وسيم وفضله جسيم

ومثاله شعراً

يقولـون فـى البستـان للعيـن لذه      وفى الخمـر والماء الذى غيـر آسن
اذا شئت أن تلقى المحاسن كلهـا      ففى وجه من تهوى جميعُ المحاسن

ومن قوله:

غـرف الامـام الفـرد عبد الواسع      من كل علـم بالانسـان الواسـع
قـدم رفيـع القـدر رايـة مجـده      مضروبـة فـوق الرقيـع التاسـع
هـو منهـل الآمـال ابنـاء المنـى      يردونه مـن كل قطـر شاسـع
مـاضـر من يحـميـه ضـرر ثنائه      لسعـات احـداث الزمـان اللاسع

ولأبى العلاء المعرى كتاب كل الاشعار الوارد به من باب «لزوم ما لايلزم»

ومثاله فى الشعر الفارسى قول «مسعود الرازى»

ص١٢٠ لكثرة ما ضربه بالسيوف فى الهند وإيران. ولكثر ، ما اهدفت من دماء فى هذين البلدين – اصبح ما ينمو فى هذين القطرين الى يوم الحشر احمر الجذر

ومن قوله بالفارسية عنابى الأغصان

إن رهبتك قد فادت الجيوش فى الأرض وقدرك قد وضع الاقدام فى الافلاك
وقد أصبح ناصح ملكك قرينا للطرب واصبح ماسواك نديما للندم

## تضمين المذدوج

ويكون بأن يورد الشاعر أو الكاتب فى عباراته أو أبياته لفظين أو أكثر مذدوجين وذلك بمراعاته لحدود الأسجاع والقوافى.

ومثاله من القرآن: « وجئتك من سبأ بنبأ يقين»

ومثاله من قول النبى : المؤمنون هيّنون ليّنون

ومثال آخر: المؤمن دَعب لِعب

ومن قول البلغاء: فلان زيّن بعلمه الجمّ ومجده الأشم زمانه، وخلق بفضله الباهر وحسبه الزاهر أقرانه

فكلمتا «زمانه» و« أقرانه» اللتان وقعتا فى نهاية الجملتين مسجعتان، واعتماد الجملتين عليهما. أما هذه الألفاظ المتفقة الأواخر التى وقعت خلال كل جملة منهما مثل «علمة الجم» و«مجده الأشم» و«فضله الباهر» و«حسبه الزاهر» فمزدوجة. ص١٢١ واستعمال المزدوج يزيد العبارة جمالا ورواء ولو أنه لاحاجة اليه آذا اعتبرنا حدود الأسجاع الأصلية

مثال فارسى ومعناه:فلان بالسيرة النقية والطوية المرضية معروف، وبخدمة الدولة وطاعة الحضرة موصوف

وقالوا فى مرثية إسماعيل بن عباد:

مضى الصاحب الكافى ولم يبق بعده

كريم يُروِّى الأرض فيضُ غمامه

فقدناه لما تمَّ واعتمَّ بالعُلى

كذاك خسوفُ البدرِ عنه تمامه[1]

والشاهد هنا فى لفظى «تم» و«اعتم» فهما ممذوجان.

مثال آخر من قولى:

تعـــود رســـمَ الوهـــبِ والنهـــبِ فى العُلى

وهـــذان وقـــتَ اللُّطـــف والُعنـــف دابُـــةُ

ففـــى اللطـــف أرزاق العفـــاة هباتـــــه

وفـــــى العنـــف أعمـــادُ العـــداة تهابُـــةُ

فالشاهد في هذين البيتين موجود فى الأُذدواج الواقع فى «وهب» و«نهب» وكذلك فى «لطف» و«عنف»

ويقول «الفرخى» : ومعناه: وقد اضطربت طرته وتثنى شعره الكثّ المجعد مثل طيات ردائه وامتلأت ذؤابتاه الملتفتان بالعقد مثل حلقات درعه ووقائه

ويقول شاعر آخر ومعناه: إنك تعقد على صفحة النهار (أى وجهك الصبيح) كثيرا من الغلالات العنبرية (أى من الشعر الأسود الفاحم)

ومثال أخر ص١٢٢

ومعنا:- بالدينار ابيضت مصفحة الصفصاف والسحاب الأبيض وأضحت الأرض ذهبية والسماء صافية فضية.

فشواهد الازدواج نجدها فى هذه الأبيات فى الألفاظ «زره» و«كره» و«حنبر» و«عنبر» و«سبيذ» و«بييذ»

## الاستعــــارة

الاستعارة فى اللغة بمعنى طلب العارية، ومعناها اصطلاحا أن يكون للفظ معنى حقيقى فينقله الشاعر أو الكاتب من معناه الحقيقى إلى معنى آخر يستعمله فيه على سبيل العارية. وهذه الصنعة موجودة بكثرة فى سائر اللغات والألسنة، وإذا كانت الاستعارة مطبوعة ولم تكن بعيدة متصنعة، فإن رواء الكلام يكمل بها وتتم حليته بواسطتها.

ومثالها من القرآن: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة»

مثال آخر: «واشتعل الرأس شيبا»

مثال آخر: «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»

ومن قول النبى: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»

ولعمرو بن العاص بن وائل السهمى خطبة فصيحة فى مدح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكلها استعارات مليحة، ويقول فيها «رن ابن خثعمة يعجب له الدنيا معاها، وألقت إيه افلاذ كبدها، وانتقت له منها، وأطعمته شحمتها، وأمطرت له جوداً سال منه شعابها، ودفقت فى محافلها فمصٌ منها مصا، وقمص منها قمصاً، وجانب غَمْرتها، ومش فى ضحضاها وما ابتلّتْ قدماه، ألا كذلك أيها الناس . . قالوا نعم رحمه الله»

ومثالها من النثر الفارس: ومعناه:

يجب أن يُظل بشفقته رأس فلان، وأن يسحب أذيال عفوه على أخطائه وجرائره

ويقول الشاعر: ص١٢٣

ومن العجايب أن بيض سيوفنا　　　تلد المنايا السود وهى ذكور

ويقل الأبيوردى (توفى فى اصفهان سنة ٥٠٧ هـ)

وفتيان صدقٍ يصدرونَ عن الوغى وأيـــدى المنايـا واجبـاتُ الأظافر
فحاجتهم إحدى أثنتين من العُلى صـدورُ العـوالى أو فـروعُ المنابر

ويقول مسعود بن سعد» : ومعناه (هذه الابيات)

وقد انتكست رأس المحامد منذ لفظ عطاء بن يعقوب (٤٥١-٤٩٢هـ) أنفاسه وبموته لطمت يد الزمان الغادر جنينى «الكمال» لطمة محكمة وخلت الدنيا من الرجال ولم يمتلئ بهم الى الآن جوف الثرى.

ومثال أخر بالفارسية ومعناه: ترابُ العمل خير من عنبر البطالة والعزل

## حسن التخلص

وكون هذه الصنعة بأن ينتقل الشاعر من الغزل أو التسبب إلى مدح ممدوحه بحيث يكون انتقاله على وجه مستطاب وطريقة مستملحاً ، وأن يراعى فى ذلك سلاسة اللفظ ونفاسة المعنى، وقد برز «المتنبى» فى هذا السبيل ومن قوله:

نودعـهم والبـينى فـينا كـأنه . قنا إبن أب الهيجاء فى قلب فيلق

ومن قوله أيضا:

مرت بـنا بـين تربيهـا فقلـت لهـا من أين جانـس هـذا الشاذن العربا

فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليثَ الشرى وهو من عجل إذا انتسبا

ويقول العنصرى : ومعناه:

جدير بالرياض إذا اصفرت بفعل رياح الخريف، أما وجه المليك فيجب أن يبقى نضيراً ممرا

وأكثر «تخلصات» العنصرى طيبة جميلة وهو عند الفرس فى هذه الصنعة كالمتنبى عند العرب

ويقول «كمالى» فى مثال آخر جميل ينتقل فيه من وصف القلم الى مدح الممدوح، ص١٢٧ وفى اعتقادى أن أحداً من العرب أو العجم لم يستطع أن يأتى بما هو أجمل من هذا التخلص الذى يعتبر من أبدع أثار هذا الشاعر. ومعناه:

أسود الوجه، مقطوع الرأس، مقلوب الكيان، يفوح بالطيب وكأنى قلم الوزير الكبير.

ومن قولى: ومعناه :

وقد احترقت عينى فراقك لى، ونثرت الدرر كما تفعل كف المليك.

## حسن المقطع

تكون هذه الصنعة بأن يجعل الشاعر زهر أبيات القصيدة مستملحاً مستعذباً، وأن يختمها بألفاظ فصيحة ومعانى لطيفة لأن أقرب ابيات القصيدة الى سمع السامع هو آخر ابياتها، فإن كان مليحاً بقيت لذته وأصلبحت الأبيات السابقة، فهما قلّت جودتها وكانت رديئة، نسياً منسيا.

ومن قول المتنبى

قد شرّف الله ارضاً انت ساكنها          وشـرّفَ الناسَ اذ سـوّاك انسـانا

ويقول الغزّى:

بقـيت بقـاء الدهر ياكـهف أهله          وهذا دعـاء للبـرية شـامل

ص١٢٨ ويقول مسعود بن مسعد: ومعنى هذه الأبيات

– طيلة ما تعطى الحور زينتها للرياض والبساتين فى كل سنة اثناء الربيع والخريف.

– بذؤابات الشاهسفرم ونقاء وجه الياسمين وحدقات اللوز وعيون الأعناب.

– ليكن عيشك الزمان مقرونا بالهناء وليكن يومك مذكورا بالرضاء.

– وليخضع لك الزمان وليطل الحظ السعيد، ولتخضع لك المملكة ولتأتمر بأمرك الدنيا

– وليصبح حزين فى نضرة الربيع، وليصح امسياتك فى رقة المبكور

مثل هذا الدعاء الذى ينال فيه مادام كذا . . . لتبق اننا كذا . . ويسمى فى

الفارسية بـ إدعاء التأييد» ومثاله فى قوله

ومعناه:— لا ابعدنى الله عن جنابك فان الدنيا لا تجلب ممدوحا مثلك ولا الفلك مداحا مثله

## حسن الطلب

تكون هذه الصنعة بأن يطلب الشاعر من بيت من ابيات قصيدته شيئاً من ممدوحة على وجه لطيف وبطريقة حلوة وإن يجتهد فى تهذيب الألفاظ والمعانى وإن يراعى شرئط التعظيم والاحترام فى خطابه. ومن قول المتنبى.

أبا المسك هل فى الكأس فضــل، أنالــه

فإنـــى أغنـــى منـــذ حـين وتشـرب

هذا البيت نجد أن خصائص (حسن الطلب) جميعها حاصلة من حيث سلامة اللفظ ولطف المعنى وغرابة الاسلوب، ولكنه عى ذلك مقصد من حيث تعظيم الممدوح:

وله أيضاً:

وفـى النفس حاجـات وفيـك فطانـةٌ

سكوتـــى بيـــان عندهـــا وخطـــابُ

ومعناه : دع الأدب والفصاحة والشعر فلست غريباً بينما المليك يرعى كل غريب..

## مراعاة النظير

ما تدخله هذه الصفة يسمونه ايضا بالمتناسب ...وتكون بأن يجمع الشاعر فى بيتاً من ابياته جملة اشياء من جنس واحد كالشمس والقمر ، والسهم والقوس، والشفة والعين والوردة وزهرة الليل. يقول الشاعر وقد أجاد القول: أأخا الفوارس (+)

فقد جمع فى البيت الأول موقف الحرب مع الخيل والفوارس وجميعها متناسبة ومتناظرة وجمع فى البيت الثانى الوغى مع البيض والآسنة، كما جمع «قرأت» و«الشكل» و«......» وجميعها مناسبة ومتقاربة، وبذلك جاوز هذان البيتان حد الاعجاب وبلنا حد الاعجاز.

ويقول ابو المعالى الرازى.

ومعناه : ان......... تقذف بهام من المسك، ومن اجل ذلك فان وجهك الشبيه بشقائق النعمان جعل من العنبر « أى من شعرك » درعا.

ومثال آخر من قولى:

ومعناهما : إن حبى لك قد عقد فمى كالبندقية، واعمال لوعتى عليك قد كست ظهرى كما تكسى الجوذة.

– وكل سهم انبعث من .... الشبيهة باللوز، فقد استتر فى قلبى الجريح كما استتر لب الفستقة فى داخل قشرها.

ولست استطيع مدح نفس لقومى هذين البيتين ، لآن ذلك نوع من الرعونة، ولكنى ذكرت فى هذين البيتين اربعة انواع متناسبة من الفاكهة، وكذلك اربعة اعضاء من أعضاء الانسان وقلما يخلو شعرعربى أو عجمى من هذه الصنعة، ولكن درجات الحسنى تتفاوت فيه وتختلف.

(١) أأخـــا الفوارس لو رأيـــت مواقفـــى
والخيــــل مـــن تحـــت الفـــوارس تنحَــطُ
لقـــرأت منهـــا مـــا نحـــطّ الوغـــى
والبيـــض تشكـــل والأسِنَّـــة تنْقُـــطُ

= فى هذه القصيدة يشير المتنبى إلى عقيدة المسانوية الذين يعتقدون ان الخير جميعه مصدره النور وان الشر جميعه مصدره الظلم فى بيته المشهور.

= هذا البيت ينسبه صاحبا : العجم فى معايير اشعار العجم الى ابى شكور البلخى – انظر ص ٣٨٣ ، طبع يروقاسية ١٩٠٩ م.

= ابو المعالى الرازى او إبلمُعانى رازى هو ابو المعالى الرازى من شعراء الى سلجوق وقد ذكر صاحب اللياباا قصدتين له فى الجزء الأول ص ٨٠ أما القصيدة الأولى فمطلعها.

وقد مدح ابو المعالى فى هذه القصيدة افخر الملك

ابا الفتـــح فطفـــر فى إنطـــام الملـــك الطـــوس

## المـــدح الموجـــه

يقصد بالموجه فى الفارسية : ما يحتمل ان يكون على وجهين . . وتكون هذه الصنعة بان يمدح الشاعر ممدوحة بصفة من الصفات حميدة بحيث يقرن بها صفة حميدة أخرى من صفاته، فيحصل بذلك مدح الممدوح على وجهين

المتنبى نهبت من الأعمار مالوحويته       لهنئت الدنيـــا بأنك خـــالد

فقد مدح الشاعر فى بداية هذا البيت ممدوحه بالشجاعة والاكثار فى قتل الاعداء كما مدحه فى نهاية بكمال العظمة والشرف حيث قال انهم يهنئون الدنيا لدوامة وخلوده

ويقول «ابن جنى» لو لم يمدح «المتنبى» «سيف الدولة» إلا بهذا البيت لكفاه فخراً لا يستطيع الزمان أن يبلى جدته.

وللمتنبى أيضا :

عمرُ العدد إذا لاقاه فى رهج       أقل من عمر ما يحوى اذا وهبا

ففى بداية البيت مدحة بفرط الشجاعة وفى آخره بفرط السخاء

وله أيضاً: تشـــرق تيـــجـــانه بغـــرته       اشـــراق الفـــاظه بمعناها

فقد مدحه فى بداية البيت بالصباحة كما مدحة فى نهايته بالفصاحة

وفى قولى بالفارسية:

ومعناه: ان سيفك يقتل بروح الاعداء ما يفعله جودك بمنجم الجواهر

ومن قول شاعر آخر:

ومعناه: لا يجوز فى الامكان الانقطاع عن الإعجاب باسمك، كما لايجوز فى الامكان الانقطاع عن شتم خصمك.

## المحتمل للضدّين

ويوسقه أيضا بـ «ذيِ الوجهين» ، ويكون بأن يقول الشاعر بيتاً من الشعر يحتمل معنيين احدهما للمدح والأخر للهجاء.

ويروى «جراب الدولة» (٢٩٥ - ٣١٧) في كتابة أن أحد الظرفاء من أهل الفضل قال لحائك ثياب اسم«عمرو» كانت له عين واحدة: «لو أنك استطعت ان تحيك لى ثوباً بحيث لايقدر أحد أن يتبين ان كان قباء أو جبة فإنني سأقول فيك بيتا بحيث لا يستطيع احد ان يتبين إن كان مدحاً أو هجاء.. » فحال له عمرو هذا الثوب وقال فيه هذا الشاعر الظريف البيت التالي:

خــاط لِي عــمــرو قــبــا ليت عــينيــه ســوا

ففي هذا البيت تمنى الشاعر لو كان عينا عمرو سواء ، وليس يعلم أحد آيريدهما سواء في الإبصار أو في عدم الإبصار لأن الشطرة الأخيرة تحتمل المعنيين.

ومن قول العنصرى ومعناه:

يـا مـن انتَ القائـد على رأس الحسان

وامام فمك (أمرك) يبدو ضئيلا السرطان

ومن قولي : ومعناه:

ايها السيد إن الظلام ليصبح نوراً على طلعتك، وبطلعتك ينقلب العرس مأتماً.ويقول الشاعر ومعناه: إن المحتسب يعرف كيف يضرب العاهرات فاهنأى بالاً ايتها العاهرة يا امرأة.

## تأكيد المدح بما يشبه الذم

ويكون ذلك بأن يؤكد الكاتب أو الشاعر مدحه لشئ بأن يذكر شيئاً آخر فى مناقبة ومحامده بطريقة تجعل السامع يظن أنه يريد أن يذمه وأن يرجع عن مدحه.

ومثاله: هم بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم

ومثاله فى الفارسية ومعناه:

فـلان فـصـيح القـول إلا إن خطه جـمـيـل

ويقول النابغة الذبيانى:

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولٌ من قراع الكتائب

ويقول النابغة الجعدى:

فتىً كملت أخلاقه غير أنّه جواد فما يُبقى من المال باقيا

والبيت التالى من قول بديع الزمان الهمزانى، وقد أبدع كل الإبداع فى صنعته، وقد قرأته فى مدينة بلخ أمام «الغزىّ» فمكث يعمل فيه فكره أكثر من أسبوع وهو يحاول أن يقول مثله وفى النهاية اعترف بعجزه عن محاكاته، وقرر أن أحداً قبل بديع الزمان لم يقل مثل هذا البيت وان أحداً من بعده سوف لايستطيع مثله: هو البدر إلا أنه والبحر زاخر سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

١٣٤ ويقول قمرى ومعناه:

إن الأصدقاء يباهون بعظمتك، ويكن الأعداء يقرون بأن لانظير لك

ويقول الدقيق : ومعناه

معوج بذؤاتبه، ولكن معتدل بقده وقامته، صحيح الجسد ولكنه سقيم العيون ، من قولى ومعناه:

إن دأبك العدل، لكن يدك في الجود تظلم الخزائن

## الإلتفــــات

تكون هذه الصنعة وكما يقول بعض أهل العلم- بأن تنتقل بالعبارة من المخاطبة الى المغايبة او من المغايبة الى المخاطبة، وكلا النوعين موجود فى القرآن.

فمثل الإنتقال من المخاطبة الى المغايبة قوله تعالى : «مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين» وقد ينتقل من المغايبة الى المتكلم، قال عزّ من قائل : «والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه»

وقال بعض أهل العلم إن الإلتفات يكون بأن يقول الكاتب معنى من المعانى ويتمه، ثم يلتفت الى هذا المعنى فيذكر بعضه إما صراحة أو كتابة، على سبيل المثل أو الدعاء أو أى وجه أخر.

ومثاله من القرآن : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا »

ومن كلام الفصحاء: قصم الفقر ظهرى، و الفقر من فاصحات الظهر.

ومثاله بالفارسية ومعناه:

يجب عمل الإحسان فليس فى العالم خير من الإحسان.

ومن قول جرير بالعربية وفيه التفات.

إذا بـدت الخيـامُ بـذى طلـوح　　　سقيت الغيـث أيتهـا الخيـامُ

١٣٥ أتنسى يوم تفـضل عـارضيّهـاً　　　بفـرع بشـامـةٍ سُقى البَشَامُ

ومن أبى تمام :

وأنجـدتم من بعـد إتهـامِ داركم　　　فيادمع انجدني على ساكني نجدِ

ويقول جرير:

طرب الحمام بذىِ الأراك فشاقنى　　لازلت فيِ علَلٍ وأيك ناضـــــر

ويقول منجيك ومعناه:

لقد جرحت كبدى بسهام فراقك، فياصبا لفراق الحسان

ويقول شاعر آخر ومعناه:

ياليتنى نجوت منك بالسلامة، ولكن واأسفاه كيف يمكن لى النجاة منك.

## الإيهـــــام

الإيهام في اللغة بمعنى التخيل، لذلك يسمون هذه الصنعة بالتخيل ايضاً. وتكون بأن يذكر الكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه الفاظاً يكون لها معنيان، احدهما قريب والآخر غريب. فإذا سمعها السامع انصرف خاطره الى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى الغريب.

ومثال الإيهام قول الحريرى فى إحدى مقاماته:

«لم يزل أهلي وبعلي يَحُلُّون الصدر، ويسيرون القلب، ويمطون الظهر ويولون اليد، فلما أروى الدهرُ الأعضاء، وفجع بالجوارح الاكباد،

١٣٦ وانقلب ظهرا لبطن، نبا الناظر، وجعلنا الحاجب، وذهبت العين وفُقدت الراحة، وصلد الزند، ووهنت اليمين، وضاع اليسار وبانت المرافق ، ولم تبق لنا ثنية ولاناب . . »

فجميع الألفاظ المذكورة فى هذا الفصل، ينصرف ذهن السامع الى أن المقصود بها أعضاء الحيوان واطرافه بينما المراد بها اشياء أخرى.

وفى حكاية عن «أبى على بن سينا» أنه جلس يوماً فى السوق فاجتاز به قروى يحمل على كتفه حملاً لبيعه فسأله أبو على بكم هذا الحمل، فقال القروى بدينار فقال أبو على: اترك الحمل هنا واحضر بعد قليل لأعطيك ثمنه وكاد القروى ينزل الحمل عن كتفه ولكنه علم أنه يحادث أبا على ابن سينا فالتفت إليه وقال: إنك حكيم عالم فلم جهلت ان «الحمل» دائما فى مقابل «الميزان» ومادمت لم تزن الحمل فلن تأخذه الى بيتك .. »وتعجب ابو على من هذا الكلام وضاعف القروى ثمن حمله ... ! وذلك أنه إذا نظرنا الى لطف هذا الكلام وجدنا أن خاطر السامع ينصرف الى الحمل الذى هو من صغار الضأنة، والى الميزان الذى يزنون به الذهب والفضة، بينما قصد القروى بكلامه «برج الحمل» و«برج الميزان» اللذين يتقابلان دائما، فقال فِي ذلك نادرة مناسبة لعلم الحكماء تليق بأبِي على.

ويقول ابو العلاء المعرى:

إذا صدق الجدُّ افترى العمُّ للفتى مكارم لاتكرى وإن كـذب الخـالُ

فكل من سمع الألفـاظ الثـلاثة «جـد»و«عم» و«خـال» انصـرف ذهنه الى الأقارب بينما المقصود بها اشياء أخرى.

مثال أخر من الشعر العربى قول الشاعر:

رمتنيِ بسهم ريشه الكحلُ لم يُضره ظواهَر جلدىِ وهو فيِ القلب جارحى

رمى اللهُ فيِ عـينى بشينةَ بالقـذى وفيِ الفـر من أنيـابهـا بالقـوادح

فالشاهد فى هذه القطعة موجود فى الفاظ البيت الثانيِ، فليس المقصود بالعين والناب والقوادح· هذه المعانى المعروفة التيِ تتعلق بأعضاء الجسد وانما المقصود بها اشياء أخرى.

ويقول مسعود بن سعد:

وليـلٍ كـأنَّ الشمى ضلت ممرهـا ليـس لهـا نحـو المشـارق مرجـعُ

١٣٧ نظـرت اليـه والظـلام كأنـه على العـين غربـانٌ مـن الجـو دُمَّعُ

فقلت لقلبيِ طال ليلى وليس ليِ من الهم منجاهٌ وفـيِ الصبـر مفـزعُ

أرى ذنَبَ السِّرحان فى الجو ساطعاً فـهـل ممكنٌ أنَّ الغـزالة تطلعُ

فالشاهد فى هذه القطعة موجود فى البيت الأخير منها فكل من سمع (ذنب-الرسحان – الغزالة) انصرف ذهنه الى ذنب الذئب أو الى الغزالة بمعنى انثى الغزال بينما المقصود بها اشياء اخرى.

ويقول الشاعر فيِ مثال آخر:

إنيِ رأيت عـجـبـاً فيِ بلادكم شـيـخاً وجاريةً فيِ بطن عـصـفـورِ

ومثال الإيهام بالفارسية : ومعناه

إنيِ طلبت اليسار من القاضيِ فتعاظم وأعطى اليمين

فهنا يظن السامع أن المقصود باليسار واليمين واليد اليمنى واليسرى بينما قصد الشاعر باليسار : المال ....، وباليمين : القسم.

مثال أخر بالفارسية ومعناه:

يا شجرة السرو الفرعاء ان الرفيع أمام قدك وضيع

ولقـــد تعلقـــت بأغصانـــك، وانـــت القصـــد

فقد يظن هنا أن المقصود بكلمة شاخ. الغصن،وبكلمة برك– اوراق الشجر وكنت في وقت من الأوقات بمدينة ترمذوكان الأنبارى الشاعر دائم الإتصال بيِ وبقربى، وكان يعرض عليِ استعاره ويسألنى عن الصالح منها والفاسد، فجلس يوماً فيِ السوق فمر عليه غلام طباخ فاعجبه جماله فقال فيه هذا البيت ومعناه:

إن هذا الغلام الطباخ لايستضيفنا على قضمة واحدة من هذا الخبز الكثير الذى مر ثم التفت الي وسألنيِ عن اسم هذه الصنعة فاخبرته باسمها. وكان غرضه من كلمة «لبى» شفة المحبوب بينما يظن السامع ان المقصود بها هو «رلب نان» بمعنى قضمة من الخبز.

وقد قال الأنبارى (ممثلة كثيرة لهذه الصنعة ولكنها صادرة كلها عن طريق الطبع لا عن طريق التعلم والتصنع).

## التشبيهـــات

وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الكاتب أو الشاعر شيئاً بشئ آخر في صفة من صفاته. ويسمى اهل اللغة الشئ الذي يشبهونه بالـ«مُشبّه» والذي يشبهون به بالـ «مشبه به».

وأجمل التشبيهات وأكثرها قبولاً لدى الطباع، حيث تلك التي إذا انعكست وشبّه فيها المشبه به المشبه فإن الكلام يستقيم، مع صحة المعنى وسلامته، وصواب التشبيه وصحته، مثل تشبيه الطُرةً بالليل. فإنهم إذا شبهوا الليل بالطره، كان التشبيه كذلك جميلاً مقبولاً. ومثل تشبيه الهلال. بنعل الجواد، فإنهم إ ذا شبهوا فعل الجواد بالهلال، كان التشبيه كذلك حسناً.

أما إذا انعكس التشبيه ولم يبلغ درجة كما له من الجسن، فإنه يجب ان يراعى– إذا كان «التشبيه» موجوداً حاصلاً فى الأعيان – ان يكون المشبه به كذلك موجوداً حاصلاً فى الأعيان...، فلاشك انه لايستحسن ما اتبعه جماعة من الشعراء ومازالوال يتبعونه من تشبيه شئ بشئ لاوجود له فى الخيال ولافر الأعيان كما يشبهون « الفحم المشتعل» ببحر من المسك أمواجه من ذهب. فلاشك آنه لاوجود مطلقاً لبحر من مسك أمواجه من ذهب ...!! وقد أعجب اهل العصر بتشبيهات «الأزرقى» وفتنوابها افتتناناً، ولكننهم نسوا لما عليه (١٣٩) من جهل ان تشبيهاته جميعها من هذا النوع ولايجوز اتباعها، وقد قسموا التشبيهات في كتب صناعة الشعر الى سبعة أقسام:

١ – تشبيه مطلق

٢ – تشبيه مشروط.

٣ – تشبيه كناية.

٤ – تشبيه تسوية.

٥ – تشبيه عكسى

٦ – تشبيه إضمار

٧ – تشبيه تفضيل

## ١ – التشبيه المطلق:

ويكون بتشبيه شىء بشئ آخر بواسطة اداة التشبية وبدون شرط أو عكس أو تفضيل أو ما شابه ذلك.

وأدوات التشبيه فى العربية هى «الكاف» و«مثل» و«تحاكى» و«تشابه» وما إلى ذلك من الألفاظ.

وأدوات التشبيه فى الفارسية هى : ومعناها «تظن أن، أو كأنما» ... وأشباه هذه الألفاظ.

وأمثلة التشبيه المطلق من القرآن:

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا»

«مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى ويوم عاصف لايقدرون على شئ مما كسبوا

«والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم»

«وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام»

« كأنهم أعجازُ نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية»

«ومثل الذين اتخذو من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» وقد الف «على بن عيسى»

صاحب كتاب الاشتقاق كتابا فى اعجاز القرآن، أورد به جميع التشبيهات الموجودة فى القرآن ونبه على مابها من دقائق الحسن وغوامض اللطف وأمثلة التشبيه المطلق من الكلام النبوى:

.. أصحابى كالنجوم بأيهّم اقتديتم اهتديتم

.. الناس سواء كأسنان المشط

وأمثلة من كلام المتر سلين:

.. هو كاليث يوم نزاله وكالغيث وقت نواله

.. أوجههم كالبدور الزاهرة، وأكفهم كالبحور الزاخرة وباب التشبيهات المطلقة وساع عريض

ومن قول البحترى:

كـــأنما تبـــسم عن لؤلؤ  منصـــد أو برد أو أقـــاح

وللصاحب اسماعيل بن عباد فى تشبيه أبيات أرسلها إيه بعض أصدقائه:

أتتنـــــى بالأمـــس أبياتـــــه  تقلّـــلُ روحـي بـروح الجنـــان

كبـــرد الشـــراب وبرد الشبـاب  وظل الأمـــان ونيـــل الأمـانـى

وعـــهـد الصبّـا وشـيم الصبّـا  وصـفـو الدّنان ورجع القـيـان

وبأبى عثمان الخالدى: (توفى حوالى سنة ٤٠٠ هـ)

وليلـــه ليـــلاءَ فى اللـــون كلـون المفـرق

كأنما نجومهـــا فـى مغـــرب ومشـرق

دراهـــم منشـــورة على بساط أزرق

ويقول «أبو المعالى شابور»:

رفـعت الى الفم كـاسـهـا  كـالشـمس قـبلهـا القـمـر

ويقول الشاعر الفارسي : ومعناه:

احضر الى هذه الخمر التى تشبه الياقوت الصافى أو التى تحاكى السيف المرفوع أمام اشعة الشمس

ويقول «عمعق» (٤٦٠-٤٧٢هـ) ومعناه:

والعالم معقود الخيام كأعين الحسان التى تميل الى النعاس بسبب خمار الليل

ويقول «أبو الفرج الدونى» ومعناه:

إن رمحك وحسامك كقلم النمام، يشق الصدور ويضرب الرقاب

## ٢- التشبيه المشروط:

ويكون بتشبيه شئ بشئ آخر بشرط من الشروط، فيقولون :

لو كان هذا لكان ذاك.

ومثاله لا أشبه وجه مولانا إلا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه.

.. وهو كالبدر فى ارتفاع قدره وكالبحر فى اتساع صدره، لو أن البحر لا يتغير ماؤه والبدر لاينتقص ضياؤه

ومثله فى الفارسية قولهم ومعناه: فلان كالأسد لو كان للأسد عقل، وكالسحاب لو كان للسحاب من الجواهر وبل.

ومن قولى:

عـز مـاته مـثل النجـوم ثواقب    لو لم يكن للثـاقـبـات أفـول

ومن قولى بالفارسية ومعناه:

لا أستطيع أن أشبهك بالقمر أو شجر السرو لأن هذا التشبيه يكون خطأ عند

العقلاء. ولكنك كالقمر لو كان للقمر تاج، وكشجرة السرو لو كان للسرو قباء.

ويقول عمق البخارى: ومعناه:

اذا استطاعت النملة أن تتحدث، واستطاعت الشعرة أن يكون فيها روح فاننى أنا هذه النملة المتحدثة وهذه الشعرة التى تدب فيها الحياة.

٣ – الكتابة:

وتكون هذه الصنعةبأن يكنى عن «المشبه» بلفظ «المشبه به» بغير أداه من أدوات التشبيه.

ومثاله ما قالوه فى وصف قصيده من القصائد:

عرضت على تلك الغادة الحسناء والخريدة العذراء

وما قالوه فى وصف خطاب

شاهدت من مساطر كلامه ومقاطر أخلاق روضات حزن بل جبات عدن. أو قوله: أعجبتنى عقود دره وعقد سحره وقال قصاصوا العجم ووصافوهم: ومعناه:

جاء فلان الى الموقعة وقد ركب أسداً هصورا وأمسك فى يده ثعبانا فتاكا فأظهر الجزع من الزبرجد والارجوان من النيلوفر» فمراده من هذا الكلم تشبيه الجواد بالأسد الهصور وتشبيه الرمح بالثعبان الفتاك وتشبيه فعل الجواد بالزبرجد وتشبيه الغبار بالجزع وتشبيه السيف بالنيلوفر موتبيه الدم بالارجوان فحذف أداه التشبيه فى جميع التشبيهات وكنى عن المشبه بالمشبه به.

ومثاله من شعر المتنبى قوله:

بدت قمراً ومالت خوط بانٍ وفاحت عنبراً ورنت غزالاً

ومن قول «أبى الفرج الواواء» ( توفى ما بين سنتى (٣٩٠ و ٣٩٩ هـ)

قلنا وقــد قــتلت فــينا لواحظهــا      كم ذا، أمـا لقــتـيل الحب من قَوَدِ

ص ١٤٤

فــأمطرت لؤلؤ من نرجس وســقت      وردا، وعــضت على العناب بالبــرد

ويقول «العنصرى» بالفارسية: ومعناهما:

فأحيانا تظهر المسك (أى طرتك السوداء) حول البدر المنير (أى وجهك المشرق) وأحيانا تخفى الشمس (أى وجهك) فى الغالية (فى شعرك).

وأحيانا تلبس الدرع وأحيانا تضرب الأرغوان (الخدود الحمراء) بالصوالج (الطرر الملتفة) وأحيانا تجعل من نفسك الدرع وأحيانا الصولجان.

ويقول «معزى» ومعناه:

كلما ضحك عنابك (شفتيك) الذى ينثر السكر، جاز لهم أن يضحكوا (يسخروا) من العناب والحلوى.

ويقول «أبو العلاء الشوشترى» ومعناه:

فبكى وذاب اللعل (أى الدم) من نرجسانه (أى عينيه) وذابت الصفراء من أوراق لعله (من قافية الحمراء)

**تشبيه التسوية:**

وتكون هذه الصنعة بأن يأخذ الشاعر صفة من صفاته وصفة من صفات مقصوده، ويشبه الاثنين بشىء واحد لأنهما من قبيله

ومثاله من قولى:

صُــدغُ الحــبـيب وحــالى      كــلاهمــا كــالليــالى

ثغــوره فى صــفــاء      وأدمُــعى كــاللآلى

ويقول «المنطقى» بالفارسية: ومعناه:

إن قلبى كثغرك أضحى نقطة واحدة (ضئيلا كالنقطة)

وإن جسدى كوسطك أضحى شدة واجدة (أى نحيلا كالشعرة)

ومن قولى بالفارسية: ومعناه:

إن الدرر فى فمك، ولكن لوعتى عليك وضعت مافى فمك فى عينى

وللشاعر الفارسى «الغرض» ومعناهما:

قلت: ياصديقى .. سأجعل لك من قلبى فما ... !!

فأجاب: لا يمكن أن تجعل من النقطة الضئيلة فما ... !!

قلت: ياقمرى الجميل ... سأجعل لك من جسدى وسطا ... !!

فأجاب: لايمكن أن تجعل من الشعرة النحيلة وسطا ... !!

والبيتان التاليان من قولى وهما من لواحق هذه الصنعة ومعناهما:

أنت وضاء كقمر السماء    وأما أنا فدائر كفلك الجوزاء

وأنت من الحسن كرقائق الحرير    وأنا فى الضعف كخيط من حرير

## تشبيه العكس:

وتكون هذه الصنعة بأن يشبه شيئان مختلفان ببعضهما.

ومثاله: فكم دمٍ أهرقناه فى البَر، وشخص أغرقناه فى البحر، فأصبح البر بحراً بدمائهم والبحر براً بأشلائهم.

ويقول الرواة بالفارسية: ومعنى هذه العبارة بالعربية:

أسود الفلك بغبار الدواب فأضحى كالأرض سوداء الأديم، ومادت الأرض

بحملات الفرسان فأضحت كالفلك الدوار

ومثاله من الشعر العربي قول «الصاحب الكافي»

| | |
|---|---|
| رق الزجاج ورقت الخمر | فتشابها فتشاكل الأمر |
| فكأنه خمر ولاقدح | وكأنها قدح وخمر |

ومن قول القاضي منصور الهروى:

| | |
|---|---|
| الراح مثل الماء في كأسها | والماء من الداح في الغدران |

و«لأبي المعالي شابور» قطعة جميلة من الشعر، جميع أبياتها نادرة وعجيبة، وفي آخرها بيت احتفظ فيه بهذه الصنعة دون استعمال أداة التشبيه، وهذه القطعة هي التالية:

| | |
|---|---|
| ماوحوشٌ آنسات | في الرضا حمر العيون |
| ترتدى كل رداء | مُذهب غير مصون |
| تتقى القرن إذا دا | رت رطى الحرب الذبون |
| بقرون من شفاه | وشفاه من قرون |

ويقول العنصرى بالفارسية: ومعناه:

من حوافر الدواب وغبار الجيوش أضحت الأرض كوجه القمر وأضحى وجه القمر كالأرض.

ومن قولي بالفارسية: ومعناه.

لكثرة السلاح أضحى ظهر الأرض كفلك السماء (مضيئا)

ولكثرة الغبار أضحى وجه الفلك كضهر الأرض (مظلما)

ومن حوافر الخيل أضحى الجبل كالفار (عميقا)

ولكثرة القتلى أضحى الفار كالجبل (مرتفعا)

**تشبيه الاضمار:**

وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئا بشيء آخر بحيث يبدو من ظاهر العبارة أن المقصود شيء آخر وليس هذا التشبيه، بينما الذ ى يقصده الشاعر فى ضميره هو نفس هذا التشبيه.

ومثاله من قول المتنبى:

ومن كنت بحراً له ياعَلِي          لم يقبل الدر الا كبارا

فقد بدا من ظاهر البيت أن المقصود هو طلب الدر الثمين بينما كان مقصود الشاعر تشبيه الممدوح بالبحر.

ومن قولى:

إن كان وجهك شمعا فما لجسمى يذوب

ومن قول (معزى) بالفارسية: ومعناه:

اذا كان لك أن نور القمر وضياء الشمع

فلماذا يكون لى أنا ، النقص والاحتراق ... !!

واذا كنت انت الشمع          فلم يجب على أن أحترق.. ؟!

واذا كنت أنت القمر          فلم يجب على النقصان ... ؟!

مظاهر البيت الآخير يوحى أن الشاعر يتعجب من ذوبان جسمه، بينما مقصوده الذى يضمره هو تشبيه وجه المعشوق بالشمع

ومن قولى بالعربية:

وأمرع آمالى بفيض يمينه      وهل تحدب الآفاق والغيث هاطل

ويقول «فنجيك» بالفارسية: ومعناه:

إذا كنت معسول الشفاه، فلماذا كلامك مديد ....؟!

وإذا كنت أبيض الصدر كالياسمين، فلماذا قلبك كالحديد الصلد ...؟!

ويقول شاعر آخر بالفارسية: ومعناه:

كلما حركت دوًا بينك ثرت كالمجنون لأن المجنون يثور إذا حركت سلاله

## تشبيه التفضيل

وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئا بشيء آخر ثم يعود فيفضل المشبه على المشبه به.

ومثاله من الشعر العربى قول الشاعر:

حسبت جماله بدراً مضيئاً      وأين البدر من ذاك الجمال

ومن قول «أبى الفرج هندو»      (توفى سنة ٤٢٠ هـ

من قاسَ جدواك بالغمام فما      أنصف فى الحكم بين هذين

أنت إذا صدتق ضاحك أبداً      وهو إذا جادَ دامع العينى

ومن الشعر القارسى قول (الغرض) ومعناه:

وكأنما قد المحبوب، شجرة السرو التفت فى قباء وكأنما وجهه، القمر قد علاه التاج

فهو كالقمر وكالسرو، ولكنه ليس قمرا ولاسروا لأن شجرة السرو لا تتمنطق

على وسطها، ولأن القمر لاتاج له على رأسه.

ويقول (مسعود بن سعد) بالفارسية: ومعناه:

إن ثقة الملك طـاهر ، عالـم كبير وفـلك دائـــر

ولكننى لم أقل حقا ، لأنه ليس هذا ولاذاك ... !!

فهو ليس فلكا . . . لأنه شـمس الفـــلك ... !!

وليس عالمــا . . . لأنه إقبال العالم ... !!

### سياقة الأعداد

وتكون هذه الصنعة بأن يسوق الكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه عدداً من الأسماء المفردة على نسق واحد، بحيث يكون كل واحد من هذه الأسماء له معنى قائم بذاته ويكون اسما كذلك لشيء آخر.

وهذه الصنعة أكثر قبولا وأشد أسراً إذا اقترنت بازدواج اللفظ، أو التجنيس أو التضاد أو أى صنعة أخرى من صناعات البلاغة.

ومثالها مع التضاد والسجع:

دفعنا إليه، ووضعنا فى يديه، زمام الحل والعقد، والقبول والرد، والأمر والنهى، والإثبات والنفى والبسط والقبض والابرام والنقض والهدم والبناء والمنع والاعطاء.

ومثالها من النثر الفارسى مع صنعة السجع: ومعناه:

مـا أمتلكه من جسـد وروح ونفس ومتـاع ونسـاء وأولاد وأقـارب وأصهـار جميعهم فداء لمولاى

ومثالها من النثر الفارسى مع صنعة الازدواج: ومعناه:

فـلان نادرة الزمـان، وواسطة عقـد الأقـران من حيث العلم والحلم والنسب

والحسب، والرشاد والسداد، والكفاية والهداية والتدين والتضون.

ومثالها من الشعر العربى قول المتنبى:

فالخيل والليل والبداء تعرفنى ، والطعن والضرب والقرطاس والقلم

ومن قول (القرخى) بالفارسية: ومعناه:

حيثما يضرب لايستطيع أن يصل اليه شيطان ... !!

وحيثما يزحف بجيشه لايستطيع أن يزحف ثعبان ... !!

وبه تزيد قيمة الخيل والجواهر والسيوف.

وبه يعلو قدر العرش والتاج والجيوش والصفوف.

## تنسيق الصفات

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر شيئا بجملة أسماء أو جملة صفات متوالية ومثاله من القرآن:

«هو الله الذى لا إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون»

ومثال آخر من القرآن:

«ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم»

ومثاله من قول النبى:

«ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجالساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا، الموطأون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم منى مجالساً يوم القيامة، أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون»

ومن أمثلته قولهم:

فلان حسن السيرة، نقى السريره طيب الأعراق، كريم الأخلاق طاهر النسب، زاهر الحسب، حميد الشمايل، كثير الفضايل.

ومن أمثلته بالفارسية قولهم ومعناه:

فلان صادق القول جميل الصنع طاهر اليد حازم النفس.

ومثاله من الشعر العربى قول العباس بن عبد المطلب فى المصطفى عليه السلام:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ، ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل

ويقول شاعر آخر:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم     شم الأنوف من الطراز الأول

ويقول «العنصرى» بالفارسية: معناه:

ملك العالم الذى يسوق الجيوش ويحطم الجيوش

ظل الله يمنح البلاد ويفتح الأقطار

وله أيظا: ومعناه:

أمام ذلك الجيش المراس كالجبال، المصطف كالأفيال الدائر كالفلك، الناهش كالثعبان، الكثير كالنمل.

ويقول «مسعود بن سعد» فى وصف جواد: ومعناه:

فاحضر الى ذلك الجواد الجامع الذى يشبه الجبل المشمخر والذى يدق الأرض ويقطع الطريق فى سرعة وخفة.

وله أيضا: ومعناه:

إنك الملك الغازى والأسد الذى يأسر الاعداء وأنت البطل الذى ينظم الصفوف والفارس الذى يقود الجيوش.

## اعتراض الكلام قبل التمام أو الحشو

«اعتراض الكلام قبل التمام»: يسميه أرباب الصناعة و«الحشو» ويكون ذلك بأن يبدأ الشاعر معنى من معانيه في بيت من أبياته ثم يأتى بكلام آخر قبل أن يتم هذا المعنى ثم يعود ثانية فيتم معناه الأول. والحشو على ٣ أنواع:

١ـ حشو قبيح

٢ـ حشو متوسط

٣ـ حشو مليح

### ١ـ الحشو القبيح

وذلك بأن يكون اللفظ الزائد لا محل له بحيث يفسد البيت بوجوده

ومثاله: «أورثنى تكلمه صداع الرأس والقلق»

فإن لفظ «الرأس» زيادة مستكرهة لأن الصداع لايكون إلا فى الرأس ومثاله من الشعر الفارسى قول «كمالى» ومعناه:

لكثرة ماجثمت أحمال مننك على جسدى أصبحت مستوراً خافياً تحت أحمال مننك فأفضالك وأفضالك فلفظ «نهان» فى هذا البيت زيادة مستقبحة تذهب برونقه لأنها فى معناها مماثلة للفظ «مستّر» فلا حاجة لهذا التكرار الذى لاداعى له.

### ٢ـ الحشو المتوسط

وذلك بأن يتساوى ذكر اللفظة الزائدة وعدم ذكرها، فلا تكون مستقبحة غاية القبح ولا متحسنة غاية الاستحسان.

ومثاله من قولي بالعربية:

وأنت، لَعمرُ المجد، أشرف من حوى
على رغم آنافِ العدى، قصب المجد

فعبارة (لعمر المجد) حشو متوسط، وكذلك عبارة (على رغم آناف العدى)

ومثاله من قولي بالفارسية: ومعناه:

لهجرك ـ ياسالب القلوب، يافقى الجسد
أصبح قلبي نديما للندم وجسدى قرينا للعناء

فعبارة «أى دل رباى سيميني من» حشو متوسط في هذا البيت.

## ٣ـ الحشو المليح

بهذا النوع من الحشو يزدان البيت، فيحسن الكلام ويزداد رونقه ومن أجل ذلك يسميه الناس بـ «حشو اللوزينج»

ومثاله من العربية:

إن الثمانين وبُلّغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

فلفظ «وبلغتها» حشو مليح أجمل من قصيدة برمتها ومن قول «كثير»

لو إن الباخلين وأنت منهم ... رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله: «وأنت منهم» حشو مليح

ويقول (النابغة الجعدى):

ألا زعمت بنو سعد بأني ... فقد كذبوا كبير السن فاني

ومن قولي بالفارسية: ومعناه:

أن خيال سيفه ـ وليجعله الله نافذا ـ قد استقر فى أرواح الأعداء

ومن قولى أيضا بالفارسية: ومعناه:

أنا لحن الذهان المتعنت ـ أبعده الله عنك ووقاك شره قد صرت مشردا كما يصير الذى يفكر فيك بالسوء فعبارة «دور ازتو» حشو مليح فى هذ البيت.

## المتلوّن

وتكون هذه الصنعة بأن يقو ل الشاعر بينا من الشعر بحيث تمكن قراءته على وزنين أو أكثر من أوزان الشعر.

ومثاله من الشعر العربى:

إنما الدنيـــا فـــداء داره ‏‏ وبنو الدنيا فـداء أســرته

فإذا قرأت لفظة «فدا» بفتح الفاء مقصورة فى كلا المصراعين، كان هذا البيت من «البحر المديد» وكان تقطيعه هكذا! فاعلاتن فاعلن فاعلهن.

... أما إذا قرأت لفظة «فداء» بكسر الفاء ممدودة فإن البيت يكون على وزن «بحر الرمل» ويكون تقطيعه فاعلاتن فاعلاتان فاعلن.

ومثاله بالفارسية: ومعناه:

أيتها الدمية الحجرية القلب البيضاء الجبين، يامن شفتك رحمة وغمزات عينك بلاء.

فإذا قرأت السين بالتخفيف من كلمة «سنكين» وكذلك السين من كلمة (سمينى)، والتاء من كلمة (تو) والغين من كلمة (غمزة) فإن البيت يكون من (البحر السريع) ويكون على وزنك مفتعلن مفتعلن فاعلن.

وقد كتب (احمد المنشورى) مختصرا فى الشعر المتلون، وشرحه فيما بعد

(خورشيدى) وأسماه (كنز الغرائب) وهذا المختصر قائم بجملته على الآبيات المتلونه. وقد أورد فيه بيتاً من الشعر يمكن قراءته على اكثر من ثلاثين وزناً.

## إرسال المثل

وينكون ذلك بأن يذكر الشاعر مثلاً فى بيته.

ومثاله فى العربية قول (أبى فراس):

تهون علينا فى المعالى نفوسنا ... ومن نكح الحسناء لم يغلها المهر

ومن قول المتنبى:

وحيد من الخلان فى بلدة ... إذا عظم المطلوب قل المساعد

تبكىً عليهن البطاريق فى الدجى ... وهن لدينا ملقيات كواسد

بذا قضت الأيام مابين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

ومن قولى القطعة الآتية:

تحيّرنى من طرفه لحظاته ... وهل فى الورى من لايحيره السحر

أرى منه جمرا مضرما فى جوانحى ... وكل محب فى جوانحه جَمْر

لقد عيل فى الأحزان صبرى كله ... ومن خالف الأحزان خالفه الصبر

عشقت وقلبى ضاع فى العشق سره ... وفى أى قلب يجمع العشق والسر

ومثاله فى الفارسية قول (ابى المعالى الرازى) : ومعناه :

إنى لم أجرب دهرى ، ولذا فإنى لست خبيراً بالأمور

والخبير بالأمور هو حقا من جرّب الدهر.

ويقول (مسعود بن سعد) : ومعنى الأبيات :

— يا أسفا وحسرة إن الفلك كاللص قطع طريق قافلتى بغير ما آلة أو سلاح — وكلما أقام دولتى زاد فى محنتى، وكأنما لا لحم من الفخذ بغير عظام من الرقبة.

ومن قولى بالفارسية : ومعناه :

إنه يذرع العالم طولا وعرضا من أجلك يا رب الفضائل

كما يتحمل الغواص حادثات البحار من أجل الجواهر.

## إرسال المثَلَين

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر مثلين فى بيت واحد ومثال من الشعر العربى قول «لبيد» :

ألا كل شئ مـا خـلا الله باطلُ وكل نعـيم لا مـحـالـه زائلُ

ويقول (الأمير ابو فراس) :

ومن لم يوق الله فـهـو مـضـيع ومن لم يعـز الله فـهـو ذليل

ويقول المتبنى :

أعـز مكان فى الدنا سرج سابح وخـير جليس فى الزمـان كـتـاب

ومن قوله أيضاً :

وكل امرئ يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العـز طيب

ويقول العنصرى بالفارسية : ومعناه :

هكذا يفعل السيف الفاتك، وهكذا يفعل الأكابر حين يجب العمل.

ويقول (أبو الفتح البستى) ومعناه) :

لا يحب أن يذهب للحـرب كل من يمتلك سـيـفـا

كـمـا لا يجب أن يشـرب السم　　كـل من يمتـلـك تـريـاقــــاً

ومن قولى بالفارسية : ومعناه :

فأى قيمة للـؤلـؤ فى وسـط البـحر وأعمـاقه ... !!

وأى قيمة للجواهر فى صميم المنجم وتحت أطباقه ... !!

## ذو القـافيتين

وتكون هذه الصفة بأن يقول الشاعر قصيدة أو مقطوعة ويجعل لها قافيتين متجاورتين ومثالها قول «مسعود بن سعد» :

| | |
|---|---|
| ياليـلة أظلـمت علينـا | ليـلاء قـاريـة الدُجـنّهْ |
| قـد ركضـت فى الدجى علينـا | دهـما حُـدَاريةَ الايـمـنّـه |
| فـبتُّ أقـتـاتهـا فكانت | حُبلىَ نهـاريـة الاجنـه |

ففى هذه القطعة نجد أن القافية الأولى عبارة عن الكلمات «قارية» و (حدارية) و (نهارية) . أما القافية الثانية فهى الكلمات (دجنه) و «المنة» و (أجنه) .

ومثاله من الشعر الفارسى قولى : ومعنى هذه الأبيات :

– يا من علمت الدنيا بمكارمك ، وأذعنت السماء لأحكامك

– إنك الملك صاحب القـران ، الجالس على عرش الاكاسرة ولم يعرف الزمان مثيلا لك

– وبرأيك الكبير وحظك النضير، قد استقر تحت رعايتك الكبيرة والصغيرة.

– وقد لهجت ألسنة العالم بمدحك، كما عقدت الأفلاك العزم على خدمتك

– والشرف مزامل لموكب سيادتك، والظفر مقارن لمركب سعادتك.

ولى جملة من القصائد التزمت فيها هذه الصنعة ولكن هذا القدر يكفى للتمثيل فى هذا الموضع.

## كتاب حدائق السحر

الأثر الخالد الذى كتبه رشيد الدين فخلد اسمه فى تاريخ أدبيات إيران وجعله معروفاً مشهوراً حينما يتحدثون الفارسية فى كل مكان، هو هذا الكتاب الحاضر الذى يعرف باسم «حدائق السحر فى دقائق الشعر» ... كتبه فى علم البديع والصناعات الشعرية معارضاً به كتاباً أخر هو : «ترجمان البلاغة .. من تأليف الشاعر الكبير أبى الحسن على السجستانى المتخلص بالفرخى.

وعلم البديع، مثل طائفة أخرى كبيرة من شعب الفنون الأدبية، يعتبر من العلوم الخاصة باللغة العربية، لأننا إذا استثنينا بعض الصناعات المعنوية كمثل التشبيه والاستعارة مما يعتبر من الخصائص الطبيعية لكل لسان ولكل إنسان، فإن بقية الصناعات البديعية وعلى الخصوص اللفظية منها كالسجع والترصيع والتجنيس وغيره، فقد أحتلت المكان الأول فى اللغة العربية، لأنها بأتساع الفاظها وكثرة مترادفاتها قد ساعدت على إيجاد الأرض الصالحة لنمو هذه الصناعات ... أما اللغة الفارسية فهى لغة أرية تختلف عن العربية من عدة وجوه، ومن أجل ذلك فقد كان من باب التقليد اتخاذها لقسم كبير من هذه الصناعات البديعية، وربما ساعد على سهولة هذا التقليد دخول عدد كبير من الالفاظ العربية فى اللسان الفارسية. فإن شعراء ايران بعد الإسلام لم يجدوا امامهم ما يقلدونه من نماذج الأشعار إلا الأشعار العربية فأخذوا يحاكونها فى أسلوبها وسبكها، وأنشأوا قصائدهم على غرارها وصبوا إحساساتهم وعواطفهم فى قوالب العروض العربى وأوزانه.

وأصبح الشاعر الايرانى بعد الإسلام لا يستطيع أن يقول الشعر بلغته الفارسية

مالم تكن معرفته باللغة العربية كاملة، حافظاً لأشعار العرب ومطالعاً لأقوالهم، فكانت هذه الحال التي اضطر إليها الشعراء بإيران، مع ماركب في الطبيعة الإنسانية من حب التقليد دافعاً لهم على محاكاة أساليب العرب وإلباس علومهم الأدبية فيِ لباس فارسي جديد .... ومن المحقق أن الأمر اقتصر في البداية على مجرد تقليد العرب في جميع الفنون، ثم أخذت بعد ذلك أيدى الأساتذة الإيرانيين تتصرف بعض الشيء في هذه الفنون ثم حتى أدخلت عليها كثيرا من التغييرات، كان من نتيجتها إضافة طائفة كبيرة من المكملات إلى كل فن بما في ذلك فن البديع أيضاً.

ص٥والفترة الأساسية فيِ ارتقاء حال رشيد الدين الواطوط هي الفترة التي قضاها مع مولاه «أتسز» فقد كان يتولى له رئاسة دار الإنشاء أو وزارة الرسائل طوال مدة حكمه على خوارزم في السنين الثلاثين الواقعة بين سنة ٥٢٢ وسنة ٥٥١هـ وكان في نفس الوقت يعتبر كاتبه الخاص وأكبر كتاب الدولة. وقد صاحبه فيِ أغلب الأوقات في سفره وحضره، وكانت المودة والألفة مؤكدة وثيقة محكمة الأساس بينه وبين مولاه. وكان «اتسز» يحس بكثير من المتعة فيِ محاوراته كتابته ويسر بحسن مجالسته وظرف كلامه ومحادثته، ولم يكن يبتعد عنه ساعة من الساعات. حتب لقد ذكروا أنه أمر أن يبني له قصر مجاور لقصره.

ص ٧ وكان رشيد الدين صغير الجثة ضعيف البنيان، وربما أسماه معاصروه بالـ «وطواط» من أجل ذلك. ويقول «دولتشاه» «إنه كان حقير الجثة حاد اللسا ن ولذلك أسموه بالوطواط وهو طائر معروف في الفارسية باسم «فرستوك» ويروون أن العلماء اجتمعوا يوماً للمناظرة والبحث في مجلس ملك خوارزم «اتسز» وكان رشيد الدين حاضراً فأخذ يفيض في البحث والمناظره، ورأى الملك أنه شخص ضئيل ولكنه فياض البحث الى غير نهاية، وكانوا قد وضعوا أمامه محبرة ليستعملها في

الكتابة إذا شاء، فالتفت إليه الملك وأمره فى دعابة أن يرفع الدواة من أمامه حتى يستطيع أن يتبين من الذى يتحدث من ورائها .. !!

وأدرك رشيد الدين مايرمى إليه الملك، فوقف وقال له: المرء بأصغريه قلبه ولسانه فكان في إجابته ما أخبر الملك بكياسته وفضله وبلاغته، فبالغ فى توقيره واحترامه وأجزل له الإنعام والإكرام.

أخبر نى أبو الزبير كاتب محمد بن حسان وحدثنى محمد بن أبان ولا أدرى كاتب من كان قالا قيل للفارس ماالبلاغة قال معرفة الفصل من الوصل وقيل لليونانى ما البلاغة قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام وقيل للرومى ما البلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة وقيل للهندى ما البلاغة قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الأشارة وقال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة ثم قال ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الافصاح أو عن طريقه وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر قال وقال مرة جِّماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الحرف بما التبس من المعانى أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تغذر ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه أن تكون الشمائل موزونة والألفاظ معدلة واللهجة نقية فان جاء مع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال وخالف عليه سهل ابن هرون وكان سهل فى نفسه عتيق الوجه وحسن الاشارة بعيدا من الغدامة معتدل القامة مقبول الصورة يقضى له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان وبالنبل قبل التكشف فلم يمنعه ذلك أن يقول ما هو الحق عنده وأن أدخل ذلك على حاله النقص قال سهل بن هرون لو أن رجلين خطباأو تحدثا أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلاً جليلاً بهيا ولباسا نبيلا وذا حسب شريف وكان الآخر قليلا قميئا وبار الهيئة زميما

وخامل الذكر مجهولاً ثم كان كلاهما فى مقدار واحد من البلاغة وفى وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الزميم على النبيل الجسيم وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ولشغلهم التعجب منه على مساواه صاحبه ولصار التعجيب منه سببا للتعجب به ولكان الاكثار فى شأنه علة للأكثار فى مدحه لأن النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أيئس ومن حده أبعد فاذا هجموا منه على ما لم يحتسبوه وظهر منه خلاف على ما قدروه وتضاعف حسن كلامه فى صدورهم وكبر فى عيونهم لان الشئ من غير معدنه اغرب وكلما كان أغرب كان أبعد فى الوهم وكلما كان أبعد فى الوهم كان أظرف وكلما كان أظرف كان أعجب وكلما كان أعجب كان أبدع وانما ذلك كنواء وكلوم الصبيان وملح المجانين فإن ضحك السامعين من ذلك أشد وتعجبهم به أكثروا الناس موكلون بتعظيم الغريب واستظراف البديع وليس لهم فى الموجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأى والهواء مثل الذى معهم فى القريب القليل وفى النادر الشاذ وا كل ما كان فى ملك غيرهم وعلى ذلك زنق الجيران فى عالمهم والاصحاب فى الفائدة من صاحبهم وعلى هذا السبيل يستظرفون القادم عليهم ويرحلون إلى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعا وأكثر فى وجوه العلم تصرفا وأخف مؤنة وأكثر فائدة ولذلك قدم بعض الناس الخارجى على العريق والطارف على التليد وكانوا يقولون إذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيبا فإنك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين أما رجلا يعطى كلامهما من التعظيم والتفضيل والاكبار والتبجيل على قدر حالهما فى نفسه وموقعها من قلبه واما رجلا تعرض له التهمة لنفسه فيهما والخوف من أن يكون تعظيمه لهما يوهمه من صاب قولهما وبلاغة كلامهما ما ليس عندهما حتى يفرط الاشفاق ويسرف فى التهمة فالأول يزيد فى حقه للذى له فى نفسه والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه ولاشفاقه من أن يكون مخدوعا فى أمره فإن كان الحب يعمى عن المساوى فالبغض يعمى عن

المحاسن وليس يعرف حقائق مقادير المعانى ومحصول حدود لطائف الآمور الاعالم حكيم أو معتدل الأخلاط عليم والا القوى المنه الوثيق العقدة والذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم والشعراء الأكثر وكان سهل بن هرون شديد الاطناب فى وصف المأمون فى البلاغة والجهارة وبالحلاوه والضخامة وجودة اللهجة والطلاوة.

## تجاهل المعارف

ص١٥٨ وتكون هذه الصنعة بأن يورد الشاعر أو الكاتب شيئاً، فى نظمه أو نثره، ثم يقول : لا أعلم إن كان هذا الشئ هكذا أو هكذا ..؟ فيدّعى الجهل به وهو مع ذلك يعلم حقيقته تماماً.

وهذا الأسلوب موجود فى القرآن الكريم. ومثالة : «وإنا وإياكم لعلى هدىً أو فى ضلال مبين»

ومثاله من النثر العربى : لا أدرى أبدرٌ زاهر أم جبينه، وبحر زاخر أم يمينه ..؟
ومثاله فى الفارسية ومعناه : هل فلان آدمى أو ملاك ..؟

ويقول «قيس المجنون»

بالله ياظبيات القاع قلنَ لنا ... ليلاى منكن أم ليلى من البشر

ويقول «زهير»

وما أدرى وسوف أخالُ أدرى ... أقوم آل حصن أم نساء

ويقول «نصر بن الحسن»

أحُلْمٌ ما أدرى منهم ... أم الإخوان خوّان

ومن قول «المتنبى»

أريقُك أم ماء الغمامة أم خمر بفيَّ برودٌ وهو فى كبدى جمر

١٥٩ ويقول العنصرى بالفارسية. ومعناه : إن الدنيا مطيعة لأمره، وهو نفسه الدنيا بأسرها ..!!

ومن قولي بالفارسية .. ومعناها : وبالسحاب الأسود القائم كظلمة المسك امتلأ العالم بنور اليقين.

فلم أعد أعلم أهذه هى الأرض أم الأفلاك، وهل تلك هى السماء أم الأرضين..

## السؤال والجواب

تكون هذه الصنعة بأن فى البيت أو البيتين سؤال وجوابه ومثاله ما يقوله «على ابن الحسن أبو الطيب».

قد قلت لها : هجرتنى ما العلة ؟! صدَّت وتمايلت وقالت : قلّه .. !

ومن قول القاضى يحيى :

فتاةٌ ليس يشبهها فتاةٌ كأن حديثها مسكٌ فُتَات
علقت بها فقالت : خلِّ عني فروضى قد أضر بها النبات
فقلتُ : دعى فرجك لى دواةً وهل صلحت بلا صوف داوتُ

والفرس يقدرون صنعة «السّؤال والجواب» حقَّ قدرها، ويستعملونها فى القصيدة من مطلعها الى نهايتها على نسق واحد.

مثال ذلك .. ومعناه

قلت لها : يا حوريتى الأسرة لقلبى، ص١ اعطيتنى ثلاث قبلات ..!

فأجابت : وهل تستطيع فى هذا رالعالم أن تقبل الحوريات ..؟

وهذه القضية برمتها على هذا النحو. وهى من بدايتها الى نهايتها تستعمل اللفظين «كَفتم وكَفتاء للسؤال والجواب. فإذا لم يوجد هذا اللفظان فيستعمل الشاعر غيرهما بمعناها.

ويقول أمير مُغرَبِي :

ومعناها : أرسلت إلى دميتى الكشميرية أسألها لماذا أضحى قلبى أسيراً لحلقات ذؤابتك.؟

فأجابتنى : إن العشق قد ولهه فأصابة الجنون، والجنون لايقاد إلا بالسلاسل والقيود .. !!

## المـوَشَّـح

الوشاح فى اللغة الفارسية معناه «بربند» وهو أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها. والموشَّح هو الذى اتشح بالوشاح وتقلده. وصنعة «التوشيح» تكون بأن يورد الشاعر فى أول الأبيات أو وسطها حروفاً أو كلمات، بحيث إذا جمعت بعينها أو مع تصحيفها، خرج لنا منها بيت أو مثل أو أسم.

١٦١ وفروع هذه الصنعة وشعابها كثيرة، وهى مستعملة فى بعض القصائد ومن أمثلتها بضعة أبيات لى بالعربية.

يا صاحبى قد مرَّ أيـام الآمانة والحيـاء

طلَّ القضاء دمىِ فطال لسان ذمَّيِ للفضاء

يا صاحبى كن وافياً بالعهد وأمرٌ بالوفـاء

فالألفاظ المكتوبة بين الأقواس فى هذه القطعة، إذا أخذ بعضها بعينة وبعضها

مصحفاً، وقرئت بعينها من فوق الى تحت بتصحيفها من تحت الى فوق خرج لنا منها المصراع الآتى :

ومعناه بالعربية : اصطنع الرجولة فالرجولة خير

ومثاله مما قلته بالفارسية موشحاً بالحروف وليس بالكلمات ومعناهما :

إن معشوقتى قد جرحت قلبى بسهام الأحزان، فأصبحت – ولم يأخذ أحد بيدى – مولهاً حيراناً

وقد وطئت قدم المحنة جسدى فأردته وحطمت يد الحزن ظهرى فكسرته فإذا أخذت الحروف التى تبدأ بها المصاريع الأربعة فى هذين البيتين وجمعتها خرج لك منها اسم «محمد».

وإذا جعل التوشيح على شكل شجرة أسموه بالـ «مشجر» وإذا كان على شكل حيوان أسموه بالـ «مجسّم» أو «المصوَّر» وإذا كان على شكل دائرة اسموه بالـ «مدوَّر».

## المربــّع

المربع هو الذى يكون له أربع نواح، ويكون «التربيع» بأن يقول الشاعر أربعة أبيات أو أربعة مصاريع بحيث إذا قرئت طولاً أو عرضاً ومثاله من قولى «وإن كان لم يبلغ حد الحسن والكمال، ولكنه كان على سبيل المثال :

١٦٢ فـؤادى سباه غزال ربيب

سباه بقد كغصن رطيب

غزال كغصن جناه عجيب

ربيب رطيب عجيب حبيب

ومثاله من الشعر الفارسي ومعناه :

– بحيـــاتك يا حبيـــب هـــلا وفيـــت معى
وهلا وفيت مخلصا يا محبوبى فى غير جفاء
وهـــلا أحببتنى بقلبـــك من صميمــــه
ومـــا أجـــل الوفـــــاء فى غيـــر جفـــاء

ويقول أخر بالفارسية ومعناه :

بســـبب فرقتـــى لحبيبـــى وأنا معتـــل على الـــدوام
حبيب قـد دنغت لعشقه، وســـهده بعدى فـــلا أنـــام
فظللت دائماً عليلاً ليس لى أنيس ولا صاحب بين الأنام
واصبحت العليل، الســـاهر، الوحيـــد المبتلى بالآلام

## المسـمّط

ويكون «التسميط» بأن يقسم الشاعر بيته إلى أربعة أجزاء، ويراعى السجع فى الأجزاء الثلاثة الأولى منها، ويجعل القافية فى القسم الرابع والأخير من البيت. وهذا النوع من الأشعار يسمونه ايضاً بالشعر المسجع.

١٦٣ ومثاله قول الحريرى فى المقامات :

خـلّ ادكـار الأربـع، والمعـهد المرْتَبع     والظـاعن المـودع وعدّ منـه ودَع
وانـدب زماناً سلفاً، سوّدت فيه الصحفا     ولم نزل معتكفاً، على القبيح الشّنعِ
كم ،ليلةٍ أودعتـها، مأثماً أبدعتـها     لشـهوة اطعتها، فى مـرق ومضبـعِ
وكم خطى حثثتها، فى خزيةٍ احدثتها     وتوبـة نكثتـها، لمعـلب ومرتـع
وكم تجرأت على، رب السموات العُلى     وكم تراقبه ولا صدقت فيما تدّعيِ

ومثاله من الشعر الفارسى قول أمير الشعراء «معزبى»

ومعناها بالعربية :

– أيها الحادى لاتنزل إلا بديار الحبيب، حتى اتمكن من البكاء لحظة على الربع والاطلال والدمن.

– فأمتد الربع بدماء قلبى، وأجعل الأطلال نهراً جارفاً، وأحيل تراب الدمن احمر الون من دموع عينى.

– فقد خلى الإيوان – كما أرى – من وجه حبيبى، وخلا البستان من قدَّه الفارع المديد.

– وقد أصبح مكانه حيث كان يلهو مع أحبته فى البستان، مرتعاً للذناب والتعالب ووطناً للبوم والنسور والغربان.

– وبدل الأقداح المليئه بالخمر، اصبحت ترتع حمر الوحش؛ وبدل الحان العود، والناى، أصبحت تعلو صيحة الغراب والعقاب.

ويجوز أن تزيد الأقسام المسجعة على ثلاثة، ولكن الأشهر والمعروف هو الثلاثى.

ويقول الفرس نوعاً أخر من المسمط يقولون فيه خمسة مصاريع على قافية واحده، ثم يجعلون القافية الأصلية فى المصراع السادس الذى .

١٦٤ يكون عليه بناء القصيدة. وهذا هو المسمط القديم الأصلى ولو أنهم لا يعملون الآن ذلك.

ومثاله من قول الأمير : ومعناها :

– أذَنَ الديك معلناً شاربى الخمر بأن الصبح قد أسفر عن وجهه لمرتقبيه.

– وألقى نقابه على كتفه، وأطلَّ مليك الكواكب من المشرق .

– فأحضر الخمر فإنها سلوى المساكين، وقوموا لشرب الصبوح يا معشر النائميين ... !!

## المُلَمَّع

وتكون هذه الصنعة بجعل أحد مصراعى البيت من الشعر عربياً والأخر فارسياً، كما يجوز أن يكون احد الأبيات عربياً والأخر فارسياً، أو أن يكون بيتان بالعربية ثم بيتان أخران بالفارسية؛ أدا أن تجعل عشرة ابيات بالعربية ثم عشرة أخرى بالفارسية.

ومثالة من قولى ومعناه :

فيا مـولايى ...، لتـدم حيـاتك ألاف السـنين موفقـاً مظفراً

فإنك المصدر الذى يلقى عنده أرباب العلم توفيقهم وظروفهم.

## المُـقطَّع

١٦٥ وتكون هذه الصنعة بأن يورد الشاعر بيتاً من الشعر لا تتصل حروف كلماته فى الكتابة، ومثالة من قولى بالعربية :

وانى يُعظِّمنى كلُّ حـر ويُلبسنى من أياديه برُدا

وأدرك أن زرت دار ودودٍ دراً ودراً ووِرداً وورْدا

ومثاله من قولى بالفارسية ومعناه :

– منذ عقد القلب محبته للحبيب، وقد ابتعدت عن البهجة والسرور

– وأصبحت حزيناً مصفر الوجه بسبب لوعتى على هذا الحبيب، ولوعة الحبيب تورث الحزن وصفرة اللون والشحوب.

## المُوَصَّـــل

وتكون هذه الصنعة بأن يقول الشاعر بيتاً من الشعر لا تقبل كلماته التقطيع فى الكتابة والرسم، وقد أورد الحريرى مثالة فى المقامات وفى البيتين التاليين صنعة أخرى أغرب وأعجب من «التوصل» وهى أن جميع حروفها منقطعة وليس بها حرف واحد عاطل. وهذان البيتان هما :

فتنتنــى فجنَّبتنــى تجنــىَّ      بتجـنٍّ يفـتنٌ غبٌّ تجنــى
شغفتنى بجفن ظبيٍ غضيضى      تحنج يقتضيِ تغيض جفَنى

ومقالة بالفارسية ومعناه :

فمــا أكثر بتاريخ عشقك على جســدى

## الحـــذف

١٦٦ وتكون هذه الصنعة بأن يطرح الشاعر أو الكاتب حرفاً أو أكثر من حروف المعجم من نثرة أو نظمة.

ومثالة من النثر العربى ما يروونه من أن واصل بن عطاء وكان من رؤساء العدل والتوحيد – كما يمتاز بفصاحة عظيمة تشوبها لثقة فى نطق الواء، فاجتهد ألا ينطق بهذا الحرف، فسألوه يوماً كيف يمكنه أن يقول «اطرح رمحك واركب فرسك» وكان غرضهم فى ذلك أن يضطروه إلى نطق الداء التى تكثر فى هذه العبارة. ولكن واحداً أجابهم بقوله :

«ألقِ قناتك واعلُ جوادك» فتعجب الجميع من إجابته ومن قدرته على حذف الداء بحيث استطاع أن يجعل ذلك ملكة خاصة به.

ومن أمثلة الحذف، الخطبة التى أوردها الحريرى فى مقاماته، وقد حذف منها

كلّ الحروف المنقوطة، وهذه الخطبة هى :

الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الألاء الواسع العطاء المدعو الحسم للأواء ... إلخ.

ومن أمثلة حذف الآلف فى الفارسية ومعناه :

الدولة قرينة لحضرتك والنعمة نتيجة لخدمتك، وكل من يتمسك بصدرك الرفيع.

وقد حذف الحريرى جميع الحروف المنقوطة من الأبيات الأتية :

أعْدِد احسّادك حدَّ السلاح وأورد الأمل وِرْدَ السماح
وصَارم اللهوَ ووصل المها وأعمل الكومَ وسُمْرَ الرماح
واسع الإدراك محلٍ سما عماده لا لادّراع المراح
والله ما السؤدد حسوُ الطلا ولا مراد الحمد ردْد رواح

ومثالة من الشعر الفارسي وقد حذف الألف ومعنى الأبيات :

١٦٧ – طرتان ملتفتان وقامة صنوبرية مديده، وتحت ذؤابتيه المجعدتين خطان من العنبر.

– وله شفتان من عقيق، وتحت عقيقتيه صفان من الدرر، وعيناه نرجستان، وتحت نرجستيه زهرتان غضتان.

– وعيناه وذؤابتاه وشفتاه جميعها ساحرة مشعوذة، وفيها جميع أنواع السحر وأسر القلوب.

– وها كها الدنيا قد أصبحت كالخلد الأعلى، فأنظر إلى الوديان والجبال لقد اكتست حيثما نظرت بشتى الأنواع من الزهور المتفتحة .

- الحمراء والبيضاء والصفراء والزرقاء والبنفسجية والقرمزية، وقد كساها النوروز بالأوراق الذهبية.
- فكلما التفتَّ إليها احتارت عيناك، وحيثما حللت لا تستطيع أن تغادر المكان الذى ينزل فيه.
- وكأنما الكواكب داخل كل نرجسه، والسعتر وضاء المحيا كوجنات الحبيب.

ومثال أخر من الشعر الفارسى ومعناه :

- ملك وهاب للممالك فاتح للأقطار، لا مفر لأحد من عدله.
- ملك الشرق الذى جُعل حدُّ سيفه الاعداء يتحملون الغارة دائماً.
- وبه أضحى قصر المجد والشرف رفيعاً، وبه أضحت عين الفضل والنبل قريره.

## الرَّقطــاء

الرقطاء فى اللغة هى ما كانت سوداء او امتزجت بها نقط بيضاء وتكون هذه الصنعة بأن يورد الكاتب فى نثره أو الشاعر فى شعره كلمات يكون أحد حروفها منقوطاً والآخر عاطلاً.

١٦٨ ومثالها من قول الحريرى :

أخلاقُ سيدنا تحِب، وبقْوته يُلبّ، وقربه تُحف، ونأيه تلف وخلّته نسب، وقطسعته نَصب ... إلخ.

وهذه الرسالة الى أخرها على هذا النسق وهى معجزة للغاية.

ومثالها من قولى : ســـيدنا ذو خُلقُ وخلّق وظرفٍ ونُــطق

ومثالها بالفارسية من قول العامة ومعناه : ياروحى أين أنت ...؟

ومثال أخر من الشعر العربى قول الحريرى :

سيدٌ قُلّبَ سبوقٌ مُبرٌ ... فطن مُغربٌ عزوفٌ عيوفٌ
مُخلفٌ متلفٌ أغرٌ فريدٌ ... نابة فاضلٌ ذكىٌ أنوفٌ

ومن قولى بالفارسية : ومعناه بالعربية

إن غمزة هذه الدمية الفاتكه، قد جرحت قلبى وروحى بعبثها.

## الخيفاء

الخيف فى اللغة هو أن تكون عينا الجواد إحداهما سوداء والأخرى زرقاء، وتكون هذه الصنعة بأن يجعل الكاتب فى نثره أو الشاعر فى شعره، كلمه من عبارته منقوطة ،وكلمه أخرى عاطلة غير منقوطة.

ومثالة من النثر العربى قول «الحريرى» فى إحدى رسائلة :

الكرم ثبّتَ الله جيشَ سعودك يزين، واللوم نمضىَّ الدهر جفنَ حسودك يشين ... إلخ. وهذه الرسالة الى أخرها على هذا النسق.

ومثاله فى الفارسية قولهم : ومعناه :

جيش الملك لا عدَّ له، وعطاؤه لا حد له.

١٦٩ ومثالة من الشعر العربى قول الحريرى :

اسمح فبث السماح زين ... ولا تخبْ آملاً تضيّف
ولا تجز ردّ ذيِ سؤالٍ ... فنّن أم فيِ السؤال خفّف

ومثال أخر من الشعر الفارسي ومعناه :

أصبح بمنح المال زيناً للعالم، وأصبح سيفه زينة للممالك

## المُصَحـف

وتكون هذه الصنعة بأن يستعمل الشاعر فى شعره أو الكاتب فى نثره، كلمات إذا حفظت على صورتها كانت مدحاً وثناء وإن تغير نقطها أو حركاتها اصبحت قدحاً وهجاء.

والمصحف على نوعين : الأول مضطرب والثانى : منظم

فالمصحف المضطرب هو ما اتصلت حروفه ببعضها ووجب بالجهد وإعمال الفكرة تبيين مقاطع كلماته ومفاصلها حتى يظهر التصحيف واضحاً، ومثاله : التصحيف فى «قسوره بن محمد» (٢٩٥ – ٣٠١) حين قالوا فيه «فى تنور هيتم جمد».

فيجب فى هذه الأمثلة تبيين المقاطع والمفاصل.

أما المصحف المنتظم، فهو ما أمكن فيه قراءة كل كلمة من الكلمات مصحفة على حده، لأن مقاطع الكلمات مبينة، ومفاصلها معينه، بحيث لا تكون هنالك حاجة إلى الجهد فى استخراجها.

ومثاله فى العربية : أنت الحبيب المحبب

١٧٠ ومثالة أخـــــر : أنــت ســـر البـــأس

وفى الفارسية ومعناه : نحن نحى فى وسط دولتك

ومثاله من الشعر العربى : قولى :

يا حاملَ القرآن أنت الصابر　　　أنت المحبب والمغنى الفاخر

## الترجمـة

١٧١ وتكون هذه الصنعة بأن ينظم الشاعر بالفارسية معنى البيت العربى أو ينظم البيت الفارسى بالعربية.

يقول ناصر خسرو ومعناه :

عـذلـت زمانـى مـدةً فى فعـالة ... ولكن زمانى ليس يـردعه العـذل
يُضيق صدرى الدهرُ بغضاً لفضله ... فطوبى لصدر ليس فى ضمنه فضلُ

ويقول القاضى «يحى بن صاعد» بالعربية :

أقـول كما يقـول حمـارُ سـوءٍ ... وقد سـاموه حمـداً لا يطيـق
سـأصبر والأمـور لهـا اتسـاع ... كمـا أن الأمـور لهـا مضيـق
فـإمـا أن أمـوت أو المكارى ... وإمـا ينتـهى هذا الطريق

## المُعَمَّـى

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر بطريقة خفية اسمَ معشوقه أو أسم شيئ من الأشياء فى بيت عن أبياته بواسطة القلب أو الحساب أو التصحيف أو التشبيه أو أى وجه آخر، بحيث لا ينبو تعبيره عن الطبع السليم، وبحيث تكون عبارته خالية من التطويل والألفاظ الحوشية المستقبحة.

وجدير بهذه الصنعة أن تحاولها الطباع النفادة والخواطر الوقادة.

١٧٢ ومثال المعمى فى الشعر العربى قولى فى البرق :

خذ القربَ ثم اقلب جميعَ حروفه ... فذاك اسم من أقصى منى القلب قربُه

ومثال آخر من قولي في الكعبتين :

ثلاثة أبطـــالٍ يُغيـرن عنــــوةً	على كل مـال فيه للمرء فائـــدة
يعـــينهم ستٌ وخـــمسٌ واربعٌ	عـقـيب ثلاث واثنتين وواحــدة

ومن قول الشاعر في الدرهم

إنمـــا المـــرء بمقلـــوب اســـمه	بلسـان الفـرس فأنـــهم قلبـــه
فـإذا لـم يحظ فـاضـمم ميـمـه	وقل اللهم فـاغـفـر ذنبـه

ومثال أخر بالفارسية ومعناه :

– رأيت بدر التم عليه ثوب من الديباج فتأملته وبقيت اتعجب من حالة.

– فسألته ما اسمك ايها الصنم الجميل؟ فأجابني أكتب كلمة «كريم» مقلوبة واطلب منها اسمي.

ويقول ابو العلا الشوشترى في اسم «على» ومعناها :

– ارسم السهم والقوس ونقطة الهدف وضع في عين القوس سهماً

– تعرف اسم صنمي الجميل بتمامه ... وذلك الصنم الذى لا قرين له في الحسن في كشمير.

## اللغـــز

هذه الصنعة هي بعينها صنعة المعمى، إلا أنها تقال على طريق السؤال ومثاله قول الحريرى :

ومـا ناكح اختين جـهـراً وخـفـيـةً	وليس عليـه في النكاح سـبـيل

١٧٣ متى يغشَ هذى يغشىَ في الحال هذه وإن مال بعلٌ لم يجده يميل وله

أيضاً فى «الشراب»

| | |
|---|---|
| ومـــا شـئ إذا فـــــــــدا | نحـــوّل غيّـــهُ رشـــــدا |
| وأن هـــو راق أو صـــافــــاً | أنـــا الشــرَ حيـــث بـــدا |
| زكـــــى الـــعْرقِ والـــده | ولـكـن بئـس مـــــا ولـدا |

ويقول الأمير معزّى ملغزاً فى القلم ولغزة جميل

ومعنى هذه الأبيات :

– ما الشئ الذى يستمد قوته من عطارد، وهو شبيه بالسهم وقد استقام به مال الملك.

– وحينما يبكى تضحك الروح فى قالبها، وحينما يئن يتيه على النجم فى عليائه.

– يحكى بدموعة نادرات الخواطر، ويخبر بصريره عن مشكلات الضمائر.

– يؤلف كل ما تفكر فيه الطباع، ويفسر كل ما تتعلق به الأوهـام.

ومن قوله ملغزاً فى الخاتم : ومعناها بالعربية :

– ما شكل يشبه السماء، قد استغرت فيه الشمس العلياء ..؟

النقـمة والمحنة فى أثاره، وافعال السماء على منواله أحياناً يتأمر على الأعداء، واحياناً يتضافر مع الاصدقاء ناظم للأمور بغير تدبير، كاشف للأسرار بغير نطق أو تحبير يبشر شخصاً بالملك والإقبال، ويحكم على آخر بالشنق بالحبال ليس بالعاشق الأسيف الحزين، ولو أن طلعته مصفرة وقامته محنية كالعاشقين ..!

اصفرّ وجهه ولم يذق طعم العشق والصد، وانحنت قامته ولم يتحمل ألم الفرقة والبعد.

وهو ادق وسطاً من وسط الدمية النحيلة، واصغر فماً من فم الحسناء الجميلة.

ليس تعباناً ولكنه يتقوس كالثعبان، وله مفاصل مثل مفاصل الافعوان.

## التضمين

تكون هذه الصنعة بأن يُدخل الشاعر في شعره، على سبيل التمثل والعارية، لأعلى سبيل السرقة، مصراعاً أو بيتاً أو بيتين من قول شاعر آخر، ويجب أن يكون بيت التضمين مشهوراً وأن تكون هناك إشارة صريحة على التضمين بحيث تزول تهمة السرقة عن الشاعر لدى سامعيه.

ومثال التضمين ما قاله الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى وقت شيخوخته حينما لم يبق سواه من أعيان أسرته، فقد ضمن بيتين مشهورين من أشعار العرب في قصيدته التالية :

وقائـلة والـدمـع سـكبٌ مبـادر ... وقد شـرقت من مقلتيهـا المحاجـرُ

وقد أبصرتْ بغـداد من بعـد أُنسـها ... بنـا وهي منا موحشـاتٌ دوائـرُ

كأن لم يكن بين الحجوب الى الصفا ... أنيـسٌ ولم يسـمُر بمكة سـامرُ

فعلـت لهـا والقـلب مني كأنمـا ... يخالجـه بيـن الحجابين طائـرُ

بلى نحـن كنـا أهلهـا فأبـادنـا ... صروف الليـالى والجـدود العواثـرُ

ولـم يبق منا «طاهريٌّ .. مـؤمَّرٌ» ... سـواى وأعلى ساسة الملكِ طاهر

ومثال آخر من قولي بالعربية :

ذنبـيِ كثيـر وعـذرى فيه متضـح ... فاقبله فالعـذر عنـد الحرِّ مقبـولُ

نبـئت أن رسـول الله أوعـدنى ... والعفـو عند رسـول الله مـأمـول

ومثاله من – الشعر الفارسي البيت الأتى من قولى وقد ضمنته المصراع المعروف لاقول العنصرى ومعناه : لقد أبدى سيفك آثار الفتح فهلك الفلك قائداً

هكذا يبدو سيف الملوك المظفر.

## الإغراق فى الصفة

تكون هذه الصفة بالمبالغة فى صفة شيئ من الأشياء بحيث تصل بها الى أقصى الغاية ومثالها ما قالته «سكينه بنت الحسين بن على رضى الله عنها حينما زينت بنتها : «والله ما البسته إياها إلا لتفضحه» ومثال آخر مما كتبه والصاحب بن عباد :

«فمخاطباتى ستعود إليك أقصر من عرقوب قطاة بعد ما كانت اطول من ظل كتابك فكان اخف على من جناح البعض وأول شئ على ودٌ مرفوض وعهد منقوض».

ومثالة فى الفارسية ما يقوله العامة عند القدح فى شخص. ومعناه : فلان لا فى العير ولا فى النفير وهو انقص من لاشئ.

ومثال أخر بالفارسية ومعناه :

ايها الكلب ..! وياضيعة هذا الإسم عليك .. !!

ومن قول افراد القيس :

من القاصرات الطرف لودب محول　　　من الذّر فوق الأتْب منها لآثرا

١٧٦ وفى هذا البيت إغراق فى غاية الحسن، ويقول الجاحظ إن من يحاولون الإغراق فى هذا المعنى، جميعهم عيال على امرء القيس.

ويقول شاعر أخر فى هذا المعنى :

وإذ ا توهم أن يراها ناظرٌ　　　لولا مخاطبتى إياك لم ترنيِ

ومن قول المتنبى :

كفى بجسمي نحولاً أنى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنِي

ومثال أخر :

لأبى عيسى رغيف فيه خمسون علامة فعلى جانبه الواحد : لقيت الكرامة
ثم لاذاقك من ضيف الى يوم القيامة وعلى الأخر سطر : نسأل الله السلامة

ومثال آخر :

من رأى مثلَ جبينى يشبه البدر إن بدا
يدخل اليوم ثم يدخل أردافها غدا

ومثال من الشعر الفارسى قول ميخبك : ومعناها :

– وحينما يتازل صغيرة من الأبطال يتقدم تنين القتال وتتسع خطاه .

– ثم يسرع فى اختطاف «الخال» بطرف رمحه بحيث لا يؤذى وجه مبارزه.

ومن قول الأمير العنصرى بالفارسية ومعناه :

فإذا استطاعوا أن يختطفوا الحلقات برؤوس الحراب، فإنك بحربتك تستطيع أن تختطف الخال من وجه الزنجى فى ليلة الشتاء القاتمة.

ويقول الشاعر «غضايرى» ومعناها :

– لقد أصاب الله العادل الذى لا نظير له ولا قرين حينما لم يظهر لك كلا العالمين.

– وإلا لجدتَ بهما معاً فى يوم العطاء، ولم يبق لى بعد ذلك امل فى رب السماء .. !!

والرباعي التالي من قول «على الأسدى» ومعناه :

– من وخز أطراف ذؤابتيك اللتين تفوحان بأريج العنبر الذكى.

– يتأذى ورد وجناتك النضير الجنى.

– ولكثرة ما يشير إليك بالبنان أهل محلتك

– أخشى أن يبقى أثر إشارتهم على صفحة وجهك البهى.

## الجمع والتفريق والتقسيم

يقع هذا الفصل فى ستة أقسام بيانها كالأتى :

| | |
|---|---|
| ١– الجمع | ٤– الجمع من التفريق |
| ٢– التفريق | ٥– الجمع من التقسيم |
| ٣– التقسيم | ٦– الجمع من التفريق والتقسيم |

### ١٧٨- ١- الجمـع :

تكون هذه الصفة بأن يجمع الشاعر بين شيئين أو أكثر فى صفة واحدة، وهذه الصنعة تعرف عادة باسم «الجـامع» ويجوز أن يكون الجامع ظاهراً أو مضمراً.

ومثاله من الشعر العربى قول الشاعر :

فـأحـوالى وصُدْغُكَ والليـالى ظـلامٌ فـيِ ظـلام فـى ظـلام

ففى هذا البيت نجد أن احوال الشاعر وصدغ المحبوب واليالى جميعها مجموعة فى صنعة الظلمة، والظلام هو الجامع بينها جميعاً وهو «جامع» ظاهر أيضاً. ومثال آخر من الشعر الفارسى قول «قمرى».

ومعناه : إن السماء مثلي عاشقة لك، ولأجل ذلك فهى لا تستقر على حال

مثلى. ففى هذا البيت جمع الشاعر بين السماء والعاشق بواسطة العشق وعدم الإستقرار. والجامع هنا ظاهر وهو عدم الاستقرار.

ومثال آخر من قول قمرى بالفارسية ومعناه :

إن القمر فى بعض الأحيان شبيه بوجه حبيبى، وأحياناً يصبح مثلى محدودب الظهر حزيناً هزيلاً.

ففى المصراع الأول من هذا البيت، جمع الشاعر بين القمر ووجه المعشوق فى صنعة جامعة مضمرة هى الملاحة والحسن ولم يذكر ذلك صراحةً فى بيته. أما فى المصراع الثانى، فقد جمع الشاعر بين القمر ونفسه فى انحناء الظهر والهزال والحزن، وكل هذه صفات جامعة ظاهرة.

٢ – التفريق :

وتكون هذه الصنعة بأن يفرق الشاعر بين شيئين ولا يجمع بينهما فى شئ ومثالها من الشعر العربى قولى :

| | |
|---|---|
| ما نــوالُ الغمــام وقــت ربيــع | كنــوال الأميــر يــوم سخــاء |
| فنــوال الأمــيــر بــدرةُ عينٍ | ونوال الغــمــام قطرةُ مــاءَ |

فمنذ بداية البيت فرقت بين نوال الغمام ونوال الأمير. ثم عدتَ فشرحت هذا التفريق.

١٧٩ ومثال آخر من الشعر الفارسى قول الخُسْرَدى : ومعناه :

كيف يكون السحاب مشابها لك، وكيف لسحب الربيع أن تمطر ذهبا فقد فرق الشاعر فى بداية البيت السحاب والممدوح ثم عاد فشرح هذا التفريق :

### ٣- التقسيم :

وتكون هذه الصنعة بأن يُقسَم الشاعر في بيت من الأبيات شيئين أو أكثر، ثم يراعي هذا التقسيم بترتيب على قاعدة واحدة.

ومثالة من الشعر العربي قول «اديب ترك» في شخصين احدهما طويل جداً والأخر قصير للغاية.

أديبـــان في بلـــخ لا يـأكـــلان    إذا صحبـا المـــرء غيـــر الكبـــد
فـــهـــذا طويلٌ كظل القناة    وهذا قـصـيـــرٌ كظل الوتدِ

ومثاله من الشعر الفارسي قول الشاعر ومعناه :

خد الحبيب الجميل وعارضه وذؤابته

الاول ورد والثاني سوكه والثالث عنبر

وهذه القصيدة على هذا النمط الى نهايتها، وشعراء الفرس يراعون التقسيم دائما ويحافظون عليه في القصيدة برمتها.

### ٤- الجمع مع التفريق :

وتكون هذه الصنعة بأن يجمع الشاعر بين شيئين في تشبيههما بشئ واحد ثم يعود فيفرق بينها في صفتين متغايرتين.

ومثاله من الشعر العربي قولي :

فـوجـــهك كـــالنار في ضـوئهـــا    وقلبي كـــالنار في حـــرِّها

ص١٨٠ ففي هذا البيت جمعت بين وجه المعشوق وقلبي في تشبيههما بالنار، ثم عدت ففرقت بينهما في الضوء والحرارة.

ومثال بالفارسية ومعناه :

أنا وأنت كلانا وردة صفراء، أنا من ناحية لونى وأنت من ناحية رائحتك. ففى هذا البيت جمع الشاعر بين نفسة والمعشوق فى كونها وردة صفراء. ثم عاد ففرق بينهما من حيث اللون والرائحة.

## ٥- الجمع مع التقسيم :

وتكون هذه الصنعة بأن يجمع الشاعر فى البيت الأول جملة أشياء فى معنى واحد ثم يقسمها بعد ذلك.

ومثالة من الشعر العربى قول المتنبى :

حتى أقــام على أربــاض خرْشَنَةٍ تشــقى به الــرومُ والصلبانُ والبيــعُ
للسبيِ ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

ففى البيت الأول جمع الشاعر بين أرض الأعداء وجميع ما يوجد عليها فى الشقاء ثم عاد فى البيت الثانى فقسم هذا الشقاء على هذه الأشياء وبين كيفية كل واحد منها.

ومثالة من الشعر الفارسى قول «العنصرى» ومعناه :

حركاته وأفعاله تعطى شيئين : الدرجات للعلوم، والإحكام للنجوم ففى هذا البيت، جمع المشاعر حركات الممدوح فى شيئين من ناحية العطاء المطلق، ثم عاد فقسَّم انواع هذا العطاء.

## ٦- الجمع والتفريق والتقسيم :

جمع هذه الأشياء الثلاثة مع بعضها مشكلٌ للغاية، ولم أر شعراً جمع بينها إلا بيتين من الشعر الفارسى ومعناها :

١٨١ إن الذى قيدك قيدنى أيضاً، وكانت قيوده ظاهرة وخافية. فقيدك من الحديد وقيدى من الغم الشديد، وقيدك فى الأقدام وقيدى فى روحى.

فقد جمع الشاعر فى هذين البيتين بين نفسه والمعشوق من حيث التقييد، ثم عاد ففرق بين القيود من حيث ظهورها وخفائها ثم عاد فقسم هذه القيود من حيث توزيعها وكيفيتها.

## تفسير الجلىّ والخفىّ

تفسير الجلىّ : يكون تفسير الجلى بأن يقول الشاعر لفظة مبهمه تحتاج الى تفسير ثم يأخذها فيفسرها ويبينها. ومثالة من الشعر العربى قولى :

يحُيى ويُردى بجدواه وصارمه     يحُيى العفاةَ ويردى كلَّ من حسدا

ومثال أخرى قول الفياض :

يُعطى ويمنح يعطى المال زائرهُ     ويمنع الجار من ذل وإرهاق

١٨٢ ففى هذين البيتين عاد الشاعر بالكلمات ويحى ويردى ويعطى ويمنع ثم فسر كل واحدة منها.

ومثاله بالفارسية قول العنصرى : ومعناه :

فالمليك إما يقيد وإما يفتح وإما يأخذ وإما يعطى

فيارب أجعل هذا دابه ما دامت الدنيا باقية

فالولايات هى ما يأخذها والرغبات هى ما يعطيها.

تفسير الخفى : أما تفسير الخفى فيكون إذا لم يعدُ الشاعر الى اللفظ المبهم الذى يحتاج الى تفسير وتركه خافياً.

ومثاله قول العنصرى : ومعناه :

جماع مظهرهم الحرب والقتال وقلوبهم وعتادهم للنزال والنضال

فما زالوا يحصــــلون ويغيرون وما زالــــوا يحرقــــون ويصنــــعون

ومثال آخر قول محمد بن عبده ومعناه :

١٨٣ كما أنه لا يوجد معشوق جميل مثلك، فكذلك لا يوجد شاب صبور متألم مثلى ولم ير أحد فى العالم قريناً لى ولمولاى فى الحسن والصبر والسخاء.

## المتزلـزل

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر لفظاً فى كلامه بحيث إذا غير حركة من حركات حروفه تحول الكلام من المدح الى الهجو.

ومثاله : «الله معذِّبُ الكفار ومحرِّقهم فى النار»

فإذا حركت الذال بالكسر فى كلمة معذب وكذلك الراء بالكسر فى كلمة «محرق» كان ذلك عين الإسلام والدين الحق، أما إذا فتحت الذال والراء وقرأت الكلمتين بالفتح كان ذلك محض الكفر والعياذ بالله.

ومثال من الشعر العربى من قولى :

رســـول الله كـــذَّبه الأعـــادى فـــــويـل ثـم ويـل لـلـمـكـذب

فإذا نطقت الذال بالكسر فى المكذب كان البيت مدحاً للرسول «ﷺ» أما إذا قرأتها بالفتح انقلب المعنى الى الكفر والعياذ بالله.

ويقول الشاعر بالفارسية هذا المصراع : ومعناه «إن حديثه يجعل جميع الرؤوس متوجه» وأما إذا قرأت الجيم بالكسر كان المعنى ذماً ويكون معناه : إن حديثه يجعل كل رأس تاجاً للمشانق.

# المـــردّف

١٨٤ هناك فرق بين الردف والرديف. فالردف عبارة عن الآلف أو الياء أو الواو التى تأتى قبل حروف ال،رویٔ كما فى «نار» و «نور» و «وسور» و «نغير» و «أسير» ... ومعرفة ذلك تتعلق بعلم القافية. أما الرديف فعبارة عن كلمة أو أكثر تأتى بعد حروف الروى فى الشعر الفارسى فيسميه اهل الصنعة بـ «الشعر المردّف» وليس للعرب رديف إلا ما يتكلفة المحدثون، وقد رأيت لفخر خوارزم الزمخشرى – رحمة الله عليه – قطعة من الشعر فى مدح ملك خوارزم «علاء الدولة» وقد جعل رديفها على منوال العجم، لقبه الذى عرف به ومطلع هذه القطعة هكذا.

الفـضل حـصله عـلاء الدولة والمجـــد أثلّه عـــلاء الدولة

ومثال بالفارسية قولى : ومعناه :

نظام حال الزمان وقوام امر العالم قد اكتملا بإقبال ملك العالم وإقبال خطّه.

ومثال أخر ومعناه :

وهل يجعل ربيع عيشنا هنيئاً، ويهيىء لنا اسباب النشاط والسرور. وأكثر اشعار العجم مردّفة... وثبات طبع الشاعر وقدرته على بسط الكلام بثبتان بقدرته على عقد الرديف المستحسن.

ويسمى بعض أهل الصناعة كلمة الرديف بالـ «صاحب» ويطلقون على الشعر المردف كلمة المحجوب. وقال البعض : إنما المقصود بكلمة الحاجب هو اللفظة التى يذكرونها قبل القافية فى كل بيت بينما المقصود بالرديف الكلمة التى ترد بعد القافية.

١٨٥ ومثاله بالفارسية ومعناه :

يـــا مـالك الأرضيـن .. إن عرشـك فـوق الســماء

وقد وهن العـدو منذ اشـتددتَ فى طلبـه بالرمـــاح

فكن خفيفاً فى الحملة علية وخذ من النضال ثقيلها

فأنـت كبيـر بعلمك، فأمـا حظـك فشـــاب

## الإســتدراك

تكون هذه الصنعة بأن يبدأ الشاعر بيته بألفاظ تُظن انها هجاء ثم يستدرك ذلك ويعود الى المدح، ومثالة من الشعر العربى قول الشاعر :

لا تقل بشـرى ولكن بشـريان        غـرّة الداعى ديومُ المهـرجـان

ومتأكد بالفارسية ومعناه : «لست أريد أن يبقى أثر الأمير فى العالم بل أريد أن يبقى الأمير نفسه فى هذا العالم» وعندى من الخير ألا يسلك الشاعر هذه الطريق لأنه باستعمال للإستدراك يجعل ممدوحه يتطير من الفأل السيره ويضيع بذلك جمال حديثه.

## الكلام الجامع

تكون هذه الصنعة بأن يحاول الشاعر ألا يترك أبياته خلواً من الحكمة والموعظة وشكاية الزمان. ومثاله من الشعر العربى قول المتنبى :

والظـلم فى خلق النفوس فإن تجـد    ذا عفـةٍ فلعلـه لا يظلـمُ

ومن البليـة عـذلُ مـن لا يرعـوىِ    عن جهله وخطـاب من لا يفهـمُ

وله أيضاً: من نكد الدنيـا على الحرّ أن يرى    عـدواً له ما من صداقتـه بُـدُّ

الجـود يفقـر والإقـدام قتـال

وله أيضاً: لولا المشقة سـاء الناس كلهـم    من أكثر الناس إحسان وإجمـالُ

وللمتنبى فى هذا الباب يد بيضاء وطريقة زهراء

١٨٥ ومثال أخر قول ابى سعيد الرستمى :

من الناس من يلغى المزيد على الغنى ويحرم مـا دون الغنى فاضـل مثلي
كـمـا ألحـقـت واو بعـمـرو زيادة وضـويق بسم الله فى الف الوصلِ

ومثال آخر قول أديب ترك :

إذا ما رمـت طيـب العيـش فانـظر الى من بات أسـوأ منـك حـالا
وأخـفـضى رتبـة واذلّ قـدراً وأنكد عـيـشـة وأضلّ مـالا

ومثالة بالفارسية قول ابى نصر شاذى : ومعناها :

لا يمكن لأحد أن يظلمك عقلك، ولا يمكن أن نفض من نفسك على نفسك فالعلم وذو الفطنة والدين والمروءه لا يمكن جعلها جميعاً خاومة للدرهم فاقنع وارض بما تجده، لأنه لايمكن أن تجمع بين السيادة والعبودية.

ومثال آخر قول كمالى : ومعناه :

لكثرة ما فعله الدهربى من أذى، أخذ عارض الاسود لون الدهر
وكان الشباب راكباً، فتعجل بالذهاب وأغبر عارض بغبار مركبه

ومثال قول مسعود بن سعد ومعناها : تبارك الله، هل رأيت هذا الخط وهذه الحياة إن منزلى سيصير لى سجناً حتى أموت – وقد أضحى كبدى – بما أنا فيه حسرة – مقطعاً كأسنان المشط ونظرت الى شعرى فوجدته خصلاً بيضاء فى المشط.

وأكثر كلام (مسعود بن سعد بن سلمان) من نوع الكلام، الجامع وخاصة ما له فى الحبس ولا يكاد يرقى إليه فى هذا المعنى أحد من شعراء العجم، لا من حيث حسن المعانى ولا من حيث لطف الألفاظ والأداء.

## الإبـــداع

قال أرباب البيان إن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعانى البديعة من الفاظ حسنة بعيدة عن التكلف. وفى رأى أن ذلك لا يدخل فى جملة الصناعات لأن كلام العقلاء والفضلاء سواء المنظوم فيه أو المنشور، يجب أن يكون على هذا النسق، فإن لم يكن كذلك اعتبر من احاديث العوام. ولكننى ذاكر هنا جملة أمثلة مما ذكره القدماء بكتبهم. مثال من الشعر العربى قول المتنبى، وقد جمع بين مدح كافور ومدح سيف الدولة. فكان قوله بالغاً حدَّ الحسن :

فــراقٌ ومن فـارقــتُ غيرُ مــذمَّمٌ ... وأمٌ ومــن يممـت غيـر ميمـــمَّ
وله أيضاً سِـرْ حـلَّ حيث تحُلّه النُوّار ... واراد فيــك مــرادَك المقـــدارُ
وإذا ارتحلت فـشيـعتك سلامـه ... حـيث اتجـهـت وديمة مــدارُ

ومن الفارسى ومعناه : لقد أكثرت القتل حتى لم يبق شجاع، وأكثرت العطاء حتى لم يبق فقير ويقول المنطقى ومعناه : وأنا عبد لحبيبى فى يوم الفراق كان عونا لقلبى دون سائر الناس.

ومن قـول العنصرى ومعناه : وإنك للملك الذى يدعوا له اليهـود والمجوس والمسيحون والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها مسبحين مهللين قائلين : يا رب اجعل المصير «محمودا».

## التعجب

تكون هذه الصنعة بأن يظهر الشاعر فى أحد أبياته تعجبه وحيرته من شيئ من الأشياء ومثالها قول اديب ترك :

ايـا شــمعاً يضيئ بــلا انطفــاء ... ويــا بدراً يلـــوح بــلا محــاقِ
فـأنت البـدر مـا معنى انتـقـاصي ... وأنت الشمع ما سبب احـتـراقي

ومثالة بالفارسية ومعناه : لست مجنوناً فلماذا تنزلق فى النيران، ولست فراشة فكيف تجول حول الشمع، ومثال آخر من قولي. ومعناه : ولماذا تقيم المياه الكثير – فى عينى إذا كان تبرى فى غمازة ذقنك .. يا ولدى العزيز.

## حسن التعليل

تكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر فى بيت من أبياته صفتين من الصفات ويجعل الواحدة منها علة للأخرى، وغرضه من ذلك مجرد ذكر هاتين الصفتين ولكنه يذكرها بهذه الطريقة حتى يزداد بذلك جمال أسلوبه وإبداع عبارته. ومثاله من قول فخر خوارزم الزمخشرى :

وإن غادر الغدران فى صحن وجنتى  فلا غرو منه لم يزل وابلاً يهمى

١٩٠ فقد أثبت الغدران لصحن وجنته بعلة أن الممدوح وابل يهمه والوابل الهامى علة كذلك فى الغدران. ومثالة بالفارسية ومعناه : لكثرة ما يبكى السحاب بغير ما سبب اخذت الزهور والبساتين تضحك من فعلة ... ففى هذا البيت تجد أن الشاعر جعل بكاء السحاب بغير ما سبب علة لضحك الزهور والبساتين واستهزائها بفعله. وهذا الأسلوب مستعملاً كثيراً والعربية والفارسية.

## ألفاظ ومصطلحات

فيما عدا ما ذكرناه من فصول، نورد هنا جملة من الألفاظ التى عرضت لأهل هذه الصناعة فاستعملوها فى لغتهم وأصبحت من مصطلحاتهم.

المدح: المدح أو المديح أو المدحه ومعناه بالفارسية.

الهجو: الهجو والهجاء.

التشبيب: عبارة عن وصف حال المعشوق وحال الشاعر فى عشقه ويسمونه أيضاً بالنسيب أو الغزل. ولكن المشهور المستعمل بين الناس أن كل صفة أو حال

يشرحونها فى بداية القصائد بإستثناء مدح الممدوح تعتبر تشبيباً.

المصرّع: عبارة عن البيت الذى يراعى فيه تقفيه مصراعيه كما تكون مطالع القصائد.

الخصىّ: يطلقونه على الرباعى الذى ال يقفى المصراع الثالث منه.

١٩١ الترجيع : الترجيع فى اللغة عبارة عن إعادة عن إعادة النغم وفى اصطلاح الشعراء عبارة عن الشعر الذين يكون على أقسام (خانات) ويكون كل قسم منه خمسة أبيات أو عشرة أو أكثر، وتكون قافية كل قسم من الأقسام مخالفة لقافية القسم الأخر فإذا تم قسم من الاقسام ذكروا بعده بيتاً مفرداً على حدة – ثم ينتقلون بعد ذلك إلى القسم الآخر، وهدم البيت الغريب المفرد هو ما يسمونه بالترجيع وهو على ثلاثة أنواع :

أ – يكون بعينه فيرددونه فى آخر كل قسم.

ب– أو يكون ابياتاً مختلفة فى أواخر كل قسم ويكون كل واحد منها على قافية خاصة.

جـ– أو يكون ابياتاً مختلفة فى أواخر كل قسم عددها مساءٍ لعدد ابيات القسم الواحد في الترجيع بحيث إذا جمعت هذه الأبيات اصبحت قسماً أخر من أقسام الترجيع.

العكس : العكس فى اللغة بمعنى القلب وفى اصطلاح الشعراء يطلقونه على الأبيات التى رويتها هنا ومعناها.

وفى هراة لى، ولى فى هراه ولد خفيف وظريف

لايكون مطلقاً ومطلقاً لا يكون شبيه له وشبيه له أخر

خطأ عملت وعملت خطأ، سفرى بغيره وبغيره السفر.

التدوير : يطلق الشعراء تسمية «المدوّر» على البيت الذى يمكن قراءته واى ناحية بدأت بها من انحانه وهذا من عبث الأطفال.

١٩٢ المكرر : يطلقونه على الشعر الذى يذكرون فى أحد أبياته لفظة من الألفاظ ثم يذكرون هذه اللفظة بعينها فى البيت التالى. ومثاله بالفارسية معناه :

إننى أبكى كالسحاب قطرة قطرة وقد أضحت الأيام حائره معتمة فى عينى التى تضيق بالسيول : وقد أصبحت قطرة المطر فجلة من هذه الدموع التى تنهل قطرات وأضحى قلبى الموله مشرداً حائراً لهجر الحبيب.

ويقول البعض أن المكرر هو ما تذكر فيه لفظة القافية مرتين ومثالة بالفارسية ومعناه ما اعجب فى لفتك أنها خطأ الخطأ .. وما ابدع موافقتك انها صواب الصواب.

المتنافر : يطلقون هذه التسمية على الألفاظ التى تكون عسيرة النطق ولمعرفة ذلك يمتحن الواحد فهم الأخر فى أن يقول الألفاظ المتنافرة مرتين او ثلاث مرات على التوالى لمعرفة ما إذا أمكن النطق بها أو لم يمكن ومثالها بالفارسية. ومعناه : هل يشتغل السيد بالتجارة؟ فإن قليلاً من الأشخاص يستطيعون النطق بهذه العبارة ثلاث مرات فى نفس واحد دوى أن تتعثر ألسنتهم.

المتلائم هو عكس المتنافر وهو ما امكن النطق به بسهولة وما كان سلساً طيباً الارتجال : عبارة وإنشاء الشعر او الخطبة أو الرسالة بدون تفكير سابق وهذاز ما يسمونه بالبديهة ايضاً.

الروية : هذه الفكرة بمعنى واحد فيقولون فلان يقول الشعر بروية وليس على البديهة أيما بإعمال الفكر بغير عجلة.

الجزالة : بمعنى التمام والامتلاء والشعراء يصفون الشعر بالجزالة إذا كانت الفاظة قوية محكمة.

السلاسة : بمعنى الرقة والانقياد. والشعراء يقصدون بالشعر السلس الشعر الطبعَ المتدفق المطبوع ويقولون أن آفة الجزالة التعسف وأفة السلاسة الركاكة.

السهل الممتنع : هو الشعر الذى يبدو سهلاً يسيراً فإذا حاول احد أن يقول مثله وجده صعباً عسيراً وفى العربية اشعار كثيرة من هذا النوع لأبى فراس والبحترى وامثلته بالفارسية كثيرة ياشو الأميرمرضى.

خاتمة : وقد اتممت هذا الكتاب بلفظ فرضى بمعنى السعادة فلتدم ايام المليك سعيدة هانئة والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وأعد اجمعين.

قال ناسخ الكتاب :

وكان الفراغ من نسخ «حدائق السحر فى دقائق الشعر» فى اليوم السابع من شعبان سنة ثمان وستين وستمائه الهجرية.

وقال مترجم الكتاب :

وكان الفراغ من ترجمته إلى العربية فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وثلثمائة وألف، الموافق الحادى عشر شهر اغسطس سنة اربع وأربعين وتسعمائة وألف الميلادية.

٢٢ شعبان سنة ١٣٦٣ هـ — ١١ أغسطس سنة ١٩٤٤م.

أما هنا فنثبت فارسيا مترجماً يكشف عن البلاغة الفارسية وبخاصة فى موضوعى الكتاب والشعر.

**چهار مقاله (المقالات الأربع) فى الكتابة والشعر والنجوم والطب.**

**تأليف النظامي العروضي السمرقندى**

**وعليه خلاصة حواشي العلامة محمد عبد الوهاب القرومنيى**

**نقله إلى العربية: عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب**

الطبعة الأولى: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

ص ١ مقدمة (للناقلين إلى العربية: عزام والخشاب).

هذا كتاب مجمع النوادر المعروف باسم «چهار مقاله .. أى المقالات الأربع وهو من أقدم الكتب الفارسية التى عالجت جوانب من الحياة الأدبية والعلمية فى الجانب الشرقى من العالم الإسلامى منذ القرن الثالث الهجرى حتى منتصف القرن السادس. وقد طبع هذا الكتاب فى سلسلة ذكرى جب Sibl mumsoil serieo بعد أن حظى بعناية العالم المحقق الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى. وحسب الكتاب وقرائه والباحثين فى موضوعاته أن يتناوله العلامة القزوينى على طريقته فى التحقيق والتدقيق. والتصحيح والتعليق. صحح الناشر الكتاب بعد أن قابل بين نسخة المخطوطة وكتب عليه حواشى أبانت عن الصواب فى روايات أخطأ فيها مؤلفه، وأوضحت ماابتهم من الأسماء والحوادات التى ذكرت فيه وزادت فوائد ونوادر لاتقل قيمة عن الكتاب نفسه.

المقدمة الفارسية التى كتبها العلامة القزوينى لاتدع مقالا لقائل فقد اعتمدنا عليها وأخذنا منها مايتصل بالكتاب ومؤلفه فى هذه المقدمة.

## الكتاب

اجتمعت لكتاب چهار مقاله أمور جعلت له خطرا كبيرا بين كتب التاريخ

والأدب. فهو من الكتب الفارسية القديمة، ألف فى حدود سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ ـ ١١٥٦م) ومعلوم أن الكتب والآثار الأدبية التى كتبت باللغة الفارسية قد ضاع معظمها فى الغارات التى ص ٢ شنها على إيران المغول والغزو وغيرهم ولم يبق من هذه الكتب إلا القليل ومنها كتاب «چهار مقاله» الذى يُعَدُّ من خير الآثار فأقومها.

وأمر آخر تزيد به قيمة الكتاب هو اشتماله على كثير من المطالب التاريخية وتراجم لمشاهير الأعلام الذين لم يرد ذكرهم فى غيره من كتب الأدب والتاريخ.

وهو مهم أيضا فى إنشائه من حيث إيجاز اللفظ وإشباع المعنى وسلاسة الأسلوب وخلوه من المتعاطفات المترادفة والأسجاع الثقيلة والصناعة اللفظية المتكلفة التى جرى عليها أغلب الكتاب المتأخرين ، فهو يصلح مثلا يحتذى وأنموذجا يتبع لكتاب الفرس المحدثين.

والكتاب كما يدل اسمه أربع مقالات، فى بيان مايتصف به الطوائف الأربع التى يحتاج إليها الملوك وهم الكتاب والشعراء والمنجمون والأطباء. فيذكر المصنف ماينبغى أن يتوفر لكل طبقة من صفات، ثم يعقب ذلك بما يقرب من عشر حكايات تناسب المقام. وللمقالة الثانية، فى الشعر، مكانة خاصه لأنها تحوى أسماء كثير من شعراء إيران المتقدميين الذين عاصروا السامانيين والغزنويين والخانيين والديالمة والسلاحقة والغوريين؟ كما أنها تحوى تراجم بعض مشاهيرهم مثل الرودكى والعنصرى والغُزِّض والمعزى والفردوسى والأزرقى والرشيدى ومسعود سعد سلمان.

وامتازت المعالة الثالثة بحديث عن عمر الخيام، وكان نظامى من معاصريه وقد رآه وسمع عنه ...........

ص٤ لم يبين المؤلف تاريخ تأليف كتابه، ولكن الظاهر أنه لم يتأخر عن سنة

٥٥٢هـ (١١٥٧م) السنة التى توفى فيها السلطان سنجر السلجوقى، فإن الكتاب ألف أثناء حياة هذا السلطان. فالمؤلف يدعو له فيقول «أطال الله بقاءة وأدام إلى المعالى ارتقاءه» ويذكره مره أخرى مع السلطان علاء الدين الغورى ويقول «خلّد الله ملكهما وسلطانهما» والظاهر أيضاً أن الكتاب لم يؤلف قبل سنة ٥٥١هـ (١١٥٦م) لأنه يذكر فى الكتب التى ينبغى للكاتب قراءتها وحفظها «مقامات الحميدى» وهذه المقامات ألفت سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦م) «فتاريخ تأليف الكتاب بين سنتى ٥٥١ هـ ، ٥٥٢هـ».

ومع ما للكتاب من القيمة العلمية والأدبية قد وقع صاحبه فى بعض الأغلاط التاريخية من خلط فى أسماء الأشخاص وتقديم وتأخير فى السنين وتهاون فى ضبط الوقائع، وقد صحح العلاقة القزوينى هذا كله فى حواشيه.

ص٢٠ من چهار مقاله :

أنه ليس بعد النبوة عبء أثقل من الملك ولا عمل أقوى من الملك، فلزم أن يكون حوله جماعة يرجع إلى رأيهم ومشورتهم وتدبيرهم الحل والعقد فى العالم، والصلاح والفساد بين عباد الله، وينبغى أن يكون كل واحد منهم أفضل أهل الوقت وأكملهم.

ثم الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب من خواصّ الملك، ولا غنى للملك عنهم فقوام الملك بالكاتب وتخليد الأسم بالشاعر، ونظام الأمور بالمنجم، وصحة البدن بالطبيب. وهذه الأعمال الأدبية الشاملة والعلوم الشريفة من فروع علم الحكمة، الكتابة والشعر من فروع علم المنطق، والتنجيم من فروع العلم الرياضى، والطب من فروع العلم الطبيعى.

فهذا الكتاب مشتمل على أربع مقالات :

الأولى، فى ماهية الكتابة وصفة الكاتب البليغ الكامل.

والثانية، في ما هية الشعر وصلاحية الشاعر.

والثالثة فى ماهية علم النجوم وتمكن المنجم فى هذا العلم.

ص٢١ : والرابعة، فى ماهية علم الطب وهدى الطبيب وصفته.

فقد أوردنا فى رأس كل مقالة ما يليق بهذا الكتاب من الحكمة وأتبعناه بعشر حكايات طريفة من نوادر هذا الباب وبدائع هذه المقالة وقعت لهذه الطبقة، ليتبين للملك ويعلم أن الكتابة ليست أمراً أمماً، وأن الشعر ليس شغلا - يسيراً، وأن علم النجوم ضرورى، وأن الطب صفة لازمة، وأن الملك العاقل لا مناحى له من هؤلاء الأشخاص الأربعة : الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب.

ص٢٢ جهار مقاله

## المقالة الأول

## فى ماهية الكتابة وصفة الكاتب الكامل وما يتعلق بهذا.

الكتابة صناعة مشتملة على قياسات خطابية وبلاغية، ينتفع بها فى المخاطبات بين الناس على سبيل المحاوة والمشاورة والمخاصمة، فى المدح والذم، والاحتيال والاستعطاف والإعزاء، وتكبير الأعمال، وتصغير الأمور، والتصرف فى وجوه الاعتذار والعتاب، وفى إحكام العلائق، والتذكير بالسوابق وترتيب الكلام وتنظيمة فى كل واقعة على الوجه الأولى والمنهج الأحرى.

فينبغى أن يكون الكاتب كريم الأصل، شريف العرض، رقيق النظر، عميق الفكر، ثابت الرأى، لأن ينال الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر من الأدب وثمراته، وينبغى ألا يكون بعيداً من القياسات المنطقية، غريباً عنها، وأن يعرف مراتب أبناء الزمان ومقادير أهل العصر، وألا يشغل بمطام الدنيا وزخارفها، ولا يلتفت إلى

التحسين والتقبيح من أصحاب الأغراض وأولى الاغماض ولا يقتربهم.

وأن يصون عرض مخدومه فى مقام الترسل عن المنازل الدنية، والمواضع الخاملة، ولا يشتد فى أثناء الكتابة، وسياق الترسل على أرباب الحرمة وذوى الحشمة، وإن كان بين المخدوم والمخاطب خصومة وجب أن يصون قلمه ولا يقع فى عرض المخاطب إلا من جاوز الحد، وخرج عن التصون، فقد قيل : (واحدة بواحدة والبادى أظلم).

وينبغى أن يلتزم الطريق الأوسط فى الألقاب، ويكتب إلى كل إنسان ما يلائم أصله ونسبه وفلكة وولايته وعسكرة وخزائنه إلا من شدد فى هذا وتكبر وجاوز الحد وزاد فى الانبساط إلى الدرجة التى لا يعدها العقل موافقة للمكاتبة وملائمة للمراسلة فيجوز للكاتب ولا حرج عليه أن يأخذ القلم ويمضى قدما، ويبلغ فى هذه السبيل أقصى الغاية، وينتهى النهاية، فإن أكمل الناس وأفضلهم صلوات الله وسلامه عليه يقول «التكبير مع المتكبر صدمة» وعليه ألا يدع غباراً ينال مخدومه فى ميدان المكاتبة من هواء المراسلة.

ص٢٣ : وينبغى أن يلزم فى سياق الكلام نهجاً يجعل الألفاظ تابعة للمعانى، ويوجز ويقصر الكلام فقد قال فصحاء العرب : خير الكلام ما قل ودل. وحيثما جاءت المعانى فى أثر الألفاظ طال الكلام، ودُعى الكاتب مكثاراً (والمكثار مهزار).

ولا يبلغ كلام الكاتب هذه الدرجة حتى ينال كل علم نصيباً، ويأخذ عن كل أستاذ نكتة ويسمع من كل حكيم وتقتبس من أدب طرفه. فعليه أن يجعل ديدنه قراءة كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب، وكلمات العجم. ومطالعة كتبت السلف، والا ضطلاع على صحف الخلف، مثل :

ترسل الصاحب والصابى وقابوس وألفاظ الحمادى والأمامى وقدامة بن جعفر ومقامات البديع والحريرى وحميد[1]، وتوقيعات البلعمى[2] وأحمد بن حسن[3]

وأبو النصـر الكندرى[٤]. ورسائل محمد عبده[٥]. وعبد الحميد[٦]. وسيد الرؤساء[٧]، ومجالس محمد بن منصور، وابن عبادى[٨] وابن التشابه العلوى.

ومن دواوين العرب : ديوان المتبنى[٩] والأبيوردى والفزى[١٠]. ومن شعر العجم : أشعار الرودكى ومثنوى الفردوسى ومدائح العنصرى.

فكل واحد ممن عددت نسيج وحده فى صناعته، ورصد وقته. وكل كاتب يحصّل هذه الكتب ويديم مطالعتها يشحذ خاطره، ويصقل ذهنه، وينير طبعه، ويسمو كلامه ويستحق أسم الكاتب.

تاريخ اليمينى للعتبى، طبع القاهرة ص ١٦٦ – ١٧٢ وتاريخ البيهقى الذى أكثر من ذكره ولا تكاد تخلو من ذكره صفحة منه. ولباب الألباب لتوفى جـ١ ص ٦٣ – ٦٤ وابن الأثيـر ط ص ٣٨٣، ٢٩٤. وأثار الوزراء لسـيف الدين العقيلى (المتحف البريطانى، ورقات ٧٣ ب ٨٩٢ب – 02. 7184. ودستور الوزراء لغياث الدين خواند مير (المتحف البريطانى، ورقات ٧٠ب ، ٧١ب – 02. 234).

٣– أبو نصر بن منصور بن محمد الملقب بعميد الملك الكندرى. أول وزراء الدولة السلجوقية وقد وزر سنين عدة لطغرل بيك وعدة أشهر لألپ أرسلان ثم عمل نظام الملك الطوسى على إقصائه ثم قتله سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م «يذهب السمعا فى ورقة «٤٨٨ب» إلى أن قتل سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م).

٤– يذكرة المصنف (ص٣٣) فيقول :

«فقال محمد بن عبده الكاتب، وكان كاتب بفراخان وله فى العلم تعمق، وفى الفضل تنوّق، وفى النظم والنثر تبحر، وكان أحد فضلاء الإسلام وبلغائه.» ومن هذا نرى أنه كان من كتاب ملوك ترك ما وراء النهر المعروفين بالخانية، وأنه عاش فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس (هو بطل الحكاية العاشرة من

المقالة الأولى. مصطفى).

٥- يقرب من التعين أن المراد بعبد الحميد بن يحيى بن سعيد كاتب مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم (١٢٧هـ / ٨٤٤م - ١٣٢هـ / ٧٥٠م) آخر خلفاء نبى أميه. وهو الذى يضرب به المثل فى البلاغة، وقتل فيه «فتحت الرسائل بعبد الحميد أو ختمت بابن العميد) وقد قتل مع مروان فى حربه مع العباسيين سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م.

٦- الراجح أن المراد بالأول أبو المحاسن محمد بن محمد بن فضل الله بن محمد الملقب بسيد الرؤساء الذى كان نائب ديوان الإنشاء للسلطان ملكشاه بن أرسلان (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م - ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) وكان من خواص المقربين إليه، وأن المراد بالثانى شرف الملك أبو سعيد محمد بن منصور بن محمد الذى كان صاحب ديوان الإشاء فى عهد ملكشاة أيضاً. والرجلان من أكابر الكتاب وعظماء رجال الدولة السلجوقيه. «تاريخ السلجوقيه لعماد الدين الكاتب مختصراً بقلم البندارى، ص ٥٦ - ٥٧ طبعة مصر).

٧- ابن عبادى ويسميه ابن الأثير الواعظ (جـ ١١، ص ٧٧، ٧٨، ٨٨، ١٠٣) توفى فى عسكر فكرم فى ربيع الثانى سنة ٥٤٧هـ / يوليو ١١٥٢ (أنظر ابن خلطان جـ٣، ص ٥٣٩، ٥٤٠ طبعة مصر).

٨- هو أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد القرشى الأبيوردى المتوفى فى إصفهان سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م - ٤. من الفضلاء والشعراء المشهورين وله تصانيف فى الأنساب والتاريخ واللغة. وقد تحدث عنه ياقوت فى إرشاد الأديب جـ٦ ص ٣٤١ سنة ٣٥٨) كما ذكر ابن الأثير (جـ ٩، ص ٨٤، ١٩٢ - ١٩٣).

٩- هو أبو اسحق ابراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبى الأشهى

الغزى. من مشاهير شعراء العرب وقد رحل إلى أكثر بلاد خراسان وكرمان والمشرق. ومدح ملوك ووزراء آل سامان وأشعاره ذائعه في خراسان. توفي سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م ودفن في بلخ. واستهد رشيد الدين الوطواط بكثير من أشعاره في كتاب حدائق السحر. وله ديوان نفيس في المكتبة الأهلية بباريس. نسخ الكوخ سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤م (Anabe 8126) (Bibliathique Hationale, Paris) ولم يذكره المصنف لأنه أشهر الشعراء إنما ذكره لأنه كان معاصراً ولأن شهرته كانت ذائعه في خراسان والمشرق، ولذا فإنه كان معروفاً من المصنف أكثر من غيره، والغزى نسبة إلى غزه المدنية المعروفة بفلسطين.

الحكاية الأولى : معرفة القرآن تنجي من شـدة (بطلها الإسكان)

الحكاية الثانية : فراغ القلب معين على البلاغة (بطلها الإسكان)

الحكاية الثالث : يمهد لها العروض بقوله : (ص٢٦ : كل صناعة لها بالفكر تعلّق يحتاج صاحبها أن يكون فارغ القلب مرفها والإطاشت سهام فكرة ولم تجتمع على هدف الصواب لأنه لا يلائم بين الكلمات إلا باجتماع خاطره) وبطل الحكاية أحد كتاب خلفاء بنى العباسى.

ص٢٧ الحكاية الرابعة : بطلها الصاحب بن عباد ويُعلن منها العروض على عبارة عزل بعث بها الصاحب إلى قاض بقُم وهى : (بسم الله الرحمن الرحيم. أيها القاضى بقمٍّ، قد عزلناك فقم). بقولة : ويعلم الفضلاء ويعرف البلغاء أن هذه الكلمات فى أى مرتبة فى باب الإيجار والفصاحة لاعجب أن يكتب الفصحاء والبلغاء هذه الكلمة على القلوب وينتشوها فى الأرواح منذ ذلك اليوم» .

الحكاية الخامسة : بطلها أحمد بن الحسن الميمندى الذى يُعلّق العروضى على عبارته الكتابية (الخراج خُراج أداؤه دواؤه) بقوله ص ٢٨ : فسار هذا الكلام مثلاً منذ عهد هذا الرئيسى، وضرب فى مواطن كثيرة، طيب الله تراه. (هذا يبين

عن حب الفرس للزخرف اللفظى والبديع) ... سأذكر هنا ملخص هذه الحكايات العشر.

الحكاية السادسة بطلتها بنت الفضل بن سهل التى خطبها المأمون،وهى إن لم تكن كاتبه إلا أن العروض معجب بفصاحة أية تلطف الفتاة فى إيرادها، إذ عرض لها ما يعرض للنساء، وهم المأمون بقبيلها وعناقها فقالت (أتى أمر الله فلا تستعجلوه. سورة : أية ١).

الحكاية السابقة : فقرات فصيحة جزلة للخليفة المسترشد بالله ضمنها آيا من القرآن.

الحكاية الثامنة : يعجب العروض فيها بإيجاز رسالة لورخان الخطائى.

الحكاية التاسعة : نلحظ فيما سبق أن العروض يقدر الكلام المضمن قرآنا وهو يمهد لها ص٣٢ بقوله : غاية فصاحة القرآن إيجاز اللفظ وإعجاز المعنى، وكلما تيسر للفصحاء والبلغاء تضمينا منه أدهش السامعين، وأقام قيامه الصقلاء. وهذا دليل واضح، وبرهان قاطع على أن هذا الكلام لم تجربة أنفاس مخلوق، ولم يحدثه فم ولا لسان، وأن رقم القدم مثبت على ناصية عباراته وإشاراته. ثم يورد الوليد بن المغيرة حين سمع الآية (ومثل يا أرض ابلعى ... سورة : آية ٤٤).

الحكاية العاشرة : (ص٣٢) ومن سنن ملوك العصر وجبابرة الزمان الأول أن يتفاخروا بالعدل والفضل ويتنافسوا فيهما. وكانوا كلما أرسلوا رسولا زودوه بالحكم والألغاز والرموز، وكان الملك يستعين بأرباب العقل والتمييز، وأولى الرأى والتدبير، يقصدون مجلساً بعد مجلس حتى يتفقوا على أجوبة هذه المسائل وتتضح هذه الألغاز والرموز، وحينئذ يأذنون للرسول فى العودة .. وكانت هذه العادة متبعة إلى زمان السلطان العادل يمين الدولة والدين محمود بن سبكتكين رحمة الله. ولما جاء السلاحقة بعده وكانوا بداة لا علم عندهم بأخبار الملوك ومآثرهم درست فى

عهدهم أكثر رسوم الملك، وانظمى كثير من ضروريات السلطان، ومن هنا ديوان البريد فقس عليه غيره. وقد روى أن السلطان يمين الدولة محموداً رحمة الله أرسل يوماً رسولا إلى بغراخان فيما وراء النهر. وأثبت فى الرسالة التى بعث بها هذا الفصل.

ص٣٣ : قال الله تعالى : «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (سورة ٤٩ آية ١٣) وقد اتفق أرباب الحقائق وأصحاب الدقائق على أن المراد التقوى من الجهل. فليس نقصان لأرواح الناس أسوأ من نقصان الجهل، وأدنأ من قلة العلم، والكلام القديم يشهد بصحة هذه القضية وصدق هذا الخبر : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» (سورة ٥٨ أية ١١) فنحن نريد من أئمة ما وراء النهر وعلماء الشرق وأفاضل الحضرة الخاقانية أن يبينوا لنا ضروريات هذه المسائل : ما البنوة، وما الولاية، وما الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وما الصراط، وما الميزان، وما الرحمه، وما الشفقة، وما العدل، وما الفضل؟

... فى حواشى القزوينى يقول : خلط المصنف هنا بين إيلك خان وبسرخان فالأول هو الذى عاصر السلطان محمود.

فلما بلغت هذه الرسالة حضرة بغراخان واطلع على مضمونها ومكنونها، دعا أئمة ما وراء النهر من كل صوب، وفاوضهم فى هذا المعنى، فالتزم بعض كبار أئمة ما وراء النهر أن يؤلف كل منهم فى هذا الباب كتاباً ويبينوا أجوبه هذه المسائل فى فصول الكتاب وسألوا النظرة أربعة أشهر. وكان فى هذه المهلة أنواع من الضرر أتواها نفقات الخزانة للرسل والوفود وفى تعهد الأئمة.

فقال محمد بن عبده الكاتب، وكان كاتب بغراخان، وله فى العلم تعمق، وفى الفضل تنوق، وفى النظم والنثر تبحُّر، وكان أحد فضلاء الإسلام وبلغائه : «أنا أجيب هذة الأسئلة فى كلمتين إجابة إذا اطلع عليها أفاضل الإسلام، وأماثل

الشرق رضوا بها، وأقرّوا بحسنها، ثم أخذ القلم وكتب فى حاشية المسائل على طريقة الفتوى :

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله»

فعضى أئمة ما وراء النهر جميعاً أناملهم تعجبا وتحيراً وقالوا : «هذا جوابه كامل وهذا الفظ شامل» وتهلل الخاقان العظيم إذ كفاه كاتبه ولم يحتج إلى الأئمة.

وحينما بلغ الجواب غزنة، وقع الإجماع على استحسانة

فينبتح من هذه المقدمات أن الكاتب العاقل والأديب الفاضل جمال للملك، وأعظم رفقة للملك وبعد فنتم هذه المقالة بهذا الخطاب والسلام.

**ص٣٤ من چهار مقاله**

## المقالة الثانية

## فى ماهية الشعر، وصلاحية الشاعر

الشعر صناعة بها الشاعر يؤلف المقدمات الموهمية، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيراً والكبير صغيراً، ويرد الحسن فى زى القبيح، ويجلو القبيح فى صورة الحسن. ويثر الإيهام القوى الغضبية والشهوانية فيحدث بهذا الإيهام للطباع انقباض وانبساط وتنشأ فى العالم الأمور العظام كما روى.

### الحكاية الأول

بيتان من الشعر لحفظاة البادغيسى يدفعان بأحمد بن عبد الله الخجستانى إلى العظمة والملك.

ص٣٥ يقول الوحدضى : (فلا غنى للملك عن الشاعر المجيد يخلد اسمه،

ويبقى ذكره فى الدواوين والكتب لأن الملك إذا نزل به القضاء لم يبق من جيشه وماله وخزائنه شئ ولكن يبقى أسمه خالدا بشعر الشعراء، يقول الشريف المجلدى الجرجانى :

ما الذى بقى من نعيم آل ساسان وآل سامان؟ إنما بقى مدائح الرودكى وأغانى بارن وقصصة

ازآن چنـــدان نعيم ايـن جهـــانى ∴ له ماند ازآك ساسان وآل سامان

ثناى رودكي مـا ندست ومـدحت ∴ فواى باربد ما ندستان ودستان

وأسامى ملوك العصر وسادات الزمان خلوت بشعر جماعة لهم نظم رائع وشعر شائع.

... يبين لنا الأثر الشديد الذى لأرسطو فى بلاغة الفرس.

ص٣٧ فصل فى صفة الشاعر وشعره

ينبغى أن يكون الشاعر (سليم الفطرة، عظيم الفكرة، صحيح الطبع، جيد الرؤية، رقيق النظر) متنوعا فى أنواع العلوم، آخذ بأطراف الرسوم، لأن كل علم يتصل بالشعر كما يتصل الشعر بكل علم.

ويبنغى أن يكون الشاعر منطيقا فى مجلس المحاورة، طلق الوجه فى مجلس المعاشرة. ينبغى أن يكون شعره من الجودة بحيث يكون فى صحائف الزمان سطور، وعلى ألسنة الأحرار مذكوراً. يكتب فى السفائن ويقرأ فى المدائن، خير ما فى الشعر تخليد الأسم، ولا يبلغ المقصد ما لم يبق مسطوراً مقروءاً.

وإذا لم يبلغ الشعر هذه الدرجة لم يبق أثره، ومات قبل قائلة وكيف يخلد غيره إن لم يخلد نفسه. ص٣٨ ولا يبلغ الشاعر هذه المنزلة إلا أن يحفظ فى عنفوان الشباب وريق العمر عشرين ألف بيت من أشعار المتقدمين ويجعل نصب عينه عشرة

آلاف كلمة من أثار المتأخرين. ويديم القراءة فى دواوين الأئمة، ويلتقط منها ليعلم كيف تصرفوا فى مضايق القول، ودقائق الكلام حتى يرتسم فى طبعة صور الشعر وطرائفة، ويتجلى له مزايا الشعر ونقائصة فيرتقى قوله، ويعلوا طبعة.

فإذا رسخ طبعة فى نظم الشعر وانقاد له الكلام عمد إلى علم الشعر وقرأ العروض، وألمّ بتصانيف الأستاذ أبس الحسن السرخسى البهرامى مثل غاية العروضيين مركز القافية، وقرأ نقد المعانى والألفاظ والشرقات والتراجم وأنواع هذه العلوم على أستاذ يحذفها، ليكون جديراً بالأستاذية ويظهر اسمه على صحيفة الزمان مع أسماء الأساتذة الأخرين الذين ذكرنا أسماءهم، حتى يستطيع أن يوفى الممدوح حق نعمه، بتخليد اسمه.

وعلى السلطان أن يربى مثل هذا الشاعر ليتهيأ لخدمته، ويذيع اسمه فى مدائحه.

فإن لم يبلغ الشاعر هذه الدرجة لم يجدر بالالتفات إليه، وإضاعة المال لديه لاسيما إذا كان شيخاً. وقد تأملت فى هذا الباب فلم أجد فى العالم كله أسوأ من الشاعر الهرم، ولا أضيع من المال الذى يهدى إليه.

وأما الشاب المستقيم الطبع فإن كان شعره رديئاً فهو مرجوّ أن يكون حسناً. ويجب فى شرعة المرؤة تربيته ويفترض تعهده، ويلزم تفقده.

وليس أحسن فى صحبة الملوك من حسن البديهة، فإن بالبديهة ينبسط السلطان، ويزهو مجلسه، ويبلغ الشاعر مقصوده.

الحكايةالثانية

عظمة الرودكى الشاعر الذى أثر فى السلطان وحقق رجاء جنده.

ويختم العروض السمرقندى هذه الحكاية بقوله ص ٤١ ... ومن يستطيع أن

يقول بهذه العذوبة التى تبدو فى قوله (أى الرودكى) مادحا فى هذه القصيدة:

يبقى ما أفاد الشعر من الثناء والمديح، ولو أصاب الفقر الخزانة.

آخرين ومدح سود آيدهمى      كَر بكَنج أندر زيان آيدهمى

وفى هذا البيت سبعة من محاسن الصنعة: المطابقة والتضاد، والمردف، وبيان المساواة، والعذوبة والفصاحة، والجزالة.

وكل أستاذ متبحر فى علم الشعر إذا تفكر قليلا علم أنى فى هذا مصيب والسلام. يقول القزوينى فى الحواشي: أندر اين بيت ازمحاش هفت صنعت الخ: انتقد القزوينى هذه العبارة وقال: إن عليها بعض ملاحظات:

(أولها) أن التعبير بالصفة عن الثلاثة صناعات الأولى: أى المطابق والمتضاد والمردف، وبالمصدر عن الأربع الأخيرة أى المساواة والعذوبة والفصاحة والجزالة تعبير ركيك للغاية لأنه إذا كان المراد تعداد الصفة نفسها للزم أن تكون كلها بلفظ المصدر، وإذا كان المراد أثر هذه الصناعات فى الشعر لوجب أن تذكر جميعا بلفظ الصفة.

(ثانيا) جعل المطابقة والتضاد صنعتين على حدة خطأ، لأن الجمع بين الضدين أو الأضداد الذى هو إحدى الصنائع المعنوية يسمى المطابقة كما يسمى التضاد والطباق والتكافؤ، فهذه كلها ألفاظ مترادفة لمعنى واحد فى اصطلاح البديع.

(ثالثا) ومن الغريب اعتبار الفصاحة إحدى الصنائع، فإن الفصاحة من لوازم نظم ونثر البلغاء وليست صنعة من صنائع البديع وصفة زائدة يزدان الكلام إذا اتصف بها، ولايصيبه الخلل بغيرها، ولسنا نعرف عالماً من علماء المعانى يعد الفصاحة صنعة من الصنائع.

## الحكاية الثالثة

شعر للعنصرى يزيل غم السلطان محمود وينهى العروض السمرقندى هذه الحكاية بقولة ص ٤٣ :

وينبغى أن يعلم أن البديهة ركن من أعلى أركان الشعر وعلى أن يروض طبعة حتى يستطيع أن يثير المعانى بديهة فإن البديهة تخرج الفضة من خزائنها، وملاءمة الحال تطيب نفس السلطان وهذا كله واجب مراعاة لنفس المخدوم وطبع الممدوح، وأكثر ما أصاب الشعراء من الصلاة الهظيمة كان بالبديهة ومراعاة الحال.

## الحكاية الرابعة

شعر لفُرخّى يغنيه من فاقة.

## الحكاية الخامسة

شعر لنظامى مغنية من فقو.

... نلحظ هنا الشخصية الفارسية التى تقدس الملوك وتجعل البلاغة خاصة.

## الحكاية السادسة

شعر يزيل غضب أمير ويفرحه.

## الحكاية السابعة

حيرة العروضى فى أمر شاعر هو مسعود بن سلمان حبس وقال أروع فى حبسه ولم يلن هذا من قناة الدولة الغزنوية لتطلق سراحه.

## الحكاية الثامنة

شعر للرشيدى يرفعة على أمير الشعراء عَمْعَق.

## الحكاية التاسعة

نبوغ الفردوس فى الشعر يشقيه

## الحكاية العاشرة

شعر للنظامى يرفع من قدره عند ملك الجبال.

ويبحث الدكتور زكى مبارك عن كاتب فارسى مبدع مبرزا صورة الأدبية التى تتمايز عن صور البلاغة العربية والتى نلمح فيها الذوق الفارسى.

**النثر الفنى ص٢ للدكتور زكى مبارك**

ص ٢٧٨ أما نثر قابوس فأعجوبة من أعاجيب فن الإنشاء. هو نثر مصنوع صنعة دقيقة جد الايدرك كنيها إلا الفحول. وقد عنى بدراسته من المتقدمين عبد الرحمن الميزدادى الذى أختار من رسائلة ما سماه «كما البلاغة» ودراسة اليزدادى لنثر قابوس جدير بأن يعود إليها الأدباء بالنقد والتمحيص لأنها مكملة لأنواع البديع : فقد استخرج منها أنواعا لم يكن وجدها.

ص٢٧٩ قدامة بن جعفر فيما فتش من كلام الفصحاء ثم تولى تسميتها بما شاكلها من المنعوت، وهى أربعة عشر نوعا: منها المجنح كقوله:

«صام عن جواب ما نفذ إليه، ونام عما لزمه فى حق الاعتماد عليه».

وسماه مجنحا لأنه شبهه بشئ له جناحان من قبل أن فى أوله سجعا وفى آخره سجعا وبينهما واسطة. فكلمة (صام) فى أول القرينة الأولى تقابل كلمة (نام) فى أول القرنية الثانية.

ومنها الممثل كقوله:

«ولايعجبنى أن يكسو ضوء مكارمه كلف الخمول، ويأذن لطوالع معاليه

بالأفول»

وسماه كذلك لكثرة مافيه من التمثيلات.

ومنها المجانس كقوله: «أين الطبع الذى هو للصدود صدود، وللتألف ألوف ودود»

وسماه كذلك لأن اسمه مشتق من الجنس ولأن بعض الكلام منه جنس لبعض، فالصدود وصدود من جنس واحد، والتألف وألوف من جنس واحد.

ومنها مشابهة الصور كقوله:

«إذا حالف، فأحسبه قد خالف، وإذا أعار، فأحسبه قد أغار».

وسماه كذلك لتشابه صور الكلمات فى الخط: فحالف وخالف فى صورة واحدة، وكذلك أعار وأغار.

ص٢٨٠ أما نحن فقد راجعنا هذه الرسائل غير مرة، ورأيناها حقا من الذخائر النادرة ولكننا لانوافق اليزدادى على تقرير أن هذه الأربعة عشر نوعاً من البديع لاتوجد فى كلام غير كلام قابوس. فهى فى جملتها ترديد للصنعة التى عرف بها المتقدمون. وكل ماتمتاز به هو شدة الأسر، واطراد الفن فى جميع أجزائها بحيث يمكن أن يقال إن هذا الرجل كان ينحت الكلام كما ينحت المثال الصخر ليخلق منه غرائب التماثيل.

وهنا نقطة يحسن الكلام عليها: هى أن نقاد الغرب اليوم يأخذون على كتاب اللغة العربية أنهم يجمعون بين الصور المختلفة فى الجملة الواحدة بدون أن يلاحظوا ما يجب أن يكون بين تلك الصور من الروابط المعنوية. من ذلك مثلا قول الثعالبى فى الزوزنى الكاتب:

«يفرس الدر فى أرض القراطيس، وينشر عليه أجنحة الطواويس»

فإن هذه أخيلة متنافرة لاجامع بينها ولارباط. ولو حللت ما فيها من استعارة لأعياك الأمر وضاق بك المجال. وهى فى جملتها شعوذة عقلية، وإن بدت لبعض الناس نهاية في الحسن والرواء.

وقول الثعالبى أيضا فى أبى الفرج الببغا:

«له كلام، بل مدام، بل نظام من الياقوت، بل حب الغمام»

ص٢٨١ فإن الانتقال من هذه الصور مضلل للخيال. وكل ما عند الكاتب أنه عرض ما مر بذهنه من مختلف الأشكال.

ص ٢٨٤ .. أن الإنسان كان يضيف إلى الجن أعمالا غريبة معقدة هى اليوم أيسر ما يأتى به الإنسان فى أعوام الحروب، وستتبدل تبعا لتطورات الاختراع أوضاع كثيرة من مصطلحات البلاغة والبيان، فتصبح المجازات حقائق، وتمسى أكثر المبالغات تعابير عادية لاشطط فيها ولا جموح.

## كمال البلاغة لقابوس بن شمكير

ص١٩ ثم استخرجت من هذه الرسائل انواعا لم يكن وجدها قدامه فيما فتش من كلام الفصحاء. وتوليت تسميتها بما شاكلها من النعوت. وعددها أربعة عشرة وهى.

«المجنح» كقوله: صام عن جواب ما نفذ اليه. ونام عما لزمه فى حق الاعتماد عليه[١] وكذلك قد طال مقام فلان فتجاوز كل طول. واقفل باب رجوعه فلا يرجى له قفول[٢]

و«المتزاوج» كقوله. فانى مؤمل غمام غير جهام. ومعمل حسام. غير كهام[٣]. وكذلك فمن مر على ارجاء بحره الهياج. ونظر فى لالاء بدرة الوهاج[٤].

ص٢٠ وشب ضراما اصلد الزمان زندة[١]. كذلك. يخال انه مكتف بجاهه وعرضه. ومتعزز بسمائه وارضه ولايشعر انى كل لبعضه. وطول فى عرضه[٢].

و«المبالغة» كقوله. فانه معتكف مقيم، على ضامن كريم. والكريم اذا ضمن لم يخلف، واذا نهض لفضيله لم يقف[٣]. وكذلك. ويبذل لى نخيله الود ومنخوله خير ما يبذل، ويجتنى ثمرة الفؤاد وكل جميل يجنبه يذبل[٤].

ص١٩ (١) فى ص ٣٤
(٢) مطلع رسالته السادسة الى لاصاحب
(٣) فى ص ٣٥. والجهام. السحاب ال ماء فيه والحسام الكهام. السيف الكليل
(٤) فى ص ٤٢.
ص٢٠ (١) فى ص ٣٧. والزند هنا. العود الاعلى الذى يقتدر به النا. وصلد الزند. سوت ولم يور
(٢) فى رسالته الى الاصبهبذ
(٣) فى ص ٣٩
(٤) فى ص ٣٨

=

و«ابداع القرائن» كقوله. لاسيما اذا كان فيما بدر منه ساهيا ولما كتب عليه سوء الاتفاق ماحيا[٥] وكذلك، فأفاض في وصف ماتلالا من غرر افعاله، وابر على كل جميل بجماله[٦]. وكذلك . فالشيخ من لايتطلق في لومه لسان لائم، ولاتتجه عليه ظنه الا من ظالم[٧].

و«المجانس» كقوله. وكيف يعرض عمن تعرض رفاهه العيش باعراضه، وتنقبض الارزاق بانقباضه

ص٢١ واضاء نجم الاقبال اذا اقبل، اهل هلال الجد اذا تهلل[١].

و « المتضاد» كقوله. من اقعدته نكاية الايام، اقامته اغاثه الكرام. ومن البسه الليل ثوب ظلمائه. نزعه النهار عنه بضيائه[٢].

و«المتوأم» كقوله. قاصم الاصلاب، وقاسم الاسلاب[٣]. وكذلك . خالصت خيله، وسالمت ميله[٤].

و«المخلخل» كقوله. اثرت فيه خجله العثار ونهكته ذلك الاعتذار[٥].

و«المردد» كقوله . ومن دام ان يفرى فيهما كما يفرى، ويسر بنجومها كما يسرى[٦].

---

= (٥) في ص ٤٣

(٦) في ص ٣٦

(٧) في ص ٣٥

ص ٢١ (١) في رسالته الى الاضبهبذ. والجد. لعظمه والحظ والغنى

(٢) في ص ٤٥

(٣) في ص ٢٥ ثم ف رسالته الى ابن ميكال

(٤) في رسالته الى ابن وندويه. وخالمت وخيله. صاحبتها واءتلفتها

(٥،٦) في ص ٤٣ =

و«المتشابه» كقوله. وهاجر بهجره. واصر على صرمه[٧]. ومال الى الملال، ولم يصل نار الوصال.

ص٢٢ و«مشابهه الصور» كقوله التردد بين الرخاء والبأس، والرجاء واليأس، وكقوله. اذا حالف فاحسبه قد خالف. واذا اعار. فاحسبه قد اغار[١].

و«المعكوس» كقوله. شيمته رفع الخامل الوضيع ووضع الفاضل الرفيع[٢]. وكذلك. فاعلم انه لايسؤنى ما يسرك، ولايسرنى ما يسؤك وانى لااكره ما تحبه، ولا احب ما تكره.

و«ذونوعين» كقوله. قد احتجب ضبح ذلك الامر. وصار مطلوبا فى ليله القدر[٣]. (وفيه نوعان الممثل وابداع القرائن) وكذلك لاقتناء سبيكه الحمد، واعتلاء عريكه المجد[٤]. (وهما المتزاوج والممثل)

وانا ابين الان لم سميت كل واحد من هذه الانواع بما سميت به،

* * * * *

---

= (٧) فى ص ٢٥ ثم فى رسالته الى الاصبهبذ.

(١) فى رسالته الى الاصبهبذ. والجد. العظمهن والحظ والعنى

(٢) فى ص ٤٥

(٣) فى ص ٢٥ ثم فى رسالته الى ابن مكيال

(٤) فى رسالته الى ابن وندويه. وخالمت وخيله. صاحبتها واتلفتها

(٦،٥) فى ص ٤٣

(٧) فى ص ٢٥ ثم فى رسالته الى الاصبهبد.

ص٢٢ (١) فى ص ٢٦، ثم فى رسالته الى ابن وندويه

(٢) فى رسلاته الى ابن وندويه

(٣) فى ص ٣٥

(٤) فى ص ٣٧

اما المجنح فسميته به لانى شبهته بشىء له جناحان من قبل ان فى اوله سجعا وفى اخره سجعا وبينهما واسطة. كقوله. لازم لما اتيته حجاب الخجل، وعازم .

ص٢٣ على غسله بماء التنصل[١]. (فلا زم فى الاول من القرينه الاولى، وعازم فى الاول من القرينه الثانيه سجعان والخجل والتنصل فى آخرها سجعان. وما بين السجعين من الكلام واسطه) واما المتزاوج فسميته به لان بازاء كل سجع سجعا فى القرينتين. كقوله مجتلب مواجب الشكر، مجتنب مذاهب العذر[٢]. (فمجتلب بازاء مجتنب. ومواجب بازاء مذاهب، والشكر بازاء العذر وهذه كلها تزاوج واسجاع)واما الممثل فسميته به لان الكلام المستعمل فيه ليس مختصا بتفسيره بل هو كلام آخر له معنى يشبه المراد منه. كقوله. ولايعجبنى ان يكسو ضوء مكارمه كلف الخمول، ويأذن الطوالع معاليه بالافول[٣]. (فهذه تمثيلات كلها)

واما المبالغة فسميته به لانه يتلو كلام تاما قد حصل.

ص٢٤ معناه، واحاطت المعرفه بالمراد. فذكر فيه تاكيدا ومبالغه به. كقوله ليجتلبو الخير، ويجتنبوا الشر. ويكونوا من الخير على امل، ومن الشر على وجل. (فقوله. ليجتلبوا من الخير على امل ومن الشر على وجل، اتمام له ومبالغه فيه) واما المجانس فسميته به لأن اسمه مشتق من لفظ الجنس ولان بعض الكلام منه جنس لبعض كقوله. اين الطبع الذى هو للصدود صدود، وللتألف ألوف ودود[١]. (فالصدود وصدود من الجنس

ص٢٣ (١) فى ص ٤٢

(٢) من رسالته السادسة الى ابن العتبى

(٣) من رسالته الى الاصبهبذ

ص٢٤ (١) من رسالته الى الاصبهبذ

الواحـــد. والتأليف ولاوفى من جنس واحد)

واما المتضاد فسميته به لان كلام القرينتين مشتمل على اضداد كقولهم. بما يحدثه الدهر من حالتى ارضاء واشكاء، واضحاك وابكاء[٢]. (فهذه كلها اضداد)

واما المخلخل فسميته به لان قبل السجع فى القرينتين سجعا آخر متصلا به، فهو كالخلخال له. كقوله

ص ٢٥ وزال عنه خجل الكساد. واذاته لذة نيل المراد[١]. (اعنى خجل الكساد لى القرينة الاولى، ونيل المراد فى القرية الثانيه)

واما المردد فسميته به لتردد لفظ واحد فى موضعين. كقوله عقدت املى به من صحة عقده، ووعدت نفسى فيه من ثمره وعده[٢]. (اعنى عقدت وعقدة فى القرينه الاولى ووعدت ووعدة فى القرينه الثانية)

واما المتوام فسميته به لانى شبهته بولدين توامين، وهما المولودين فى بطن واحد. اعنى قاصم الاصلاب وقاسم الاسلاب[٣].

واما المتشابه فسميته به لوقوع الكلمات المتشابهه الالفاظ والحروف فى القرينتين. اعنى هاجر بهجرة واصر على صرامه[٤]. (فهاجر وبهجرة متشابهه الحروف واصر وصرمه كذلك)

واما مشابهه الصور فسميته به لتشابه صور الكلمات فى الخط. كقوله اذا حالف فاحسبه قد خالف واذا اعار.

---

= (٢) فاتحه رسالته الخامسه الى الصاحب تعزيه

ص٢٥ (١) خاتمة رسالته الثامنه الى ابن العتبى

(٢) فى ص ٣٥

(٣) فى ص ٢١ ثم فى رسالته الى ابن ميكال

(٤) فى ص ٢١ ثم فى رسالته الى الاصبهبذ

فاحسبه قد اغار[١] . (فحالف وخالف ف صورة واحدة) . واما المعكوس فسميته به لانعكاس الالفاظ في القرينتين باختلاف المعنى. كقوله. انى الاجتوى ما تجتنيه. ولا اجتنى ما تجتويه.

واما ابداع القرائن فسميته به لان القرينة الثانية فاضلة فى البدعة على القرينة الاولى. كقوله فقد شاع هذا الفعل في جميع البشر. بل صار غرة على جبهه الشمس ولاقمر[٢] . (هذا كلام ينادى على نفسه بما هو فيه من البدعة ولامطمع لاحد في الاتيان بمثله. اذا هو معدوم النظير وليس فى طوق احد من بلغاء الكتاب ان ياتى بمثل هذا المثيل البديع فى معناه. ولايقدر عليه الا المتجر فى المعلم والقادر على تصريف الكلام)

وكقوله. قد خلد ذلك في بدائع الاخبار. وكتب بسواد الليل على بياض النهار[٣] . (هذا الكلام الا اعرف في جوده صنعته وغرابه معناه كلاما. لانه مثل سواد الليل.

ص٢٧ بالمداد وبياض النهار بالقرطاس. وهما سيئان ليس لهما نظيران فى ابقاء. وهذه القرينة الثانية نتيجة طبع كالماء رقيق. وصنع فى تاليف الكلام الدقيق. وليس مما يسمح به طبع الكتاب. ونفى به قرائحهم. فاين قد اجلت الفكر فى عدة الفاظ رائية الاواخر فلم اجد منها ما يقع موقعه في الوفاق. وكان ما اتى وحضر فى غاية النفور منه والشذوذ عنه. ولا يعرف ما اقوله الا من يعالج التسجيع) وكقوله. ورفع عن الارض سطوة الزلازل[١] ، وقضى بما يراه على اقضاء النازل (هذا ابداع واى ابداع واعجاز واى اعجاز وما اجله مـن

---

ص٢٦ (١) فى ص ٢٢ ثم فى رسالته الى ابن وندويه

(٢، ٣) فى ص ٣٨

ص٢٧ (١) من رسالته الى الاصبهبذ

كلام، واشرفه من معنى، لان الاتيان لاقضاء النازل قرينا لسطوة الزلازل عجيب بديع جدا. ومما لايهتدى إليه الا من هداة الله بنور علمه. وكل افراط فى مدحه تقصير، وكل اكثار فى الكشف عن بدائعه اختصار)

واما ذو نوعين فسميته به لاجتماع النوعين من هذه الاوصاف والالقاب فيه. كقوله لما قبلت بصفيرى زئيرة، وما ساجلت بيعيثى جريرة[1] . (وفيه نوعان. المجنح وابداع القرائن. ولكنه ابداع قد غبر فى وجوة اقرانه فى البدعة والغرابة، وكلام خارج عن طريق الكتاب، لان ذكر البعيث وجرير بعيد عن الاوهام والافهام. وليس مما يخطر بال احد منهم او يقع فى خلده. فكل من تتأتى له القرينة الاولى يحول فكرة للقرينة الثانية فى ان يأتى بما يشاكل الاصوات من الصفير والزئير ولعله اذا اجتهد وابعد وتعمق سنح له ان يقول «بسيرى كثيرة» ولايهتدى لمثله الامن كان طبعه هذا الطبع وقريحته هذه القريحة. وكان غزيرا المعلم، عارفا بالاخبار ونواد الامثال ويكن بقى ان يفطن لغور ما صنعه واتى به)

وكقوله. لانه بيان قصر عن نيله لسان البلاغة، ولم يأت بمثله فرسان هذه اللغه[2] . (وفيه ايضا نوعان. المتزاوج وابداع القرائن. الا أنه بخلاف نظائرة فى استحقاق اسم البلاغة، وليس مسائر مما اتى عليه الوصف من بدائع.

ص٢٩ هذه الرسائل . اذا هو بديع نادر فى الاستعمال. ولو انه جاء بلفظ غير «الفرسان» فقال «ائمه هذه اللغة» أو «فصحاء هذه اللغة» أو «المبرزون فى هذه الصناعة» لكان ذلك لفظا مبتذلا فذهب ماؤة ورو نقه. وليست تفى عبارتى فى الكشف عما فى مضمونه من مكنون البدعة الذى لايقدر

---

ص٢٨ (١) فى ص ٤٢

(٢) فى ص ٤٣

اللسان على ابرازة بالنطق ، فأنا ان ادعيت ان اصفه حق وصفه كنت كمن يدعى مساحة الارض بذراعه)

وكقوله. خانه الدهر فأخنى على حالة، وعانه بعينه فهوى نجم اقباله[١]. (وفيه ايضا نوعان المجنح والممثل ولكنه كلام يعجز البلغاء فى الصناعة عن مداناته، ويضل اذهانهم دون ان يطوروا بجنباته[٢]. اذا هو جامع لفنون كثيرة من التصوف. بين الفاظ عذبه متجانسه، ومعان شريفه. اعنى خانة فأخنى على حالة. وعانة بعينه فهو نجم اقباله. واما اضافة الاقبال والهوى الى النجم ووصف الممتحن به فمن الحذق فى الكلم)

ص٣٠ وكقوله. تلوح مسرة اليسر على جبينه. وتصبح بانقضاء العسر اسرة يمينه[١]. (هذا كلام قد بلغ النهاية فى البداعة والبراعة والفصاحة والعذوبة . بل هو ابدع وابرع من كل ما وصفته من فقر هذه الرسائل. وعبارتى تقصر عن وصفه بمستحقه فأقول . ان هذه اللغة العربية قد عادت فى نشأة اخرى بهذه الطريقة البديعة. والنظر والتأمل يكشفان عن حقيقة ما اقول .)

وكقوله. وما دام هو للفرصة فيه مرصدا، ولانجاز ماواة معتقدا[٢]. كان الرجاء كنور فى كمام.

والوفاء كنور فى ظلام. ولابد للنوران ان يتفتح. وللنور ان يتوضح [٣]. (وفيه ايضا نوعان. المتزاوج والمبالغة. الا ان هذاكلام عظيم الشان. جليل الخطـ،

---

ص٢٩ (١) فى رسالته الثالثة الى ابن العتبى

(٢) اى يحرموا حول جنباته

ص٣٠ (١) فى ص ٣٦ وهناك تفسيره

(٢) واى الشيء ضعنه

(٣) فى ص ٣٩

شريف معجز ودرجته ارفع من ان يبلغه وصفى فى الابانه عن كنهه وهو كما قال النبى عليه السلام «ان من البيان سحرا» وهذا ذلك البيان الذى ابت الحكم بأنه قد لايؤتى له بنظير + فالسكوت عن مدحه مدحه. والاقرار

ص٣١ بالعجز عن وصفه وصفه)

وكقوله. الدهر كله مفصله ومجمله. مركب النوائب. وملعب العجائب[١]. (وفيه ايضا نوعان المتوام وابداع القرائن. لكن الفاظ هذه القرائن قد اجتمع فيها من وصف الدهر. شامل لجميع معانيه. مالوتطابقت البصائر النافذة. والافهام الثاقبة. والعبارات المتقنه. لقصر ذلك كله عما عبرت عنه هذه القرائن الاربع عن معنى واحد ينى على معان كثيرة فهو البديع الممتنع والمعجز المحير. ويكفينى من متأمليه ادراك ما فى ضمنه من عجيب الصنعة. حيث الاتيان بمثله والقول فى وصف هذه الرسائل سهل مهين. ولكن العمل عليها صعب شديد.

كما قال ابو تمام: لهان علينا ان نقول وتفعلا:

وآما قوله «ولايعلم ان الانسان يسير دائما. على الاشهب شاهرا وعلى الادهم نائما[٢] فانه كلام علوى شريف. ومعنى حكمى بديع . اتى معه برهانه. واقترنت

ص٣٢ به حجته وتبيانه. وليس فى قوة الكاتب الايان بمثل هذه المعانى السحية. بل هو كلام الحكماء الذين تتشعب افكارهم فى دقائق المعانى.

---

ص٣١ (١) فى ص ٤٠

(٢) من رسالته الى على بن الفضل

# المحتويـــات

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

